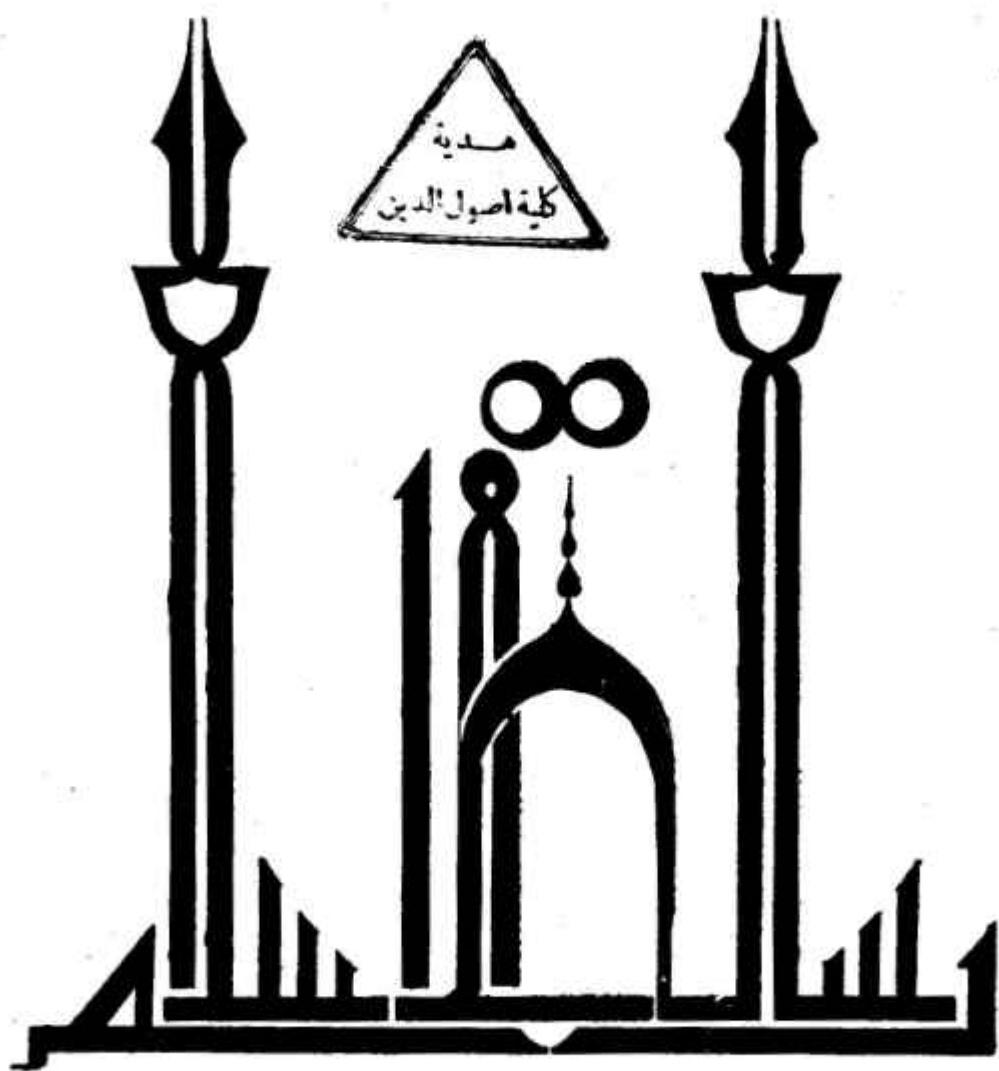




طبعة الرابع في النصف الأول

١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م

٥	رسالتنا : من شروط النصر
٩	كلمة التحرير : اساسان للتغيير
١٣	المكي والمدني
٣١	من دروس التفسير : اليهود في القرآن
٦١	رسالة الى صديق : قد يمتطى الصعب بعدما رمح
٦٦	شخصيات اسلامية : الحسن بن الشهيد الثاني
٨١	الزهاوي وعصر السلطان عبد الحميد
١٠٥	من دروس المناقشة : حول الاستشراق
١٢٤	كيف يعالج الاسلام ظاهرة التضخم المالي
١٤٤	جنينة الشعر : درس وعبرة
١٤٧	الفداء والصمود
١٥١	الارض للمؤمن الطاهر
١٥٣	مصيبة الاسلام
١٥٤	ملخص رسائل الخريجين : القراءات القرآنية
١٧١	مختارات مترجمة : ارنولد تويني
١٨٣	فتاوى تهمة : مسائل متفرقة
١٨٥	حول العالم الاسلامي : عمان
٢٠٧	اشتات مجموعة
٢١٠	مكتبة المجلة
٢١٣	اجازة علمية
٢١٧	شئون الجمعية
٢١٩	فقيدنا آية الله العظمى السيد الحكيم

رسالة الاسلام
مجلة شهرية تصدر في لبنان العربية والكلمة

تصدر عن

كلية العلوم للدين

بغداد

رئيس التحرير

محمد عبد الحميد

سكرتير الادارة

جنابا للدين (العسكري)

المجلات التالية

باسم الحاسب :

عبدلناف محمد الشيخ عباس .

بدل الاشتراك

داخل العراق : دينار واحد

خارج العراق : دينار ونصف

للمراسلات الرسمية : ديناران

تلفون ٩٤٥٢٢

رسالتنا

من شروط النصر

ليست الكثرة هي المقياس الوحيد
للمنصر ، كما قد يخطر على البال وإنما
هناك قبل ذلك عوامل أخرى للمنصر ،
أهم بكثير من كثرة العدد .

(يا أيها الذين آمنوا إذا)
(لقيمتم فئة فاثبتوا)

فالثبات في أرض المعركة ، والتوجه
الحاصل إلى الله ، والانقياد الصادق
لله ورسوله ، والمحافظة على وحدة
الكلمة والصبر ، والتجرد من البطر
والرياء ... كل ذلك من العوامل
التي لها أثرها في نتائج المعركة أكثر
 مما يتصوره السذج من الناس ، الذين
تملأ الكثرة عيونهم وأذهانهم ، وإذا
تكون لدى المؤمن هذا التصور المعمق
عن حقيقة الجهاد والصراع القائم بين
معسكر الإسلام والجاهلية يتوجه
القرآن الكريم إلى المؤمنين بهذا الهتاف
الذي يبعث فيهم روح الثبات والصبر

ومن دون الثبات لا يتأتى لطرف
كسب المعركة لصالحه ، ولا يعني الفشل
في جولة أو جولتين من المعركة الاندحار
وخسران المعركة حتى الشوط الأخير .
وليس كالثبات والصمود في أرض
المعركة شيء يؤدي إلى إحراز النصر
في المعركة كما ليس كالانهزامية في
المعركة شيء يؤدي إلى خسران المعركة
والاندحار أمام العدو .
وليس الثبات عدة النجاح في
الاشتباكات المسلحة فقط وإنما الثبات
أداة تقضي إلى النجاح في كل وجه
من وجوه الصراع في الحياة .

الخالص لله تعالى ، والاستعداد من فضله ولطفه . ولقد كان رسول الله يجاهد في الميدان اشد الجهاد ، ويخوض الحرب في اشد وجوهها ولا ينقطع توجهه عن الله لحظة واحدة ، ولا ينقطع عن ذكر الله .

والمؤمن اذ يذكر الله ساعة المعركة وفي ساحة الجهاد يربط نفسه بالهدف الذي يدخل المعركة من اجله ، فهو لم يدخل المعركة لمناخ من متاع الدنيا ولا لغرض زائل من اغراض الحياة ، وانما يدخل المعركة لرفع كلمة الله ، وتحكيم شريعته في الحياة .

وفي الوقت نفسه ، فان المؤمن يربط نفسه في ارض المعركة بالقدرة المطلقة والقوة اللامتناهية ، فيبعث الذكر في نفسه قوة واملا في النصر لا يعهدا المشركون في نفوسهم .

(واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا)

(فتفشلوا وتذهب ريحكم)

والطاعة والانقياد الصادق للقيادة الاسلامية شرط ثالث من شروط النصر

ولا نستطيع امة ان تحقق ذاتها في الحياة ما لم تعرف كيف تثبت للاحداث ؟ وكيف تثبت للاعداء ؟ وكيف تثبت للذين يريدون استغلالها واستغلال خيراتها وثرواتها ؟

ولا يتأتى للطلائع الواعية من المسلمين اليوم الذين يتجمعون حول هذه الرسالة ان يحققوا اهداف هذه الرسالة على وجه الارض ، ويغيروا واقع هذه الامة الى واقع اسلامي ، بعيد عن الانحراف ما لم يعرفوا كيف يشبثوا للاحداث ، ويشبثوا للعدو الذي يتربص بهذه الامة الدوائر ويشبثوا للتهريج والاشاعات التي يثيرها المستعمر في وجوههم . وتلك اولى مقومات النصر في ارض المعركة ، اية معركة كانت وعلى اي مستوى .

(واذكروا الله كثيرا)

(لعلكم تفلحون)

وهو شرط آخر من شروط الجهاد فلا يمكن ان ينفك جهاد المؤمن وعمله وجهده عن ذكر الله ، وعن التوجه

فلا يمكن توجيه المعركة الوجهة الصحيحة ، وقيادة الجيش قيادة حكيمة من دون طاعة ومن دون استسلام لتوجيهات القيادة ، دون تردد ، ودون جدال . والطاعة الصادقة والانقياد الخالص هو الذي يتيح للقيادة توجيه المعركة الوجهة الصحيحة التي تؤدي الى النصر . وهو الذي يؤدي في الوقت نفسه الى حفظ الصف الاسلامي من التصدع والانشقاق في ميدان المعركة .

وليس شيء أضر على الجيش من هذا التصدع والانشقاق الذي يطرأ على الجيش في حالات عدم الانقياد ، والتمرد على القيادة . فلا تتمكن القيادة بعدها من حفظ وحدة الصف ومن صيانة شوكة الجيش والرهبة التي يلقبها الجيش في نفوس الاعداء .

(واصبروا ان الله مع الصابرين)

والصبر هنا ان يحفظ الجيش هدوء اعصابه وقدرته المعنوية في الحرب ، ويواجه احداث المعركة بنفس صابرة مطمئنة تتحمل متاعب المعركة دون

ان تستسلم للعدو ، ودون ان يقهره العدو بقوته وشوكته وكثرته .

وماذا يخشى الصابرون ، لو كانوا صادقين في صبرهم ، والله معهم في المعركة والقدرة الالهية المطلقة تسندهم ، وتنصرهم في ميادين الجهاد . وكيف يتأنى للعدو مهما بلغت قوته وشوكته وكثرته ان يكافئ هذه القدرة الالهية المطلقة ؟ .

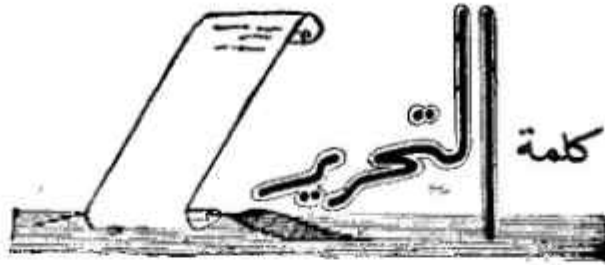
(ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورثاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) . وهذا توجه آخر للمعسكر الاسلامي الذي يخرج مجاهدا في سبيل الله الا ينحرف عن الهدف السامي الذي خرج لاجله الى الجهاد ، والا يبطره النصر ولا تبطره القوة ، ولا يهمه ان يتراءى ويتجمل ، ويستعرض عضلاته ، فشيه . ذلك لا يجوز ان يكون سببا لخروج المسلمين الى الحرب ، وشيء من ذلك لا يبرر اشتباك المسلمين مع غيرهم في حرب .

وانما يخرج المسلم الى ساحة المعركة

ليحمل السلاح في يد ويحمل النور الى عدوه بيده الاخرى . لينشر النور في اوساط الجاهلية المظلمة ، وليزول الظلام عن هذا النور . الذي يهم المسلم في المعركة ليس هو ان يقضي على عدوه ، وانما هو ان ينقذ عدوه من الجاهلية ، ويحرره من العبوديات التي تلفه من كل جانب في حياته ويعبد الله تعالى ، ويرفع كلمته عاليا . وليس في هذه الحروب طغيان او تنفيس عن قوة او حب للظهور او تذليل للانسان واستعباد له ، وانما هي في النقطة المقابلة لذلك كله محاولة جادة لانقاذ الانسان وتكريمه واعادة كرامته المقتضية اليه ، وتحريره من عبودية الهوى والطاغوت .

من وصية رسول الله «ص» الى ابي ذر «ره»

يا ابا ذر ألا أعلمك كلمات ينفعك الله عز وجل بهن ؟ قلت بلى يا رسول الله قال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واذا سألت فاسأل الله عز وجل ، واذا استعنت فاستعن بالله « مكارم الاخلاق : ص ٥٥٠ »



الاساس للتغيير

محمد شامي

او تحديد مسار خاص وفق قانون
التغيير الاجتماعي القائل بالفعل
والانفعال او التاثير والتاثير .
فلما ان نعتمد ظاهرة الاستعمار
الغربي في تاريخ امتنا الحاضرة اساسا
ملحوظا لتقسيم عمرنا الحياتي وبالتالي
كتشخيص سليم يجري على اساسه
تاريخ مساروعي الامة ووجدنة مفاهيمها.
وهكذا يمكننا انتزاع مراحل ثلاث
لحياة الامة على هذا الاساس
(الاولى : مرحلة ما قبل الاستعمار)

كان الاستعمار الكافر وهو الاسلوب
الحياتي لصيغ التعامل الغربي ، مع
الشرق الاسلامي في شعبه الفكرية
والسياسية والاقتصادية : يمثل ولا يزال
من تاريخ حياة الامة وحركة وعيها
موقع الحدث الغريب والمفاجأة النشاز
التي كان لها فيما بعد ، مواضع لفتات
بل من ابرز اللفتات في حياتها
العامة والخاصة .
ولئن كانت الامم جميعا تعتمد
هذه اللفتات لتسجيل حياة جيل معين
او اجيال معينة او توصيف حالة خاصة

(الثانية : مرحلة عصر الاستعمار)

(الثالثة : مرحلة بعد الاستعمار)

ولئن كنا في مقالة سابقة قد خلصنا الى انتزاع حالة خاصة واستراتيجية معينة (١) لكل مرحلة من هذه المراحل فاننا سنتناول ظاهرة (المعروف والمنكر) ومنحني تطورهما وانعكاس ذلك على مجموعة مفاهيم الامة الحيانية المعاشة . فبعد ان كان المعروف موضوعا يتأصل عليه عرف المجتمع وتتوجه على اساسه عاداتها وتقاليدها في العمل والحياة وقاعدة عريضة يشاد على اساسها المجتمع الاسلامي السليم وقانوننا يحكم مجموعة نشاطاتها واعمالها قبل وفي مرحلة ما قبل الاستعمار انقلبت الاية منذ عصر الاستعمار وحتى الان حيث احتل (المنكر) قاعدة (المعروف الواسع) وراح ما وسعه يضيق على المعروف ويصادر انفاسه حتى تدخل احيانا في صياغة تعريفه ومحتواه فقدا المنكر قانونا للحياة واسلوبا للعيش

وطريقة في السلوك ولم يك ذلك مجرد ظاهرة عفوية خلصت الى تسجيلها الارقام والاحصاءات بحيث يمكن ان تدرج تحت عنوان التغيير الكمي في حياة الامة وتاريخ وعيها ، ولكنه فوق هذا ظاهرة لها اسبابها الفكرية والاجتماعية والدعوتية التي تعود الى الانتماء النوعي والتحول الانقلابي وفق تخطيطات جاهلية اعتمدها الاستعمار الغربي الكافر مستغلا النفسية العامة التي وجدت عليها امة الاسلام حين تعارف عليها بمفاهيمه الاولى عن التقدم والرقى وأتات تعرف عليها بسلطين نفوذ وجنود عساكره المنظورة وغير المنظورة .

فما هي تلك النفسية وما هي ابرز سماتها ؟

وكان جماع تلك النفسية التي احكمت صياغتها ظروف الانحطاط والانخفاض في الوعي بفعل عصور السلطنة المتحررة عن مضامين الاحكام السلطانية وفاعلية القضاء الاسلامي .

(١) راجع كلمة التحرير رسالة الاسلام السنة الثالثة العدد ٦٠٥ .

كان جماع تلك النفسية الهروب عن مشكلات الحياة والامتساع السلبي لاقدار الحياة واثقالها ، بروح اليأس والقنوط وبهمة الكسالى والعالفين .

هذا في جانب وفي جانب آخر الحيرة امام الغاز الحياة ، هذه النفسية لم تقف على مساحة ضيقة لانها لم تكن نتاج ردة فردية او انحراف في سلوك انسان ! بل كانت ردة اجتماعية ومظهرا بل من اقوى مظاهر سلوكية أناسي الامة في هذه الحقبة من تاريخنا - ككل حالة اجتماعية فاعلة - تبحث لها عن مساحة اوسع لتفترش الطريق المفتوحة الى قلاب (١) تعطشت لبريق الغرب وسرابه وهنا فتح الاستعمار قاه في نفس الوقت الذي فتح فيه عقله ووعيه فراح يعتمد هذا المستوى المنخفض من الوعي ليخطط على اساسه ثم يمضي يراقب مساره ليحفظ لتخطيطه عنصر النجاح كما راحت ارسالياته واجهزته الظاهرة والخفية تزوده دائما وعند الحاجة بمردودات النتائج واحصاءات

(١) جمع قلب .

وارقاماً يرصد على اساسها نجاح مخططاته او فشلها ، تقصيرها وقصورها . . حتى يمشي على ذلك بلغة الرياضي العارف بنتائج حلوله .

وامتنا اليوم وهي تعيش في عصر ما بعد الاستعمار ، عصر التغيير حينما بدأت تفكر في تغيير خط حياتها على ضوء عقيدتها لا بد وهي في طريقها لتمكين قانونها الاسلامي في التغيير (ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) ان تعتمد اساسين في هذا التغيير :

١ - القاعدة الاولى : التغيير على اساس درجة وعي الامة في تناميته نحو الامام متوسلة بالاساليب العلمية في رصد نتائج هذا التغيير كعلم الاحصاء والاجتماع وغيرها .

٢ - القاعدة الثانية : التغيير على اساس وعي الاستعمار ومعلوماته عن المنطقة واساليبه في مخططاته .

فعلى اساس القاعدة الاولى يتحدد نجاح العمل التغييرى وتزداد احتمالات نجاحه وبالتالي يتحقق رضا الله ورسوله

والمؤمنين :

(بوسط) التغيير واقاعيله ونقوى دائعا

على ردم جيوب الاستعمار ومصادرة
اهدافه القريبة والبعيدة عن طريق
مراقبة مؤسساته والتعليم عليها
« ولا يلدغ مؤمن من جحر مرتين » .

« وقل اعملوا فستبصرى الله عملكم »

« ورسوله والمؤمنون »

وعلى اساس القاعدة الثانية يتبلور
فهمنا للعمل الاجتماعي وتزداد خبراتنا

من وصية رسول الله « ص » إلى ابن مسعود « ره »

يا ابن مسعود ! قال الله تعالى : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير
حساب » . . .

يا ابن مسعود ! ! اذا ابتلوا صبروا ، واذا اعطوا شكروا ، واذا حكموا
عدلوا ، واذا قالوا صدقوا ، واذا عاهدوا وفوا ، واذا أسأوا استغفروا ، واذا
أحسنوا استبشروا ، « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

« مكارم الاخلاق : ص ٥٢٠ »

المكي والمدني

محمد باقر الخليم

الاستاذ المساعد في علوم القرآن

لقد كان موضوع المكي والمدني من جملة الموضوعات القرآنية التي اثيرت حولها الشبهة والجدل وتنطلق الشبهة هنا من اساس هي ان الفروق والميزات التي تلاحظ بين القسم المكي من القرآن الكريم والقسم المدني منه .. تدعو في نظر بعض المستشرقين الى الاعتقاد بان القرآن قد خضع لظروف بشرية مختلفة اجتماعية وشخصية تركت آثارها على اسلوب القرآن وطريقة عرضه وعلى مادته والموضوعات التي عني بها .
ويجدر بنا قبل ان ندخل في الحديث عن الشبهات ومناقشتها ان نلاحظ الامرين التاليين لما لهما من تأثير في فهم البحث ومعرفة نتائجه .
الاول : انه لا بد لنا ان نفرق منذ البدء بين فكرة تأثير القرآن الكريم وانفعاله بالظروف الموضوعية من البيئة وغيرها بمعنى انطباعه بها وبين فكرة مراعاة القرآن لهذه الظروف بقصد تأثيره فيها وتطويرها لصالح الدعوة فان الفكرة الاولى تعني في الحقيقة بشرية القرآن حيث تفرض القرآن في مستوى الواقع المعاش وجزءاً من البيئة الاجتماعية يتأثر بها كما يؤثر فيها بخلاف الفكرة الثانية فانها لا تعني شيئاً من ذلك لأن طبيعة الموقف القرآني الذي يستهدف التغيير وطبيعة الاهداف

والغايات التي يرمي القرآن الى تحقيقها قد تفرض هذه المراعاة حيث
تحدد الغاية والهدف طبيعة الاسلوب الذي يجب سلوكه للوصول اليها .
فهناك فرق بين أن تفرض الظروف والواقع نفسها على الرسالة
وبين أن تفرض الاهداف والغايات التي ترمي الرسالة الى تحقيقها من
خلال الواقع اسلوباً ومنهجاً للرسالة . لان الهدف والغاية ليس شيئاً
منفصلاً عن الرسالة ليكون تأثيرهما عليها تأثيراً مفروضاً من الخارج .
فنحن في الوقت الذي نرفض فيه الفكرة الاولى بالنسبة الى القرآن
نجد انفسنا لا تأبى التمسك بالفكرة الثانية في تفسير الظواهر القرآنية
المختلفة ، سواء ما يرتبط منها بالاسلوب القرآني أو الموضوع والمادة
المعروضة فيه .

الثاني : ان تفسير وجود الظاهرة القرآنية لا بد أن يعتبر هو المصدر
الاساس في جميع الاحكام التي تصدر على محتوى القرآن واسلوب
العرض فيه . فقد تكون النقطة الواحدة في القرآن الكريم سبباً في
إصدار حكمين مختلفين نتيجة للاختلاف في تفسير أصل وجود القرآن
وقد تعرفنا على بعض الامثلة لهذا الاختلاف في الحكم حين اشتغلنا في
تفسير القرآن ان يكون بذهنية إسلامية (١) ..

ومن اجل ذلك فنحن لانسوغ لانفسنا أن نقبل حكماً ما في تفسير
نقطة حول القرآن الكريم ، لمجرد انسجام هذا الحكم مع تلك النقطة
بل لا بد لنا ان ننظر أيضاً - بشكل مسبق - إلى مدى انسجام الحكم
مع التفسير الصحيح لوجود الظاهرة القرآنية نفسها .

وقد عرفنا في بحثنا السابق عن الوحي ان الظاهرة القرآنية ليست
نتاجاً شخصياً لمحمد وبالتالي ليست نتاجاً بشرياً مطلقاً وإنما هي نتاج

(١) راجع بحوث علوم القرآن السنة الثانية شروط المفسر .

الذي مرتبط بالسماء . وعلى هذا الاساس يمكننا ان نجزم بشكل مسبق
بإعلان جميع الشبهات التي تثار حول المكي والمدني لأنها في الحقيقة
تفسيرات لظاهرة الفرق بين المكي والمدني على أساس أن القرآن الكريم
نتاج بشري .

وبالاحرى يجب أن يقال : إن شبهات المكي والمدني ترتبط في
الحقيقة بالشبهات التي اثيرت حول الوحي ارتباطاً موضوعياً لأنها ترتبط
بفكرة انكار الوحي ولذا فسوف نناقش هذه الشبهات بعد التحدث
عنها لايضاح بطلانها من ناحية وتقديم التفسير الصحيح للفرق بين
المكي والمدني بعد ذلك من ناحية ثانية .

الشبهة حول المكي والمدني

للشبهة حول المكي والمدني جانبان : جانب يرتبط بالاسلوب
القرآني فيها وجانب آخر يرتبط بالمادة والموضوعات التي عرض القرآن
لها في هذين القسمين وفي كل من القسمين تصاغ الشبهة على عدة اشكال
نذكر منها صياغتين لكل واحد من القسمين .

أ - اسلوب المكي يمتاز بالشدّة والعنف والسباب

فقد قالوا : إن اسلوب القسم المكي من القرآن يمتاز عن القسم
المدني بطابع الشدة والعنف بل السباب أيضاً . وهذا يدل على تأثير
محمد بالبيئة التي كان يعيش فيها لأنها مطبوعة بالغلظة والجهل . ولذا
يزول هذا الطابع عن القرآن الكريم عند ما ينتقل محمد الى مجتمع

المدنية الذي تأثر فيه — بشكل أو بآخر — بحضارة اهل الكتاب واساليبهم وتستشهد الشبهة بعد ذلك لهذه الملاحظة بالسور والآيات المكية المطبوعة بطابع الوعيد والتهديد والتعنيف أمثال : سورة (المسد) وسورة (العصر) وسورة (التكاثر) وسورة (الفجر) وغير ذلك . ويمكن ان نناقش هذه الشبهة .

اولا : بعدم اختصاص القسم المكي من القرآن الكريم بطابع الوعيد والانذار دون القسم المدني بل يشترك المكي والمدني بذلك . كما ان القسم المدني لا يختص ايضاً كما قد يفهم من الشبهة بالاسلوب اللين الهادي الذي يفيض سماحة وعفواً بل نجد ذلك في المكي والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة .

فمن القسم المدني الذي اتسم بالشدّة والعنف قوله تعالى (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فانقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) (١) .

وقوله تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) (٢) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلکم رؤس اموالکم لا تظلمون ولا تظلمون) (٣) وقوله تعالى : (ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار . كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب . قل للذين

(١) البقرة : ٢٤ .

(٢) ، (٣) البقرة : ٢٧٥ و ٢٧٨ - ٢٧٩ .

كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد (١) .
كما نجد في القسم المكّي ايضاً وسماحة كما جاء في قوله تعالى
(ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين .
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك
وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا
ذو حظ عظيم) (٢) .

وقوله تعالى : (فما اوتيتهم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله
خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبائر
الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم
واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين اذا
اصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها . فمن عفا واصلح
فاجره على الله . إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك
ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في
الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم . ولمن صبر وغفر إن ذلك
لمن عزم الامور) (٣) .

وقوله تعالى : (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم .
لا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض
جناحك للمؤمنين) (٤) .

وقوله تعالى : (قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا

(١) آل عمران : ١٠ - ١٢ .

(٢) فصلت : ٣٣ - ٣٥ .

(٣) الشورى : ٣٦ - ٤٣ .

(٤) الحجر : ٨٧ - ٨٨ .

من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم (١) .
وثانياً : انه ليس في القرآن الكريم سباً وشتماً . كيف ؟
وقد نهى القرآن نفسه عن السب والشتم حيث قال تعالى : (ولا تنسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) (٢) .
وليس في سورة (المسد) أو (التكاثر) سب أو بذاءة - كما يحاول
المستشرقون ان يقولوا ذلك - وإنما فيهما تحذير ووعيد بالمصير الذي
ينتهي اليه أبو لهب والكافرون بالله .

نعم . يوجد في القرآن الكريم تقريع وتأنيب عنيف وهو موجود
في المدني كما هو في المكي وأن كان يكثر وجوده في المكي بالنظر لمراعاة
ظروف الإضطهاد والقسوة التي كانت تمر بها الدعوة ، الأمر الذي
اقتضى ان يواجه القرآن ذلك بالعنف والتقريع - أحياناً - لتقوية
معنويات المسلمين من جانب وتحطيم معنويات المقاومة من جانب آخر
كما سوف نشير اليه قريباً .

ومن هذا التقريع في السور المدنية قوله تعالى (ان الذين كفروا
سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم . ومن الناس من يقول
آمنا بالله وبالْيَوْمِ الآخِرِ وما هم بمؤمنين . الى قوله تعالى صم بكم عمي
فهم لا يعقلون) (٣) .

وقوله تعالى (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبأوا بغضب من الله
ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق . ذلك

(١) الزمر : ٥٣ .

(٢) الانعام : ١٠٨ .

(٣) البقرة : ٦ - ١٨ و ٦١ و ٩٠ و ١٧١ .

بما عصوا وكانوا يعتدون (١) وقوله (بشما اشتروا به انفسهم ان يكفروا
بما انزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا
بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين) (٢) .

وقوله تعالى (إن الذين يكتُمون ما انزلنا من البينات والهدى من
بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (٣) .
وقوله تعالى : (اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك إلي
ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى
يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون .
فأما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من
ناصرين) (٤) .

وقوله تعالى : (قل هل أو نبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه
الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر
مكانا واضل عن سواء السبيل) (٥) .

وقوله تعالى : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا
بما قالوا بل يدها مبسوطتان) (٦) .

ب - اسلوب القسم المكي يمتاز بقصر السور والآيات :

وقالوا ايضاً إن من الملاحظ قصر السور والآيات في القسم المكي
على عكس القسم المدني الذي جاء بشيء من التفصيل والاسهاب . فنحن

(١) ، (٢) ، (٣) البقرة ٦١ و ٩٠ و ١٥٠ .

(٤) آل عمران : ٥٦ و ٥٥ .

(٥) ، (٦) المائدة : ٦٠ و ٦٤ .

نجد أن السور المكية جاءت قصيرة ومعرضة بشكل موجز في الوقت الذي نجد في القسم المدني سورة البقرة وآل عمران والنساء وغيرها من السور الطوال .

وهذا يدل على انقطاع الصلة بين القسم المكي والقسم المدني وتأثرهما بالبيئة التي كان يعيشها محمد (ص) فإن يجتمع مكة لما كان مجتمعاً امياً لم يكن بقدرته التبسط في شرح المفاهيم وتفصيلها وانما فاته القدرة على ذلك عند ما اخذ يعيش مجتمع المثقفين المتحضر في يثرب .
وتناقش هذه الشبهة بالامرين التاليين :

الاول : ان القصر والايجاز ليس مختصاً بالقسم المكي بل يوجد في القسم المدني سوراً قصيرة ايضاً كالنسر والزلزلة والبيئـة وغيرها . كما ان الطول والتفصيل ليس مختصاً بالقسم المدني بل يوجد في المكي ايضاً سوراً طويلة كالأنعام والأعراف . وقد يقصد من اختصاص المكي بالقصر والايجاز ان هذا الشيء هو الغالب الشائع فيه .

وقد يكون هذا صحيحاً ولكنه لا يدل بوجه من الوجوه على انقطاع الصلة بين القسمين المذكورين من القرآن الكريم لأنه يكفي في تحقيق هذه الصلة ان يأتي القرآن الكريم ببعض السور الطويلة المفصلة في القسم المكي كدليل على القدرة والتمكن من الارتفاع الى مستوى التفصيل في المفاهيم والموضوعات .

بالاضافة الى ان من الملاحظ وجود آيات مكية قد أثبتت في السور المدنية وبالعكس وفي كل من الحالتين نجد التلاحم والانسجام في السورة وكأنها نزلت مرة واحدة الامر الذي يدل بوضوح على وجود الصلة التامة بين القسمين .

الثاني : ان الدراسات اللغوية التي قام بها العلماء المسلمون وغيرهم

دلت على أن الإعجاز يعتبر مظهراً من مظاهر القدرة الخارقة على التعبير وهو بالتالي من مظاهر الإعجاز القرآني . خصوصاً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن القرآن قد تحدى العرب بأن يأتوا بسورة من مثله حيث يكون التحدي بالسورة القصيرة أروع وأبلغ منه حين يكون بسورة مفصلة .

ج - لم يتناول القسم المكي في مادته التشريع والاحكام

وقالوا : إن القسم المكي لم يتناول فيما تناول من موضوعات - جانب التشريع من احكام وانظمة بينما تناول القسم المدني هذا الجانب من التفصيل . وهذا يعبر عن جانب آخر من التأثير بالبيئة والظروف الاجتماعية حيث لم يكن مجتمع مكة مجتمعاً متحضراً ولم يكن قد انفتح على معارف اهل الكتاب وتشريعاتهم على خلاف مجتمع المدينة الذي تأثر إلى حد بعيد بالثقافة والمعرفة للأديان السماوية كاليهودية والنصرانية . وتناقش هذه الشبهة بالأمرين التاليين أيضاً :

اولاً : ان القسم المكي لم يعمل جانب التشريع وإنما تناول اصوله العامة وجملته مقاصد الدين كما جاء في قوله تعالى : (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده . . . الآية) (١) .

بالاضافة الى اننا نجد في القسم المكي وفي سورة الانعام بالخصوص

(١) الانعام : ١٥١ - ١٥٢ .

مناقشة لكثير من تشريعات أهل الكتاب والتزاماتهم وهذا يدل على معرفة القرآن الكريم بهذه التشريعات وغيرها مسبقاً .

وثانياً : إن هذه الظاهرة يمكن أن تطرح في تفسيرها نظرية أخرى تنسجم مع الأساس الموضوعي لوجود الظاهرة القرآنية نفسها . وهذه النظرية هو أن يقال : إن الحديث عن التشريع في مكة كان شيئاً سابقاً لأوانه حيث لم يتسلم الاسلام حينذاك زمام الحكم بعد . بينما الامر في المدينة على العكس . فلم يتناول القسم المكي التشريع لأن ذلك لا يتفق مع المرحلة التي تمر بها الدعوة . وانما تناول الجوانب الاخرى التي تنسجم مع الموقف العام كما سوف نشرح ذلك قريباً .

د - لم يتناول القسم المكي في مادته الادلة والبراهين :

وقالوا : إن القسم المكي لم يتناول ايضاً الادلة والبراهين على العقيدة واصولها على خلاف القسم المدني . وهذا تعبير آخر ايضاً عن تأثر القرآن بالظروف الاجتماعية والبيئة اذ عجزت الظاهرة القرآنية بتظر هؤلاء عن تناول هذا الجانب الذي يدل على عمق النظر في الحقائق الكونية عندما كان يعيش محمد (ص) في مكة مجتمع الاميين بينما ارتفع مستوى القرآن في هذا الجانب عند ما اخذ محمد (ص) يعيش الى جانب اهل الكتاب في المدينة وذلك نتيجة لتأثره بهم ولتطور الظاهرة القرآنية نفسها .

وتناقش هذه الشبهة من وجهين :

الاول : ان القسم المكي لم يخل من الادلة والبراهين بل تناولها في كثير من سوره والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة وفي شتى المجالات .

فمن موارد الاستدلال على التوحيد قوله تعالى : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله . اذن لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) (١) .

وقوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ام اتخذوا من دونه آلهة . قل هاتوا برهانكم . هذا ذكر من معي وذكر من قبلي ، بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) (٢) .

وبصدد الاستدلال على نبوة محمد (ص) وارتباط ما جاء به من السماء : (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذن لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين . اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) (٣) .

وبصدد الاستدلال على البعث والجزاء قوله تعالى : (ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جبال وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج) (٤) أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد) (٤) .

وقوله تعالى : (افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم اليانا لاترجعون) (٥)

(١) المؤمنون : ٩١ .

(٢) الانبياء : ٢٢ - ٢٤ .

(٣) العنكبوت : ٤٨ - ٥١ .

(٤) ق : ٩ - ١١ و ١٥ .

(٥) المؤمنون : ١١٥ .

وقوله تعالى : (أم حسب الذين اجترحووا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون . وخلق الله السموات والارض بالحق لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) (١) . وهكذا تتناول الادلة جوانب اخرى من العقيدة الاسلامية والمفاهيم العامة :

الثاني : انه لو تنازلنا عن ذلك فمن الممكن تفسير هذا الفرق على اساس مراعاة طبيعة موقف المواجهة من الدعوة حيث كانت تواجه الدعوة في مكة مشركي العرب وعبيدة الاصنام . والادلة التي كان يواجه القرآن بها هؤلاء ادلة وجدانية من الممكن ان تستوعبها مداركهم ويقتضيها وضوح بطلان العقيدة الوثنية . وحين اختلفت طبيعة الموقف واصبحت الافكار المواجهة تمتاز بكثير من التعقيد والتزييف والانحراف كما هو الحال في عقائد اهل الكتاب اقتضى الموقف مواجهتها بأسلوب آخر من البرهان والدليل اكثر تعقيداً وتفصيلاً (٢) .

الفروق الحقيقية بين المكي والمدني

ولم نجد في الشبهات التي تناولناها ولا نجد في غيرها ما يمكنه ان يصمد امام النقد العلمي او الدرس الموضوعي ومن كل ذلك يجدر بنا ان نقدم تفسيراً منطقياً لظاهرة الفرق بين القسم المكي والقسم المدني وان كنا قد المأخذا الى جانب من هذا التفسير عندما تناولنا الشبهات

(١) الجاثية ٢١ - ٢٢ .

(٢) اعتمدنا بصورة اساسية - في عرض الشبهات ومناقشتها على ما ذكره الزرقاني في مناهل العرقان : ١ / ١٩٩ - ٢٣٢ .

بالنقد والمناقشة .

ويحسن بنا أن نذكر الفروق الحقيقية التي امتاز بها المكّي عن المدني سواء ما يتعلق بالاسلوب او بالموضوع الذي تناوله القرآن . ثم نفسر هذه الفروق على اساس الفكرة التي اشرنا اليها في صدر البحث والتي تقول أن هذه الفروق كانت نتيجة لمراعاة ظروف الدعوة والاهداف التي تسعى الى تحقيقها . لان الهدف والغاية يلقيان - في كثير من الاحيان - بظلهما على طريق العرض والمادة المعروضة . وتلخص هذه الفروق والخصائص التي يمتاز بها المكّي عن المدني غالباً بالامور التالية : (١) .

١ - ان المكّي عالج بشكل اساسي مبادئ الشرك والوثنية واسسها النفسية والفكرية ومؤداها الاخلاقي والاجتماعي .
٢ - وقد اكد على ما في الكون من بدائع الخلقة وعجائب التكوين الامر الذي يشهد بوجود الخالق المدبر لها . كما اكد على عالم الغيب والبعث والجزاء والوحي والنبوات وشرح ما يرتبط بذلك من ادلة وبراهين كما خاطب الوجدان الانساني وما اودعه الله فيه من عقل وحكمة وشعور .

٣ - والى جانب ذلك تحدث عن الأخلاق بمفاهيمها العامة مع ملاحظة الجانب التطبيقي منها وحذر من الانحراف فيها كالكفر والعصيان والجهل والعدوان وسفك الدماء وواد البنات واستباحة الاعراض واكل اموال اليتامى . . الى غير ذلك وعرض الى جانب ذلك الوجه الصحيح للاخلاق كالايمان بالله والطاعة له والعلم والمحبة والرحمة والعفو والصبر

(١) سبق ان اشرنا الى هذه الميزات وغيرها عند ما بحثت عن المكّي والمدني في السنة الاولى من دراستنا لعلوم القرآن .

والاخلاص واحترام الآخرين وبر الوالدين واكرام الجار ونظافة اللسان والصدق في المعاملة والتوكل على الله وغير ذلك .

٤ - وقد تحدث عن قصص الانبياء والرسل والمواقف المختلفة التي كانوا يواجهونها من قبل اقوامهم واممهم وما يستنبط من ذلك من العبر والمواعظ .

٥ - انه سلك طريق الايقاع الصوتي والايجاز في الخطاب سواء في الآيات او السور ويكاد ان يكون المدني بخلاف ذلك على الغالب وان كان قد امتاز بالامرير التالي .

١ - دعوة اهل الكتاب الى الاسلام مع مناقشتهم وبيان انحرافهم عن العقيدة والمنهج الحق التي انزلت على انبيائهم .

٢ - بيان التفصيلات في التشريع والنظام ومعالجة مشاكل العلاقات المختلفة في المجتمع الانساني .

التفسير الصحيح للفرق بين المكّي والمدني

وحير نريد ان ندرس ظاهرة الفرق بين المكّي والمدني من خلال هذه الخصائص والميزات نجد :

اولاً : ان الدعوة الاسلامية بدأت في مكة وعاشت فيها ثلاثة عشر سنة وهذه الفترة منسوبة الى زمن نزول القرآن تعتبر في الحقيقة فترة ارساء اسس العقيدة الاسلامية بجوانبها المختلفة سواء ما يتعلق بالجانب الالهي او الغيبي او الاخلاقي او الاجتماعي وسواء ما يتعلق بالجانب الايجابي كعرض مفاهيمها عن الكون والحياة والاخلاق والمجتمع او ما يتعلق بالجانب السلبي كمناقشة الافكار الكافرة التي كانت تسود المجتمع آنذاك .

وهذه الحقيقة تفرض - بطبيعة الحال - أن يكون القسم المكّي أكثر شمولاً واتساعاً من جانب وأن يكون مرتبطاً بمبادئ وموضوعاته بالأسس والركائز للرسالة الجديدة من جانب آخر . وهذا هو الذي يفسر لنا غلبة المكّي على المدني من الناحية الكمية مع أن الفترة المدنية تبدو - تاريخياً - وكأنها زاخرة بالأحداث الجسام والمجتمع المدني أكثر تعقيداً ومشاكل . كما أن هذا بنفسه بالإضافة إلى الفكرة التي أشرنا إليها وهي مراعاة الظروف التي تسير بها الدعوة يفسر لنا هذه الخصائص والميزات التي غلبت على المكّي من جانب والمدني من جانب آخر .

فأما بالنسبة إلى الخصيصة الأولى : نلاحظ أن المجتمع المكّي كان مجتمعاً يتسم بطابع الوثنية في الجانب العقدي بالإضافة إلى أن إيضاح الموقف تجاهها يشكل نقطة أساسية في القاعدة للرسالة الجديدة لأنها تتبنى التوحيد الخالص كأساس لكل جوانبها وتفصيلاتها الأخرى . فكان من الطبيعي التأكيد على فكرة رفض الشرك والوثنية والدخول في مناقشة طويلة معها بشق الأساليب والطرق .

وبالنسبة إلى الخصيصة الثانية : نلاحظ أن المجتمع المكّي لم يكن يؤمن بفكرة الإله الواحد كما لا يؤمن بعوالم الغيب والبعث والجزاء والوحي وغير ذلك وهذه الأفكار من القواعد الأساسية للرسالة والعقيدة الإسلامية بالإضافة إلى أن مجتمع أهل الكتاب كان يؤمن بهذه الأصول جميعها . فكان من الضروري أن يؤكد القسم المكّي على ذلك انسجاماً مع طبيعة المرحلة المكّية التي تعتبر مرحلة متقدمة كما أن بيانها في هذه المرحلة يجعل المرحلة الثانية في غنى عن بيانها مرة أخرى .

وبالنسبة إلى الخصيصة الثالثة : فلعل التأكيد على الأخلاق في القسم المكّي دون المدني كان بسبب العوامل الثلاثة التالية :

أ - ان الأخلاق تعتبر قاعدة النظام الاجتماعي فالتأكيد عليها يعني في الحقيقة ارساء لقاعدة النظام الاجتماعي الذي يستهدفه القرآن .
ب - كما ان الدعوة كانت بحاجة - من اجل نجاحها - الى استئثاره العواطف الانسانية الخيرة ليكون نفوذها في المجتمع وتأثيرها في الأفراد عن طريق مخاطبة هذه العواطف والأخلاق هي الاساس الحقيقي لكل هذه العواطف وهي الرصيد الذي يمددها بالحياة والنمو .

ج - ان المجتمع المدني كان يمارس الاخلاق من خلال التطبيق الذي كان يباشره الرسول محمد (ص) بنفسه فلم يكن بحاجة كبيرة الى التأكيد على المفاهيم الأخلاقية على العكس من المجتمع المكّي الذي كان يعيش فيه المسلمون حياة الاضطهاد وكان يمارس التطبيق فيه الأخلاق الجاهلية .

وبالنسبة الى الخصيصة الرابعة : نجد القصص تتناول من حيث الموضوع اكثر النواحي التي عالجها القرآن الكريم من العقيدة بالاله الواحد وعالم الغيب والوحي والأخلاق والبعث والجزاء بالإضافة الى انها تصور المراحل المتعددة للدعوة والمواقف المختلفة منها والقوانين الاجتماعية التي تنحكم فيها وفي نتائجها والمصير الذي يواجهه اعداؤها والى جانب ذلك تعتبر القصة في القرآن أحد اسباب الاعجاز فيه واحد الأدلة على ارتباطه بالسماء .

وكل هذه الأمور لها صلة وثيقة بالظروف التي كانت تمر بها الدعوة في مكة ولها تأثير كبير في تطویرها لصالح الدعوة واهدافها الرئيسية .

ومع كل هذا لم يهمل القسم المدني القصة مطلقاً بل تناولها بالشكل الذي ينسجم مع طبيعة المرحلة التي تمر بها كما سوف نتعرف على ذلك

عند دراستنا للمقصة .

وبالنسبة الى الخصيصة الخامسة : فقد كان لها ارتباط وثيق بجوانب مرحلية وإعجازية لأن المرحلة كانت تفرض كسر طوق الأفكار الجاهلية الذي كان مضروباً على المجتمع فكان لهذا الأسلوب الصاعق الحاد تأثير فعال في تذليل الصعوبات وتحطيم معنويات المقاومة العنيفة .
وحين يتحدى القرآن الكريم العرب في أن يأتوا بسورة منه يكون الإيجاز في السورة ابلغ في إفصاح الإعجاز القرآني واعمق تأثيراً وأبعد مدى .

وقد كانت المعركة الى ذلك كله في اولها معركة شعارات وتوطيد مفاهيم عامة عن الكون والحياة والإيجاز والقصر ينسجم مع واقع المعركة واطارها أكثر من الدخول في تفصيلات واسعة ولهذا نشاهد السور القصيرة تمثل المرحلة الأولى تقريباً من مراحل القسم المكي .
وهذه الملاحظات لم تكن تتوفر في مجتمع المدينة بعد ان أصبح الإسلام هو الحاكم المسيطر على المجتمع وبعد أن أصبحت مسألة الوحي والاتصال بالسماء مسألة واضحة وبعد ان جاء دور آخر للمعركة يفرض أسلوباً آخر في العرض والبيان .

ومن هذا الدرس الخصائص ومميزات القسم المكي تتضح مبررات الخصائص القسم المدني من الدخول في تفصيلات الأحكام الشرعية والانظمة الاجتماعية او مناقشة اهل الكتاب في عقائدهم وانحرافاتهم .
حيث فرضت ظروف الحكم في المدينة . والحاجة الى تنظيم العلاقات بين الناس الى بيان هذه التفصيلات في الأنظمة . كما ان المعركة في المدينة انتقلت من الاصول والاسس العامة للعقيدة الى جوانب تفصيلية منها ترتبط بحدودها واشكالها وبالعامل على تقويم الانحراف الذي وضعه

اهل الكتاب فيها .

وبهذا نفسر الفرق بين المكّي والمدني بالشكل الذي ينسجم مع
فكرتنا عن الوحي وفكرتنا عن مراعاة القرآن للمظروف من اجل تحقيق
اهدافه وغاياته .



اليهود في القرآن

محمد بحر العلوم

كرس القرآن الكريم كثيرا من آياته الكريمة في الحديث عن بني اسرائيل وموقفهم العدائي من الدعوات السماوية والرسل وخاصة في عهد الرسالة المحمدية التي عانت من كيد اليهود وحقتهم الشيء الكثير . ولقد كان لسورة البقرة لسط كبير في هذا الموضوع استغرق عدة آيات متواصلة يكاد الحديث فيها سلسلة مترابطة تكشف هذه الطائفة من البشر ونواباهم الماكرة الخبيثة للاسلام ورسوله العظيم (ص) وما تكنه من لؤم وحقد كبيرين .

نخص الله سبحانه وتعالى بالخطاب في سورة البقرة بني اسرائيل اهتماما بهم وتأكيدا على موقفهم المشين لانهم اقدم الشعوب الحاملة للكتب السماوية حيث جعل النبوة فيهم زمانا اطول ولذلك يطلقون على انفسهم في كتبهم (شعب الله المختار) .

ومن الاجدر ونحن نتناول هذا الموضوع الخطير في القرآن الكريم ان نقدم صورة موجزة عن تأريخهم لنقف على واقعهم التاريخي .

اسماء اليهود

اطلق عليهم عدة اسماء نوجزها بما يلي :

(١) عبرانيون وعبريون من العبر أي من عبور ابراهيم جدهم الاعلى
نهر الفرات .

(٢) بني اسرائيل واسرائيليون : نسبة الى لقب نبي الله يعقوب بن
اسحاق بن ابراهيم خليل الله وقيل معناه : الامير المجاهد مع الله او بني الله
والمراد ببنيه . ذريته من اسباطه الاثني عشر واطاق عليهم لقبه في كتبهم
وتواريخهم كما تسمى العرب القبياة كلها بأسم جدها الاعلى .

(٣) هود . . وهادو . . ومعناها : تاب ورجع الى الحق وهو اسم
احد اسباط يعقوب نبي الله (١) . . وتغلبت كلمة (يهود) على اتباعه
واصلها (يهوذا) وهو سبط من اسباط بني اسرائيل سمو بهذا الاسم تميزا
لهم عن الاسباط العشرة الذين سمو (اسرائيل) الى ان تشتت الاسباط
واسر يهوذا ، فن تم دعى نوع نسل يعقوب (يهودا) ويهوذا .

. . .

اما بالنسبة الى اصل اليهود فقد لاحظ المعينون بلغة الشرق الادنى
أوجه شبه ظاهرة بين البابلية والآشورية والكنعانية والعبرانية والفنيقية والآرامية
والعربية واللهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية وامثالها . . فقالوا بوجود
وحدة مشتركة كانت تجمع شمل هذه الاقوام واطلقوا على تلك الوحدة اسم
(الجنس السامي) نسبة الى سام بن نوح (٢).

اما المهد الاصلي فقد ذهب الاعلام في ذلك مذاهب شتى ، فرأى
نفر منهم انه ارض بابل في شمال العراق . ورأى آخرون ، ان جزيرة العرب
هي المهد الاول وذهب فريق ثالث الى أن افريقية هي وطن الساميين .

(١) اليهود في القرآن : عفيف عبد الفتاح طبارة : ١٥ - ١٦ / ط
دار العلم للملايين .

(٢) تأريخ العرب قبل الاسلام : للدكتور جواد علي : ١٤٨ / ط / بغداد

وذهب آخرون الى غير ذلك (١).

اليهود وفلسطين ، والجزيرة العربية

لقد تحرب اليهود الى الجزيرة العربية حيث قطنوا فلسطين وكانت فلسطين بمثابة القنطرة التي تربط بلاد العرب وسورية من جهة ومصر والعراق من جهة اخرى وكانت القوافل العربية تأتي من بلادها الى اسواق مدن بني اسرائيل وكنعان وكان تجار اليهود يرحلون بها الى سبأ في عهد سليمان وبعده وغيروها . وزاد عدد اليهود في فلسطين زيادة مطردة جعلت البلاد تضيق ولا تسعهم وتنفسح لعمالهم في سبيل الحياة ، وقد ضاقت بلاد فلسطين بهذا العدد وبحكم هذه الزيادة والنمو اليهودي المطرد زحفوا الى البلاد المجاورة لهم كـ مصر والعراق والجزيرة العربية .

وبعد الحرب بين اليهود والرومان قبل الميلاد بـ ٧٠ عام انتهت بخراب فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس فتشتت اليهود في مختلف انحاء العالم وكانت غير فلسطين من بلاد العرب مقصد الكثير من اليهود (٢)

يقول ابن خلدون : (ولما ظهر الروم على بني اسرائيل بالشام وقتلواهم وسبواهم خرج بنو النظير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل هاربين الى الحجاز وتبعهم الروم فهلكوا عطشا في المفازة بين الشام والحجاز) (٣)
وكانت المدينة المنورة (منطقة يثرب) المركز الاكبر لليهود عند ظهور الاسلام فانتشروا حولها في (تيماء) و (خيبر) و (وادي القرى) وبنوا فيها الحصون والمعازل حماية لانفسهم من اعتداء العرب عليهم . وقد

(١) اليهود في القرآن : ١٦

(٢) تاريخ اليهود لبلاد العرب - ولغسون : ٨-٩ / ط الاعتماد مصر .

(٣) تاريخ ابن خلدون : ٨٣ / ٢

آمنوا على انفسهم بدفع الضرائب لرؤساء القبائل الساكنة في جوارهم وعلى منح تقديم الهدايا اليهم لاسترضائهم (١)

وقد سكن المدينة عدة قبائل يهودية اشهرها بنو النضير وبنو قريضة وبنو قينقاع . كما كان يسكن في المدينة من العرب قبيلتا الاوس والخزرج وكانت هاتان القبيلتان ضعيفتين ورزقهم مشحبح . اما المال والجاه ف لليهود الى أن ذهب مالك بن عجلان من الخزرج الى ابن جبيعة ملك الغساسنة يطلب منه النصرة على اليهود وتم الفتح بهم وكانت الغلبة للعرب وقام الامر بعده للاوس والخزرج (٢)

ومن هذه الفقرات نستطيع أن نجزم بأن اليهود لم يكن لهم حكم قديم قبل الميلاد ، وانما كانت لهم المواطنة فحسب .

هذه نبذة تاريخية عن الامة الكافرة التي نبذت الطاعة للرسول محمد (ص) وحاربه ، وكادت له ولأمنته الكثير من الويلات والغمم .

وفي صدد تحليل اسباب النزاع بين الاسلام واليهود يقول الكاتب الاسرائيلي الشهير (ولغسون) : (لو وقفت تعاليم الرسول عند محاربه للديانة الوثنية فحسب ولم يكلف اليهود ان يعرفوا برسالاته لما وقع نزاع بين اليهود والمسلمين . ولكن اليهود قد نظروا بعين ماؤها التبعيل والاحترام لتعاليم الرسول ولأيديده وساعدهه بأموالهم وانفسهم حتى يحطم الاصنام ، ويقضي على العقائد الوثنية لكن بشرط الا يتعرض لهم ولدينتهم وبشرط الا يكلفهم الاعتراف بالرسالة الجديدة لان العقالية اليهودية لاتلين امام شيء يزحزحها عن دينها ، وبأى ان تعترف بأنه يوجدني من غير بني اسرائيل) (٣)

(١) تاريخ ابن خلدون : ٢ / ٨٤

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي : ٦ / ٩

(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب - ولغسون : ١٢٢

ولكن الله سبحانه ما كان يفضل قوماً أو يجعلهم في مناهة من أمرهم
لقد كانت رسالته لليهود اصلاح مائطاً على دينهم من بدع وما اعتورت
اخلاقهم من فساد وانحراف عن اصول دينهم :

١ - دعوة اليهود للايمان بالاسلام

« يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
وأوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون .
وآمنوا بما انزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا
أول كافر به ، ولا تشكروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي
فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكنموا الحق
وانتم تعلمون . واقموا الصلاة ، وآتوا الزكاة
واركعوا مع الراكعين » .

« أناأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ، وانتم
تتأولون الكتاب أفلا تعقلون . واستعينوا بالصبر
والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون » .

الآية : ٤٠ - ٤٦

(يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم)

التداء عام من رب العزة الى بني اسرائيل يذكرهم بنعمة الجنة التي
تفضل بها عليهم وعلى آباءهم من جميع النعم الواصلة اليهم مما اختصوا بها
(وأوفوا بعهدي اوف بعهدكم)

العهد : هو العقد عليهم في الكتاب السابق بما امروا به ، ونهوا عنه

قال بعضهم :

« انما جعله عهداً لتأكيد به بمنزلة العهد الذي هو اليمين . قال ابن عباس

أوفوا بما أمرتكم من طاعتي ونهيئكم عن معصيتي في النبي (ص) وغيره « (١)
(أوف بعهدكم) أرض عنكم وادخلكم الجنة وسمي ذلك عهدا لأنه
تقدم بذلك اليهم في الكتب السابقة . (وإياي فارهبون) الرهبة ، الخوف
وقد فرقت بعض المصادر بين الخوف والرهبة فقالت :

الخوف : هو شك أن الضرر يقع أم لا . والرهبة : معها العلم بأن
الضرر واقع عند شرط ، فإن لم يحصل ذلك الشرط لم يقع . (٢)
والفقرة تقرر ، أن الله خاطب عباده بأنه هو الذي أنعم على البشر
كل النعم وهو وحده القادر على سلبها ، وعلى العقوبة على ترك الشكر عليها
فهو وحده الذي يرهب دون غيره .

(وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم)

آمنوا - معناه صدقوا . . والمخاطبين هم بنو إسرائيل ويدل عليه وجهاً :

الاول : أنه معطوف على قوله (اذكروا نعمتي التي أنعمت) .

الثاني : أن قوله تعالى (مصدقا لما معكم) يدل على ذلك (٣).

والمقصود بقوله (بما أنزلت) يعني ما أنزلت على محمد (ص) من
القرآن (مصدقا لما معكم) يعني أن القرآن مصدق لما مع اليهود من بني
إسرائيل من التوراة وأمرهم بالتصديق بالقرآن وإخبارهم أن فيه تصديقهم
بالتوراة لأن الذي في القرآن من الأمر بالاقرار بنبوة محمد (ص) وتصديقه
نظير الذي في التوراة والإنجيل وموافق لما تقدم من الأخبار به فهو مصدق
ذلك الخبر .

(ولا تكونوا أول كافر به)

(١) التبيان : ١ / ١٨٣

(٢) التبيان : ١ / ١٨٤

(٣) تفسير الرازي : ٣ / ٤٠

قال قوم : يعني بالقرآن من أهل الكتاب لان قريشا كفرت به قبلهم بمكة .
وقيل : معناه لانكونوا السابقين بالكفر فيه فيتبعكم الناس . أي لانكونوا
أنمة في الكفر به .

وقيل : لانكونوا اول كافر به أي اول جاحد به فلان صفته في كتابكم
وجميع المعاني متقاربة فسيحانه وتعالى بينهم ان يكونوا اول من يعد من
الكافرين به .

(ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون)

تحذير من الله على عدم طاعته وحجر آياته الخلافة ونهاية الآية لا يختلف
عن نهاية سابقتها . الا أن الفرق بين الرهبة والانتقاء هو ان الرهبة : عبارة
عن الخوف . اما الانتقاء : فأنما يحتاج اليه عند الجزم بحصول ما ينتهي
منه فكانه تعالى امرهم بالرهبة لاجل ان جواز العقاب قائم ثم امرهم
بالتقوى لان تعين العقاب قائم (١)

وقال الامام أبي جعفر الباقر (ع) في معنى هذه الفقرة : كان ليجي
بن الخطب وكعب بن اشرف وآخرين منهم ما كلة على يهود في كل سنة
وكرهوا بطلانها بأمر النبي (ص) فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته
وذكره . فذلك الثمن القليل الذي اريد به في الآية (٢) فحرفوا الآيات
السموية من أجل امر دنيوي زهيد (وإياي فاتقون) .

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون) . وفي معنى
هذه الفقرة قولان :

الأول : قال الرازي : الاغراء والاحلال لا يكون الا بطريقين :

١ - أما أن يكون ذلك الانسان قد سمع دلائل الحق فإضلاله لا يمكن

(١) تفسير الرازي : ٤٢ / ٣

(٢) التبيان : ١ / ١٨٨

الا بتشويش تلك الدلائل عليه .

٢ - وان كان لم يسمعها فإضلاله إنما يكون بإخفاء تلك الدلائل عنه ومنعه من الوصول اليها .

فقوله : (ولا تأبسوا الحق بالباطل) إشارة الى القسم الاول وهو تشويش الدلائل عليه .

وقوله : (وتكتموا الحق) إشارة الى القسم الثاني وهو منعه من الوصول الى الدلائل (١).

الثاني : قال الطوسي : ومعنى لبسهم الحق بالباطل : انهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض فخلطوا الحق بالباطل لانهم جحدوا صفة مجد (ص) فذلك الباطل . واقرؤا بغيره مما في الكتاب على ما هو به وذلك حق .

ومعنى تكتمون الحق : أي تتركون الاعتراف به ، وانتم تعرفونه ، أي تجحدون ما تعلمون ، وجحد المعاند اعظم من جحد الجاهل (٢)

(وانتم تعلمون) : انكم تعلمون انكم تظهرون خلاف ما تبطنونه .
(واقیموا الصلاة وآتوا الزكاة وارکعوا مع الراکعين) .

ان الله سبحانه وتعالى لما امر بني اسرائيل بالايمن اولا ثم نهاهم عن لبس الحق بالباطل وكنهان دلائل النبوة ثانيا - ذكر بعد ذلك بيان ما لزمهم من الشرائع وذكر منها جملة تعتبر هي الاصل . فالصلاة هي اعظم العبادات البدنية ، والزكاة هي اعظم العبادات المالية . وهي دعوة كريمة للاندماج في موكب الايمان والدخول في الصف واداء عبادته المفروضة . وترك هذه العزلة والتعصب الذميم وهو ما عرفت به اليهود من القديم .

(أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم)

(١) تفسير الرازي : ٤٣ / ٣

(٢) التبيان : ١ / ١٩٦

الخطاب عام لليهود حيث وبخهم على انهم كانوا يأمرؤن الناس بالبر
كالاخذ بالحق ومعرفته لاهله وعمل الخير والوعد عليه بالسعادة مع الغفلة
عن انفسهم وعدم تذكير ما بذلك .

ولا خلاف ان كل طاعة لله تعالى تسمى برا واختلف المفسرون في
المراد بذلك . . فقال ابن عباس : ان المراد به التمسك بكتابتهم فكانوا
يأمرؤن اتباعهم ويتركؤن هم انفسهم التمسك به ، لان جمعتهم النبي (ص)
هو تركهم التمسك به .

وقال قتادة : كانوا يأمرؤن الناس بطاعة النبي (ص) وبخالفون ذلك
وقال قوم : ان معناه انهم كانوا يأمرؤن ببذل الصدقة ويبخلون بها .
وقال بعضهم : البر . . الصدق من قولهم : صدق وبر . ومعناه :
انهم يأمرؤن بالصدق ولا يصدقون (١) .

وتعبير نسيان الانفس يدل على عمق ، فإن من شأن الانسان ان لا ينسى
نفسه من الخير ولا يحب أن يسبقه احد الى السعادة .

وتقلت المصادر ان هناك فرقا بين النسيان والسهو :

فالنسيان : لا يكون الا بعد الذكر .

والسهو : يكون ابتداء وبعد الذكر .

ومعنى الآية : اذا كنتم موقنين بوعد الكتاب على البر ووعيده على
تركه فكيف نسيتم انفسكم (وانتم تتلون الكتاب) ؟ .

تخاطبهم هذه الفقرة بأنكم تأمرؤن الناس باتباعه وتعرفون منه ما لا يعرفه
غيركم ولا تلتزموا به . وفرق كبير بين من يفعل وينقصه العلم بفوائد ما يفعل
ومن يترك وهو عليم بمزايا ما يترك .

قال ابن عباس : ان المقصود بالكتاب الذي كانوا يتلون (التوراة)

(١) التبيان : ١٩٧ / ١

وقال ابو مسلم : كانوا يأمرؤن العرب باتباع الكتاب الذي في ايديهم
فاما جاءهم كتاب مثله لم يتبعوه (١).
(أفلا تعقلون)

أي أفلا عقل لكم يحبسكم عن هذا السفه ويحذركم وخامة عاقبته فإن
من عنده أدنى مسكة من العقل لا بدعي كمال العلم بالكتاب ويقوم بالارشاد
الى هديه ويبين للناس سبيل السعادة باتباعه ثم هو لا يعمل به ولا يستمسك
بأوامره ونواهيه .

وهذا الخطاب وان كان موجها الى اليهود فهو عبرة لغيرهم فلتنظر
كل امة افرادا وجماعات في احوالها ثم لتحذر ان يكون حالها كحال اولئك
القوم فيكون حكمها عند الله حكمهم فالجزاء انما هو على اعمال القلوب
والجوارح لاعلى صنف خاص من الشعوب والافراد (١).
(واستعينوا بالصبر والصلاة) .

قال بعض المفسرين : هذا خطاب للمؤمنين دون أهل الكتاب .
وقال الطبري وغیره : انه خطاب لاهل الكتاب ويتناول المؤمنين على
وجه التأديب .

قال شيخنا الطوسي : والاقوى ان يكون خطابا لجميع من هو بشرائط
التكليف لفقد الدلالة على التخصيص ، واقتضاء العموم ذلك .
واستعينوا بالصبر على مايراد منكم ما فيه سعادتكم في الدين والدنيا
وتوصلوا اليه بالاسباب المروضة والموجهة لكم من الله في استعانته وطلب توفيقه
والصلاة : ففي اقوالها واذكارها يهدي الى كل خير وهي باب الله
في مناجاته والاستعانة به وكان النبي (ص) اذا حزنه امر استعان بالصلاة

(١) التبيان : ١٩٨ - ١٩٩ / ١

(٢) تفسير المراغي : ١٠٢ / ١

والصوم ووجه الاستعانة بالصلاة لما فيها من تلاوة القرآن والدعاء والخضوع لله تعالى :

« ان الصلاة صلاة ولقاء بين العبد والرب صلاة يستمد منها القلب قوة وتحس فيها الروح صلاة وتجدد فيها النفس زاد انفس من اعراض الحياة الدنيا . . ان هذا النبيوع السداق في متناول كل مؤمن يريد زادا للطريق وريا في الهجير ومددا حين ينقطع المسدد ورصيذا حين ينفسد الرصيد » (١).

(وانها لكبيرة الا على الخاشعين).

الضمير في قوله (وانها لكبيرة) عائد على الصلاة عند اكثر المفسرين لقربها منه ولانها الاهم والافضل ولتأكيد حالها وتفخيم شأنها وعموم فرضها ومعنى الكبيرة : اى ثقيلة واصل ذلك ما يكبر ويثقل على الانسان حماء كالأحمال الجافية التي يشق حملها : ففيل لما يصعب على النفس وان لم يكن من جهة الحمل يكبر عليها تشبيها بذلك .

والخشوع : قال صاحب العين الرجل يخشع خشوعا : اذا رمى ببصره الارض واختشع اذا طأطأ رأسه كالمتواضع . والخشوع قدير المعنى من الخضوع الا أن الخضوع في البسدن والاقرار بالاستخدام والخشوع في الصوت والبصر .

قال الله تعالى :

(خاشعة ابصارهم) و (خشعت الاصوات للرحمن) اى سكنت وانما خص الخاشع بأنها لا تكبر عليه لان الخاشع قد تواطأ ذلك له بالاعتباد له والمعرفة بما له فيه ففسد صار بذلك بمنزلة مالا يشق عليه فعله ولا يثقل تناوله .

(١) في ظلال القرآن : ١/ ١٨٦

وفسر البعض : (الخاشعين) في الآية بالخائفين (١) :
ثم وصف الخاشعين وصفا يناسب المقام ويظهر وجه الاستعانة به فقال :
(الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون)
ويأتي الظن بمعاني كثيرة . منها بمعنى العلم واليقين وقد ورد في القرآن
بهذا المعنى كثيرا .

ففي معنى علم قوله تعالى : (ظننت اني ملاق حسابه) (٢) اي
علمت . وفي معنى اليقين قوله تعالى : (وظنوا ان لاملجأ من الله الا
اليه) (٣) ومعناه استيقنوا . والى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة في
المعنيين . والظن في الآية الكريمة المقصود به العلم واليقين (٤).

ان الخاشعين هم الذين يتوقعون جزاء الله تعالى يوم الحساب على
صالح اعمالهم فجعل سبحانه ملاقاته الجزاء ملاقاته له تفخيما وتعظيما لشأن
الجزاء والافاصل الملاقات الملائمة من قولك : التقى الحدان اي تلاصقا
ثم كثر حتى قالوا التقى الفارسان اذا تحاذيا ولم يتلاصقا .

ثم ان اليقين بالرجعة اليه وحده في كل الامور هو مناط الصبر والاحتمال
وهو مناط التقوى والحساسية كما انه مناط الوزن الصحيح للقيم . قيم الدنيا
وقيم الآخرة . ومتى استقام الميزان في هذه القيم بدت الدنيا كلها ثمنا قليلا
وعرضا هزيبا . وبدت الآخرة على حقيقتها التي لا يتردد عاقل في اختيارها
وابثارها (٥).

٢ - غرور اليهود بافضليتهم على البشر :

« يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت

(١) التبيان : ٢٠٤ / ١ (٢) الحاشية : ٢ (٣) التوبة : ١١٩

(٤) التبيان : ٢٠٥ - ٢٠٦ / ١ (٥) في ظلال القرآن : ٨٦ / ١

عليكم واني فضلتكم على العالمين .
وأنقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا
يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم
ينصرون » .

الآية : ٤٧ - ٤٨

(يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على
العالمين) .

ان تفضيل بني اسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم
فاما بعدما عتوا من أمر ربهم وعصوا انبيائهم وجحدوا نعمة الله عليهم
وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم فقد اعلان الله حكمه عليهم باللعنة والغضب
والذلة والمسكنة وقضى عليهم بالنشريد وحق عليهم الوعيد .

(وتذكيرهم بتفضيلهم على العالمين هو تذكير لهم بما كان لهم من فضل
الله وعهده واطاع لهم ليتتهزوا الفرصة المتاحة على يدي الدعوى الاسلامية
فيعودوا الى موكب الايمان . والى عهد الله شكرا على تفضيله لآبائهم ورغبة
في العودة الى مقام التكريم الذي بناله المؤمنون) (١)

(وأنقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا) .

لما بين سبحانه نعمه العظام عليهم انذرهم في كفرانها بيوم القيامة
فقال : (وأنقوا) أي احذروا واحشوا (يوما لا تجزى) لانغي اولانقضي
فيه (نفس عن نفس شيئا) ولا تدفع عنها مكروها وقيل لا يؤدي احد
عن أحد حقا وجب عليه او لغيرها .

ان كل نفس مسؤولة عن نفسها ولا تتحمل نفس عن نفس تبعه

(١) في ظلال القرآن : ١ / ٨٧

فردية فان الله قد منح الانسان عقلا يميز فيه وارادة يقف بواسطتها ضد رغباته (ولا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل) .

قال المفسرون : حكم هذه الآية مختصة باليهود لانهم قالوا نحن اولاد الانبياء وآباؤنا يشفعون لنا فأبأسهم الله عن ذلك .

(ولا يؤخذ منها عدل) العدل المذكور في الآية : القدية روى ذلك عن النبي (ص) وانما سمي القداء عدلا لانه يعادل المفدى ويمثله وهو قول ابن عباس ومعناه لا يؤخذ من احد قداء يكفر عن ذنوبه (١)
(ولا هم ينصرون)

اي اهل ذلك اليوم المدلول عليه بتعدد النفوس ليس لهم ناصر على الله ينجيهم من حسابه وعذابه .

٣ - صور من نعيم الله عليهم

« واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء

العذاب يلذخون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي

ذلكم بلاء من ربكم عظيم » .

واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم واغرقنا آل فرعون

وانتم تنظرون » .

الآية : ٤٩ - ٥٠

وبدا سبحانه وتعالى يعدد الائه عليهم وكيف استقبلوا هذه الالاء

وكيف جحدوا وكفروا وحادوا عن الطريق . وفي مقدمة تلك الالاء .

(واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب) .

الوان من الكرب والبلاء قد اصيب به اليهود من آل فرعون ملك

(١) مجمع البيان : ١ / ١٠٤

العمالقة حيث اخذ سبحانه يرسم صوراً ومشاهد امامهم ليتذكروا نعمه وهي الكثيرة جداً فخلصهم الله منها وانجاهم من سوء عذاب شديد . وبعد ذلك اخذ يرسم الوانا من ذلك العذاب الذي اصابهم منها .

(يذبحون ابناءكم) كان فرعون يأمر بذبح الذكور واستبقاء الاناث لاضعافهم وقطع نسلهم .

(ويستحيون نساءكم) وهذا بلاء آخر قيل : كانوا يتركون البنات احياء لاجل الخدمة . وقيل : كانوا يستبقونهن ويدعونهن احياء لينكحن على وجه الاسترقاق (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فقد كان استحياء النساء محنة عليهم وبلوى لهم لأنهم كثيراً ما كانوا يستعبدونهن وينكحوهن على الاسترقاق فهو على الرجال اعظم من القتل .

والسبب في أن فرعون كان يذبح الابناء ويستحيي النساء ما ذكره السدى وغيره . ان فرعون رأى في منامه كأن نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحترقت القبط وتركت بني اسرائيل فهاله ذلك ودعا السحرة والكهنة فسألهم عن رؤياه فقالوا انه بولد في بني اسرائيل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فامر بني اسرائيل الا بولد لهم غلام الا ذبحوه ولا جارية الا تركت ووكل بهن فكن يفعلن ذلك واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فجاء كبارهم الى فرعون وشكوا فناء بني اسرائيل فأمر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها فانجاه الله من القتل (١).

ثم انتقل الى مشهد آخر لا يخاف من بلاء .
(وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون)

(١) مجمع البيان : ١٠٦ / ١

لقد وردت تفصيلات لقصة موسى وبني اسرائيل في كثير من السور
اما هنا فقد اشار اليها سبحانه في معرض تذكيرهم بنعمه عليهم وسوف تمر
علينا مفصلا في قصة موسى (ع) .

ومعنى قوله (فرقنا بكم البحر) اى جعلناكم بين فرقيه تمرّون في
طريق يبس ولم تفرقوا فيه . ولكن (اغرقنا آل فرعون) في البحر (وانتم
تنظرون) وانتم ترون ذلك وتشاهدون كيف انفرق البحر والتظمت امواجه
بآل فرعون حتى غرقوا .

٤ - قساوة قلوب اليهود

ثم قسبت قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه
الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن
منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما
عما تعملون (.

الآية : ٧٤

ان القساوة من طباع اليهود المقيتة وقد اوضحها الله سبحانه بهذه
الآية الكريمة التي وصفت قساوة قلوبهم وشبهتها بالحجارة الصلبة اليابسة
بل انها اشد قسوة منها لان الحجارة قد تتأثر وتنفعل بالماء الرقيق فيشقها
وينفذ منها بقلة او كثرة فيحي الارض وينفع النبات والحيوان ولكن قلوب
اليهود لاتلين . فهي اشد قسوة من الحجارة اذ لاشعور فيها يأتي بخبر ولا
عاطفة تفيض منها بعبرة والحجارة ليست كذلك لان منها ما يفيض بالخيرات
ان الآيه الكريمة اطلقت لفظ القلوب على النفس الناطقة لان من شأن

القلب ان يتأثر مما يتأثر منه الوجدان او العقل او الروح مطلقا وقلوب بني اسرائيل قست الى درجة فقدت بها خاصية التأثر والانفعال فلم تعد الحكم والعظات والعبر تصل الى قلوبهم فهبطوا من سمو الروح الانساني الى رتبة الجهاد بل الى مادون ذلك .

ولقد وصف الله سبحانه ابن الحجارة :

١ - (وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار) .

وتذهب اكثر التفاسير الى ان المقصود بالحجارة الاولى ، حجارة الجبال تخرج منها الانهار .

٢ - (وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء) .

قال الحسين بن علي المغربي . المقصود بها حجر موسى (ع) الذي كان يضربه فتخرج منه العيون .

٣ - (وان منها لما يهبط من خشية الله) .

قيل : المراد بها حجارة الصواعق ، وقيل : هبوط الحجارة ما يحدث من انشقاق الصخور على قلال الجبال ، وتفسرها الى قطعات صغار بواسطة الزلازل . وكل هذه مستندة الى اسبابها الطبيعية هبوطا من خشية الله تعالى لان جميع الاسباب منتبهة الى الله تعالى (١) .

٥ - الغدر والحقد من خلقهم :

« واذا اخذنا ميثاقكم لانسفكون دماءكم ولا تخرجون
انفسكم من دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم
انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم

(١) راجع : التبيان : ٣٠٦ - ٣١٢ / ١ وجمع البيان : ١٣٨ - ١٤١ / ١

وتفسير الميزان : ٢٠٤ - ٢٠٥ / ١ وتفسير المنار : ٣٥٢ - ٣٥٤ / ١

من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان ،
وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم
اخراجهم . افتمنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي
في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب
وما الله بغافل عما تعملون .

الآية : ٨٤ - ٨٥

ان الخطاب مستمر لبني اسرائيل لكشف طباعهم ونفسياتهم للبشر
ليكون على حذر منهم . لقد اخذ الله من اليهود عهدا ان لا يغدروا باحد
ولا يحقدوا على احد ، ولكنهم تجاهلوا فغدروا بكل المثل الانسانية ،
والقيم الاخلاقية .

ان الغدر والحقد يدفع باليهود ان يقتل اليهودي كل من لم يتحالف
معه وان كان محرم عليه قتله بنص ميثاق الله ، وكانوا يخرجونهم من ديارهم
اذ اغلب فريقتهم ، وينهبون اموالهم ويأخذون سباياهم .

ويمكن ان نقف على حقيقة هذه الظاهرة جلية مايقوله كتابهم المقدس
بما نصه : « واباسوا - اي اسلموا للهلاك - جميع ما في المدينة من رجل
وامرأة وطفل وشيخ حتى البقرة والغنم ، والحمير بحمد السيف » (١)
وتحدث عنهم غوستاف ليون العالم الاجنماعي الكبير قائلا :

(ولم يكن تأريخ اليهود الكثيب غسير قصة لضروب المنكرات .
فن حديث الاسارى الذين كانوا ينشرون بالمنتشار احياء او الذين كانوا
يشوون على الافران ، فالى حديث المالكات اللاتي كن يطرحن لتأكلهن
الكلاب ، فالى حديث سكان المدن الذين كانوا يذبجون من غير تفريق بين

(١) اليهود في القرآن : عن سفر يشوع فصل : آية : ٢١

الرجال والنساء والشيب والولدان (١)

هذا التناقض هو الذي يواجههم به القرآن وهو يسألهم في استنكار
(افنؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) .

وهذا هو الغدر والحقد الذي نعى عليه الطبع اليهودي ، فهددهم الله
بالخزي في الحياة الدنيا والعذاب الاشد في الآخرة مع التهديد الخفي بأن الله
ليس غافلا عنه ولا متجاوزا له .

« أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا

يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون »

الآية : ٨٦

هكذا كانت نهايتهم اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة . وقصة شرائهم
الحياة الدنيا بالآخرة هنا في هذه المناسبة تعرضها بعض المصادر التفسيرية
فتقول :

(هي ان الدافع لهم على مخالفة ميثاقهم مع الله هو استمساكهم بميثاقهم
مع المشركين في حلف يقتضي مخالفة دينهم وكتابهم فان انقسامهم فريقين
وانضمامهم الى حالفين هي خطة اسرائيل التقليدية في امساك العصا من الوسط
والانضمام الى المعسكرات المتطاحنة كاهما من باب الاحتياط لتحقيق بعض
المغانم على اية حال وضمان صوالح اليهود في النهاية سواء انتصر هذا المعسكر
ام ذاك وهي خطة من لا يثق بالله ولا يستمسك بميثاقه ويجعل اعتماده كله
على الدهاء وموائيق الارض والاستنصار بالعباد لابرر العباد والايان يحرم
على اهله الدخول في حلف يناقض ميثاقهم مع ربهم ويناقض تكاليف شريعتهم
باسم المصالحة او الوفاة فلا مصالحة الا في اتباع دينهم ولا وقاية الا بحفظ

(١) اليهود في تأريخ الحضارات الاولى - ترجمة الاستاذ عادل زعير

عهدهم مع ربهم (١)

٦ - اليهود عبيد الدنيا

« ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدثهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحرجه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون » .

الآية : ٩٦

قال ابن عباس : ان المعنى بهذه الآية هم اليهود ومن الذين اشركوا هم المجوس وهم الذين يود احدثهم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحرجه واليهود احرص منهم على الحياة . ومهما استطال به المقام فالعذاب ليس بمزحرج عنهم ولم يدفعه عنهم طول العمر .

انهم يودون ان يعمروا الف سنة لانهم يعتقدون ان حساب الله معهم عسير فلا يرجون لقاءه ولا يحسون بحياة غير الحياة التي يعيشونها . ان الايمان بالحياة الآخرة نعمة تفاض على القلب نعمة يهبها الله للفرد الفاني المحدد الاجل وان وسعة الامل وحب الدنيا تدفع به ان يعتمد على نفسه ويبنى آماله العريضة ويتناسى ان لله حسابا ويوما يكشف فيه كل شيء .
(فاليهود هم احرص الناس على مطلق حياة وهم احرص من الذين اشركوا لانهم يتمتعون مطلق حياة فهم لا يؤمنون بحياة اخرى فترى الواحد منهم يتمنى ان يطول عمره في هذه الدنيا الف سنة ولكن تمنيتهم هذا

(١) في ظلال القرآن : ١١٥ / ١

لو تحقق لن ينجيهم من عذاب الله جزاء اعمالهم (١) .

٧ - نكث العهود والمواثيق .

(أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل
أكثرهم لا يؤمنون .
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله
وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) .
الآية : ١٠٠ - ١٠١ .

النبذ : النقض . وقيل : الترك . وقيل : الالقاء . والمعنى متقارب .
والرسول : ذهب أكثر المفسرين إلى أن المعنى به محمد (ص)
ورسالته العظيمة (٢) والآية الكريمة تقرر أن الميثاق الذي أخذه الله
منهم بأن يؤمنوا بالرسالة المحمدية على يد أنبيائهم ورسولهم وإن يعينوا
عليه أحدا فقد نقضوه . ونكثوا عهودهم تلك التي جاءت في التوراة ،
فعانوا على رسول الاسلام (ص) قريشا يوم الخندق وحاولوا بث الفرقة
والفتنة في الصف المسلم مخالفين ما عاهدوا الله عليه على يد الانبياء .
وشهادة القرآن بحقهم بأنهم نكثوا العهود والمواثيق كافية لادانتهم ، لأن
القرآن كلام الله المجيد ولا يمكن أن ينسب له المبالغة .

(١) اليهود في القرآن : ٢٨ .

(٢) التبيان : ٣٦٧ - ٣٦٨ / ١ .

٨ الشعوذة والسحر عند اليهود :

(واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ،
وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين
ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من احد
حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون
منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ، وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما
يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله
في الآخرة من خلاق ، ولبيس ما شروا به انفسهم
لو كانوا يعلمون) .

(ولو انهم آمنوا واتقوا لثوبة من عند الله خير
لو كانوا يعلمون) .

الآية : ١٠٢ - ١٠٣ .

اختلف المفسرون في المعنى بقوله : (واتبعوا) على ثلاثة اقوال :

- ١ - المراد به اليهود الذين كانوا في زمن النبي (ص) .
- ٢ - المراد به اليهود الذين كانوا في زمن سليمان .
- ٣ - المراد به الجميع . . وهو رأي المتأخرين ، لان مبتغي السحر
من اليهود .

لم يزالوا منذ عهد سليمان الى ان بعث محمد (ص) .
(وتتلوا) تقرأ - على حد رأي قتادة - والذي تتلوه هو السحر

(على ملك سليمان) : على عهد سليمان .

(والشياطين) قال بعضهم : هم شياطين الجن ، لان ذلك هو المستفاد من اطلاق هذه اللفظة ، وقال آخرون : المراد به شياطين الانس المتمردة في الضلالة . (على ملك سليمان) اي ما كانت تتلوا على عهده وفي ايام ملكه ، اذ زعموا ان ملكه قام على اساس السحر والطلسمات وانه ارتد في آخر عمره ، وعبد الاصنام مرضاة لنسائه الوثنيات .

(وما كفر سليمان) لان السحر لما كان كفراً ، نفى الله تعالى عنه ذلك المعنى ولقد ادعى ان سليمان جمع كتب السحر تحت كرسيه ، وقيل : في خزانته لئلا يعمل به فلما مات وظهر عليه ، قالت الشياطين لهذا كان يتم ملكه ، وشاع في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمان . وقيل : انهم وضعوا كتاب السحر بعد سليمان و اضافوه اليه ، وقالوا : لهذا كان يتم له مكان فيه ، فكان بهم الله تعالى في ذلك ونفى عنه هذه التهمة الباطلة .

(ولكن الشياطين كفروا) بما نسبوه الى سليمان من السحر . .
(يعلمون الناس السحر) ليفتنوا به العامة ، ويضلونهم عن طلب الاشياء من اسبابها الظاهرة ومناهجها المشروعة .

ولقد ذهبت بعض المصادر بأن الفقرة (يعلمون الناس السحر) متصلة بالكلام عن اليهود ، وان الكلام عن الشياطين قد انتهى عند القول بكفرهم . . وانتحال اليهود لتعليم السحر امر كان مشهوراً في زمن التنزيل ، ولا يزالون ينتحلون ذلك الى اليوم ، ومن اجل هذا نبذ فريق من اليهود كتاب الله ، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان واتهامه بالسحر ، ولهذا نفى الكتاب الكريم الكفر عن سليمان والصقه بالشياطين الكاذبين ، وانما كان القصد الى وصف اليهود بتعليم السحر

لأنه من السيئات التي كانوا متلبسين بها ويضعرون بها الناس خداعاً وتمويهاً وتلبيساً .

وصنف ابن خلدون السحر اصنافاً ثلاثة :

١ - السحر بالمعنى المفهوم عند الفلاسفة : وهو التأثير بالهمة من غير آلة ولا معين .

٢ - والطلسمات : وهو التأثير بجمعين من مزاج الافلاك والعناصر او خواص الاعداد .

٣ - والشعوذة او الشعوذة : وتكون بالتأثير في القوى المتخيلة والتصرف فيها بقوة نفس الساحر المؤثرة حتى يرى الرأي شيئاً في الخارج وليس هناك شيء (١) .

واليهود عمدوا الى اتقان هذه الصنعة للسيطرة على الناس ، يقول الاستاذ عفيف طيارة : وفكرة التوصل الى الشياطين فكرة يهودية في الاصل ، بل هي من تقاليد اليهود ومعتقداتهم ، وقد ورد في التلمود : (اذا استطاعت العين ان تبصر الشياطين التي تعمر الكون كله كانت الحياة ضرباً من المستحيل ، ذلك لان الشياطين اكثر منا عدداً وهم يحيطون بنا من كل صوب ، ولكل منا على يساره الف شيطان ، وعلى يمينه عشرة آلاف) .

ويعود التلمود لرسم الطريق الذي يستطيع الانسان به ان يبصر الشياطين وغيرها من ضروب الوهم (٢) .

ولم يكن دافعهم من ذلك الا السيطرة على عقول الناس ، وتقويض النظم الاجتماعية واشاعة الفوضى ، ليكون لهم الجو صالحاً لغرس مطامعهم

(١) مقدمة ابن خلدون : ١٢٦

(٢) اليهود في القرآن : ٥٤

وامالهم في امتصاص البشرية لصالح اليهودية .

(وما انزل على الملكين بيابيل هاروت وماروت)

كان اليهود يدعون انهما كانا يعرفان السحر ، ويعلمانه للناس ،
ويزعمان ان هذا السحر انزل عليهما ، فنفى القرآن الكريم هذه القرية
بتنزيل السحر على الملكين من اجل اعتباره شيئاً محموداً .

(وما يعلمان من احد حق يقولان انما نحن فتنه فلا تكفر)

ان هذين الملكين كانا فتنه للناس بحكمة مضية ، وانهما كانا
يقولان لكل من يجيء اليهما ، طالباً منهما ان يعلماه السحر . انما
نحن اختبار وبلوى وامتحان ، فلا تكفر ونحن مفتونون ، فلا تكن
مثلنا . ولكن بعض الناس يصرون على تعلم السحر منهما ، على الرغم
من تحذيرها وتبصيرها ، وعندئذ تحقق الفتنة على بعض المفتونين .

(فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه)

وهنا يبدو تساؤل ذلك كيف يفرق بين المرء وزوجه ؟ ذكرت
بعض المصادر اقوالاً ثلاثة :

الاول : انه اذا تعلم السحر كفر فحرمت عليه زوجته .

الثاني : ان يفسد بينهما بالنميمة ، فيفضي الى الطلاق والبيئونة .

الثالث : يوجد كل واحد منهما على صاحبه ، ويبغضه اليه .

(وما هم بضارين به من احد الا باذنه)

لا يمكن ان يتحقق شيء اذا لم يكن مقروناً بإرادة الله . واقرب
ما يمثل هذه القاعدة في مثل هذا المقام ، انك اذا عرضت يدك للنار
فانها تحترق ، ولكن هذا الاحتراق لا يكون الا باذن الله ، فالله هو الذي
اودع النار خاصية الاحتراق ، واودع اليد خاصية الاحتراق بها ، وهو
قادر على ان يوقف هذه الخاصية حين لا ياذن للحكمة خاصة يريدتها كما

وقع لابراهيم - عليه السلام - وكذلك هذا السحر الذي يفرقون به بين المرء وزوجه ينشيء هذا الاثر بأذن الله ، وهو قادر على ان يوقف هذه الخاصية فيه حين لا يأذن للحكمة خاصة يريد بها (١) .

(ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم)

يضرهم لانه سبب في الاضرار بالناس وهو محرم يعاقب الله تعالى عليه في الآخرة ومن عرف باذاء الناس ، ويكونون عليه (ولو عقل السفهاء الذين يختلفون اليهم يلتمسون المنافع لانفسهم ، والابقاع باعدائهم لعلوموا ان الشقي في نفسه لا يمكن ان يهب السعادة لغيره ، لان فاقد الشيء لا يعطيه ، هذه حالهم في الدنيا فكيف يكونون في الآخرة) .

(ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق)

الخلاق : النصيب من الخير . . وانهم يعلمون ان من اختار هذا واستبدله بما آتاه الله من اصول الدين الحق ، واحكام الشريعة العادلة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة فليس له نصيب في نعيم الآخرة .

(ولبئس ما اشترؤا به انفسهم لو كانوا يعلمون)

يا سوء ما قدموا عليه ، وتناقت اليه نفوسهم ، ولو كانوا يعلمون بما علموه بغير عن المعلوم بالعلم - لما قدموا على ذلك .

(ولو انهم آمنوا واتقوا لمتوبة من عند الله)

الضمير في قوله : (ولو انهم آمنوا) عائد على الذين يتعلمون السحر من اليهود اي لو انهم استبدلوا الايمان بما جاء به النبي (ص) بهذا السحر الخادع ، واتباع نزعات الشياطين . . او لو آمنوا بكتابهم ايماناً حقيقياً ، ومنه البشارة بالنبي ، والامر باتباعه واتقوا بالعمل به والمحافظة على حدوده مغبة ما ينتظره المجرمون من العقوبة على العصيان

(١) في ظلال القرآن : ١٢٧ / ١ .

لكان ثواب الله لهم على الايمان الصحيح ، والعمل الصالح خيراً لهم من جميع ما توهموه في المخالفة من المنافع . . ثم قال (لو كانوا يعلمون) .
 (اي انهم في كل ما هم عليه من الاباطيل ، ومن زعمهم انها ترجع الى الكتاب بضروب من التأويل يتبعون الظنون ، ويعتمدون على التقليد وليسوا على شيء من العلم الصحيح ولو كانوا يعلمون علماً صحيحاً لظهر اثره في اعمالهم ، ولأمنوا بالنبي (ص) واتبعوه فكانوا من المفلحين) (١)
 بعد هذا نرى ان السحر يؤدي الى الكفر بالله ، ذلك لانه يصرف عن عبادته وحده والسير على مقتضى شريعته ، والاسباب الطبيعية التي منها الله ، بينما السحر يجعلهم يلتجئون الى غير الله من شياطين وغيرها ويسلكون الطريق الشريرة او المشوبة بالخداع للوصول الى اغراضهم .
 وتقرر بعض المصادر السحر بقولها : (هو عمل في الاكثر للتأثير في الارواح كي تقوم باداء ما يطلب منها . . ويصحب هذا العمل كلام مفهوم او غير مفهوم ، واشارات يدعي الساحر انه انما يقوم به واشارات لتسخير الارواح) (٢) .

والخسة من طباعهم :

(ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا
 المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم
 والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
 العظيم) .

الآية : ١٠٥

(١) تفسير المنار : ٤٠٨ / ١ (٢) اليهود في القرآن : ٥٥

(ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من
 بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم من
 بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا ، حتى
 يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير) .
 الآية : ١٠٩

ان الحسد متأصل في بني اسرائيل نحو المسلمين ، والحسد يأكل
 قلوبهم على نعمة الاسلام بعد ان عرفوا انه الحق ، ولكن عنادهم ،
 ولؤمهم بلغ بهم ان لا يتنازلوا عما تكنه نفوسهم فشق عليهم ذلك ،
 وتمنوا ان يحرموا المسلمين هذه النعمة . . تلك طبيعة الحساد يتعنون
 ان لا ينعم كل احد الا هم بالخير .

(ان الحاسد يتعنى ان يسلب محسوده النعمة ، ولو لم تكن ضارة
 به فكيف اذا كان يعلم ان تلك النعمة اذا تمت وثبتت يكون من اثرها
 سيادة المحسود عليه ، وادخاله تحت سلطانه ، وهذا ما كان يتوقعه
 اليهود) (١) .

(حسداً من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)
 ماهو الحسد ؟ (الحسد : هو ذلك الانفعال الاسود الحسيس الذي
 فاضت به نفوس اليهود تجاه الاسلام والمسلمين ، وما زالت تفيض به
 وهو الذي انبعثت منه دسائسهم وتدبيراتهم كلها وما تزال ، وهو الذي
 يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه ، ويعرفوا انه السبب الكامن وراء كل
 جهود اليهود لزعة العقيدة في نفوسهم ، وردهم بعد ذلك الى الكفر
 الذي كانوا فيه ، والذي انتقدهم الله منه بالايمان ، وخصهم باعظم الفضل
 اوجل النعمة التي تحسددهم عليها اليهود) (١) .

(١) اليهود في القرآن : ٣٢

والكتاب الكريم ينتهي الى أمر المسلمين بالترفع عن الهبوط الى مستوى اليهود وعدم مقابلة حقدهم بحقد ، ولؤمهم باللوم ، وشرهم بشر يقول : (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير) . ان العفو والصفح من شيم المسلم ، وطبيعة المؤمنين ، والله سبحانه يعلم عباده المؤمنين على ان يتحلوا بالمثل الاسلامية التي منها العفو والصفح وان ينزعوا عما في نفوسهم من حقد وغل . ثم ان امره تعالى للمسلمين بالصفح والعفو اشارة الى ان المؤمنين على قلتهم هم اصحاب القدرة والشوكة . لان الصفع انما يطلب من القادر على خلافه ، وان اهل الكتاب على كثرتهم فهم الضعفاء ، ذلك لانهم على الباطل ، والمؤمنون على الحق ، (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله) .

لقد نزل الله الضعفاء منزلة الاقوياء ، لانهم مع الحق ، ودافع الحق ينصرهم وانزل الاقوياء منزلة الضعفاء ، لانهم مع الباطل ، وعوامل الباطل تهدم كياناتهم .

وسبق ان الكتاب الكريم اشار الى هذا الجانب النفسي من طباع اليهود في آية سابقة بقوله :

(ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ، ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم) .

فالآية تقرر ان الذين كفروا من اليهود والنصارى ، ومن المشركين ان ينزل عليهم ادنى خير من ربكم . اما اهل الكتاب ، وخاصة اليهود : فلمحسدهم العرب المسلمين ان يكون فيهم الكتاب والنبوة ، وهو ما كانوا يأملونه لانفسهم .

(١) في ظلال القرآن : ١٣٧ - ١٣٨ / ١ .

واما المشركون : فلان في التنزيل المرة بعد المرة من قوة الاسلام
ورسوخه وانتشاره ما خيب آمالهم في تربصهم الدوائر بالنبي (ص)
وانتهاء أمره .

ان الله سبحانه يجمع بين اهل الكتاب والمشركون في الكفر ،
وكلاهما كافرين بالرسالة المحمدية ، وكلاهما يضرع لني الاسلام حقداً
وضغنا . فاذا هما متساويان من هذه الناحية .

(والله يختص برحمته من يشاء . فاذا خص محمداً رسول الانسانية (ص)
والمؤمنين برسالاته ، فانه علم بأنهم اهل للاختصاص ، والالطف (والله
ذو الفضل العظيم) ان العطاء الذي تفضل به على المسلمين من نعمة
الهداية والرشد من اعظم النعم التي قادت البشرية الى الخير والكمال) .

قد يمتطى الصعب بعدما رمح (١)

• • كان لي صديق يعنيني من امره ما يعنيني
من امر نفسي ، وقد وجدته يوماً متجهماً
شارد الذهن ، حائر القلب ، فاستوضحته الامر
فعلمت ان نازلة من نوازل الدنيا حلت به ،
وبدا الحديث ولكن دموعه غابته فسكت
ومضى • • فكتبت له هذه السطور عسى ان
يجد فيها ما يبعث فيه العزم ليبدا التجربة
من جديد • •

ش • ع • غ

ما بالك - يا اخي - واصل الله اليك موفور نعمه ، كثيراً واجماً
منذ أيام ، قد ذابت الابتسامة على شفرتيك ، ذاهل الفكر ، متعثر
الخطوات حين تروح وحين تغدو • • لا تكاد تحس مواطنك قدميك على
الارض كأنك تمثال للألم الصامت ، او لوحة للحزن الدفين • • ولم
اعهدك كذلك من قبل مهما كانت الصعاب التي تعترض سبيلك ، حتى
انكرت وانكر صحبك منك ذلك .

(١) أي تصل يسرة الامور بعد عسرتها ، وذلة الاشياء بعد
صعوبتها - من الأمثال العربية - .

ألم يأتك قول الامام علي بن أبي طالب (ع) .

ولا ترين الناس الا تجملا نبا بك دهر او جفاك خليل
فان في نسيان المصائب والآلام ما يعينك على استثناف مسيرتك ،
فتيسر الامور بعد عسرتها ، وتلين الاشياء بعد صعوبتها ، وإلا ضعفت
همتك ، ووهنت عزيمتك ، وأخفقت في مسعاك . . فلا أنت بمستطيع
ان تمحو ما خطه القدر ، او تثبت ما عناه ، ولست بواجد في الناس
من يحتمل كل آلامك واحزانك . . اسمع الشاعر في قوله :

ايا غاضبا من صروف القضا بنفسك تعنف لا بالقدر

ويا ضاربا صخرة بالعصا ضربت العصا ام ضربت الحجر (١)

الاكم اشفقت بالامس من مواجهة يومك هذا ، وتهيب من استقباله
فاذا أنت تحيا واقعا معاشا . . وكذلك غدك ان قدر الله لك ان
تكون من ابناء غد ، ستعيشه على أي حال . . ولكن ما الذي اعددت
ليومك وغدك ! ؟ هذه الحيرة وذلك الذموم ! ؟ ام ذلك التوجس وهذا
الاشفاق ! ؟ ترى كيف تحل مشاكل يومك الجديدة وانت تحمل ثقل
مشاكل الامس وتنوء تحت وطأتها فتضيف هما الى هم وحيرة الى حيرة
وتعقد امورك دون طائل او جدوى . . .

انا لا اريد لك ان تعيش يومك ، وتستقبل غدك ، دون اكتراث
ومهمات كالالة الصماء يضغط على مفتاحها فتدور وتدور لا تلوي على
شيء . . ولا تلتفت الى شيء ، حتى يقفل او توقف او يعتريها التلف
والاندثار . . ولا ان تذهب في التعليل والتحليل مذاهب شتى ، وتحشو
راسك بأكوام الافتراضات والاحتمالات ، فتضيع في زحمة لا تنتهي من

(١) البيتان للمرحوم مصطفى صادق الرافعي .

التردد والارتباك والقلق النفسي توقعك في سلسلة من الحلول المبتسرة والاختطأ . . .

وانما الذي اريده لك مخلصاً ان تمتلئ حيوية ونشاطاً وتفاؤلاً وتمزق الغشاوة عن عينيك ليتسع فيها مجال رؤية الافاق كل الافاق وان تكون صريحاً مع نفسك ، سليم الرأي ، واقعي النظرة ، قوي العقيدة والايمان ، عادلاً نزيهاً لا تندفع فيما لا يجب الاندفاع فيه ، حكيماً جريئاً في خطواتك لا تهمل الاستفادة من تجاربك وتجارب الآخرين ، ولا تستعبدك الأفكار السوداء التي يوحىها الكسل وفقدان الثقة بالنفس في معالجة الأمور ، بل اجهد في تجنبها كي لا تشدك الى الكآبة والتشاؤم والجمود ، وهذه هي سبيلك في مجابهة مشكلاتك التي يعيشها واقفك الهني على انها ليست اكثر عدداً ولا اشد تعقيداً من مشاكل ومتاعب معاصريك الذين يعيشون الحياة ، يسمعون في مناكيبها ، ويأكلون من رزقها وربما كانوا أسعد منك حالاً وأهدأ بالاً ، وهي تافهة اذا قيست بالمشكلات التي نزلت بالناس عبر القرون والأجيال . . فاذا كان الأمر كذلك ، فما اتفه الألم - وان كان عبثياً - من اجل شيء تافه لعل نسيانه أسهل واهون من هذا التشاؤم والقلق الذين يقيدان قدرة الانسان ويقعدان به عن الابداع . .

على رسلك - يا أخي - عد الى اشراقه نفسك وايمانك ويقينك واصطنع الاناء والهدوء ، وتكلف الدعة والراحة وانت تواجه مشاكلك اليومية ، بوعي جديد جدي بضرورة الانطلاق ، ومزق الحجاب الضيق الذي حاكمه حولك الجهل واليأس ، واسحق المخاوف التي نسجها التهاافت والانقباض فضربت بوحى منها في متاهات سحيقة . . وحاول ان تعيش التجربة من جديد ، بحس متفائل ، رحب الفكرة ، واسع الأفق ، عميق

الادراك ، وانت تتلو قول الله تعالى (وقل ربي ادخلي مدخل صدق
واخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) (١) .
فستصل الى نتيجة ترضاها ، واذا ما كنت تتهيب من التورط فيه
والوقوع في مشكلاته ليس بالامر المعقد الشائك كما توهمت ، واذا انت
تجد فيما تسعى اليه مصداق المثل العربي (قد يعطى الصعب بعد
مارمح . .) فان الجبل الذي تستقبله وانت عالم به ، مدرك لوطنته
وأهون عليك من الحصاة تعلق بئملك وانت تعبر السبيل شارد الذهن
قلق الرأي قد استبدت بك المخاوف والهجوم . . .

روي ان اعرابية فقيرة كانت تقيم في مكان غير مأهول ، قد اتخذت
من الارض المحيطة بخيائها بستاناً تعيش على ما ينتجه من غلة وزرع
تعهدهما ، وذات ليلة غامت السماء وأرعدت وأبرقت وأرسلتها عمياء
لا تبقي ولا تذر ، وبعثت المساء مدراراً أعقبه برد أفسد عليها زرعها
وأهلكه ثم هدأت العاصفة وسكت الغيث ، وجاء الصباح وأشرقت
الشمس . . . فأبصرت الاعرابية كيف تسرب الى زرعها الموت والذبول
آنذاك رفعت رأسها الى السماء وهي تقول بهمس رقيق رفيق :

سبحانك - اللهم - أعطيت ومنحت ، وأخذت ومنعت . . . سبحانك
لا اله الا انت . . . اصنع بي ما شئت - يا الهي - فان رزقي عليك . . .
وتهبث من الغد لاعادة التجربة من جديد . . .

أترك - يا اخي - تأخذ من قصة هذه الاعرابية على سذاجتها
درساً تقتلح به جذور اليأس والقنوط التي تشدك اليها شداً لتواكب
بوادر المصير ، وتفصح عن أمانيك ورؤاك الحيرة في الحياة ، شأن كل

(١) سورة الاسراء : آية ٨٠ .

مدلج في دروب الوقائع وهو يحرك قدميه على منعطفاتها دون ان يفقد
مواقفها على الاديم ، او يتنكب حقيقة الواقع المعاش . . . فقد قيل
قديمًا : أن من لم تؤدبه الحكم والمواعظ ، أدبته الاحداث وهي تهز
كيانه ، وتوقظ وجوده في لحظات الوعي والشعور بالمسؤولية . . .

فابتسم - يا اخي - للمصعاب وابت تقطع دروب الحياة ، سهولها
وحزونها ، واعلم ان التخطيط والتسميم كفيلان بنجاحك وابرار محاسن
نفسك ، وحلق في الاجواء النفسية تنشق العطر ، وتملأ رأيتك بالهواء
الليل ، وانت تتلو قول الله تعالى :

(. . . ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن
يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله
فهو حسبه ، ان الله بالغ امره ، قد جعل الله لكل شيء قدراً) (١) .

ثم ردد قوله الكريم مرات ومرات ، لتستشعر حلاوة الايمان
واليقين في وجدانك وضميرك تنبعان من الاعماق . . . من اعماق
الاعماق . . . ؟

شاكر الغرباوي المحامي

الناصرية

(١) سورة الطلاق : الآية ٢ - ٣ .

الحسين الشهيد الثاني

(٢)

٥ - أسرته :

في مثل ذلك العصر ولد المترجم له .
ولكن !! « مما يخفف الوطء ، أنه رزق الولادة في وسط عائلي :
إسلامي المفاهيم والمثل ، إمامي المرجعية والزعامة ، عربي الحسب والنسب .
في أسرة قد ساهمت مساهمة فعالة في البناء الحضاري ، وشاركت
مشاركة فعلية في النهوض العلمي ، والنشاط الأدبي ، للعالم الإسلامي
عامة ، ولبنان بصورة خاصة ، وعلى الأخص في جبل عامل مسقط الرأس .
يقول الشيخ عبد الله نعمة : « ولا تذكر جبّاع ، إلا ونذكر
اولئك العلماء . . . الذين قاموا بأعباء القيادة العلمية ، في الكثير من
الأقطار الإسلامية ، فأنشأوا المعاهد الدينية ، والمدارس الثقافية ، التي
كانت مثلاً رائعاً حياً ، في جميع الجوانب العلمية المعروفة آنذاك ،
كالعلوم العربية بما فيها الأدب ، والأصول والفقه ، والعقائد والفلسفة

والطب والفلك والرياضيات وسواها . . . ولا تزال مؤلفات : الشهيد الثاني زين الدين ، وابنه الشيخ حسن ، وحفيده السيد محمد نور الدين وغيرهم ، تحتل مكان الصدارة بين مؤلفات العلماء الماضين ، وخاصة في المدارس والجامعات . . . في إيران والعراق والهند والأفغان والبحرين وغيرها إلى اليوم . . . » (١) .

في اسرة لازالت تحتل المسرح الحياتي ، وهي لان كانت ساعتها تعرف بعائلة الشهيد ، فهي اليوم تعرف بأل زين الدين ، حيث يقطن البعض منها في « صفد البطيخ » والبعض الآخر في « النباطيا التحتا » (٢) من جبل عامل ، وغيرهم في بيروت وإيران والعربية السعودية ، كما ابلغني بذلك شفاهاً ، أحد أفراد الأسرة هنا في النجف الأشرف ، الشيخ حسين آل زين الدين .

— ٢ —

أما أبوه : فقد كان من كبار أفاضل عصره . . . حتى قال الخوانساري في حقه : « ومن العجب أنه كان بمنزلة النقطة المتوسطة ، المحاطة بدائرة المعارف والعلوم ، أو مركز تزول إليه نسبة غير واحدة من كرات فضائل أرباب الفواضل على النهج المنظوم ، حيث أن كلاً من آبائه الستة المذكورين ، كانوا من الفضلاء المشهورين ، وكذلك أبناءؤه النبلاء ، الذين لم ينتقضوا هذه العدة الى هذا الحين » (٣) ، حيث « تعاقبت من ذريته إثنا عشر عالماً سموا بسلسلة الذهب » (٤) .

(١) تاريخ جبّاع : ٤ - ٥ . (٢) أعيان الشيعة : ٢٢٨/٢٣ .

(٣) روضات الجنات : ص ٢٨٨ .

(٤) العرفان : ج ٢٧ / ٦٣٠ .

وأما نساء أبيه فمن ثلاث : إحداهن كريمة شيخه الميسي (١) ،
والثانية شقيقة تلميذه نور الدين الكبير (٢) ، والثالثة كريمة تلميذه
محمد حسين الحر العاملي (٣) .

وأما أمه بينهن : فيبدو أنها كريمة الحر العاملي محمد الحسين :
١ - لأن الأولى كانت كريمة الميسي ، بنص « وتزوج في تلك المدة
ابنة الشيخ علي ، وهي زوجته الكبرى وأولى زوجتيه » (٤) .
٢ - ولأن الثانية هي شقيقة نور الدين الكبير ، بنص « وكانت
شقيقته زوجة الشهيد الثاني » (٥) ، وأن الكبير نفسه قد تزوج الثالثة
بنص « وتزوج بعد وفاة الشهيد زوجته الثالثة أم صاحب المعالم » (٦) .
إذن فهي كريمة رجل علم وأدب وتقى وزعامة ، بل وهي خزانة
أسرة لا تقل شهرة وسمواً ، عن أسرة والده الشهيد ، تلك هي أسرة
الحر العاملية (٧) .

-
- (١) تاريخ جباع : ص ٤٤ ، وأعيان الشيعة ٢٣ / ٢٤٣ .
 - (٢) تاريخ جباع : ص ٢٥٦ .
 - (٣) تاريخ جباع : ص ٥٠ ، وأعيان الشيعة : ٢٣ / ٢٨٦ .
 - (٤) أعيان الشيعة : ٢٣ / ٢٤٣ .
 - (٥) بغية الراغبين :
 - (٦) بغية الراغبين :
 - (٧) أعلام العرب ٣ / ١٢١ : آل الحر ، أسرة علمية جليلة =

وأما أخته : فيبدو أنها كريمة أبيه من ابنة الشيخ علي الميسي .
١ - لأنها لم تكن شقيقته من أمه وأبيه ، وإلا فكيف يجمع نور الدين الكبير ؟ بينها وبين أمه بعد وفاة أبيه ؟ وهو قد جمع فعلاً بينهما بنص « تزوج ابنته في حياته ، فولد له منها ولده صاحب المدارك تم تزوج بعد موته والددة الشيخ حسن ، فولد له السيد نور الدين الصغير » (١) .

٢ - ولأنها لم تكن أخته من شقيقة نور الدين الكبير زوجة أبيه وإلا فكيف تزوجها الكبير ؟ والنسبة بينهما نسبة خؤولة ؟ وهو قد تزوجها بنص « وكانت شقيقته زوجة الشهيد الثاني ، وتزوج كريمة الشهيد » (٢) .

وبما مر نصل الى النتائج التالية :

- ١ - أن الزوجة الأولى للسيد نور الدين الكبير ، هي كريمة الشهيد من ابنة الميسي .
- ٢ - وأن الزوجة الثانية له - أي السيد الكبير - هي أم صاحب المعالم قد تزوجها بعد وفاة زوجها الأول الشهيد الثاني .

= ظهر فيها العديد من فطاحل العلم ، وأعيان الفضل والأدب ، وينتهي نسب هذه الأسرة إلى الشهيد الشهير الحر بن يزيد الرياحي « باختصار » .

(١) اللؤلؤة : ص ٥٢

(٢) بغية الراغبين :

٣ - وأن صاحب المعالم هو خال صاحب المدارك ، وأنه والسيد نور الدين الصغير اخوان لأم واحدة وأبوين إثنين ، وأن الأخير وصاحب المدارك اخوان لأب واحد ووالدين اثنتين ، الأولى ابنة الحر والثانية ابنة المسي .

-- ٧ --

وعلى ضوء ما توصلنا اليه من نتائج : فإن ما ذهب اليه السيد محسن العاملي ، من كون الشهيد الثاني « تزوج أم صاحب المدارك بعد وفاة زوجها ، فولد له منها الشيخ حسن ، فهو أخو صاحب المدارك لأبيه » (١) ليس صحيح وذلك :

١ - لأن المتزوج الأول لهذه الكريمة هو الشهيد الثاني ، وأن الثاني هو والد صاحب المدارك ، وهذا ما تؤكدته جل المصادر عداه (٢) .

٢ - ولأن المتوفى أولاً هو الشهيد الثاني ، وليس نور الدين الكبير والد صاحب المدارك ، وهذا ما يؤكدته قول البحراني : « . . . ثم تزوج بعد موته والدته الشيخ حسن . . . » (٣) .

٣ - ولأن أم صاحب المدارك ، هي غير أم صاحب المعالم بل شقيقته وهذا ما يتضح من قول صاحب الدر المنظوم والمنثور : « كان هو والسيد الجليل محمد ابن اخته . . . كفرسي رهان . . . » (٤) ، أي أن النسبة بينهما نسبة خؤولة لا غير . .

(١) أعيان الشيعة : ٢٢٨ / ٢٣ - ٢٢٩ .

(٢) كالتحفة : ١ / ١٢٤ ، واللؤلؤة ص ٤٠ ، وتاريخ جباع ص ٢٥٦ وروضات الجنات ص ١٧٩ . (٣) اللؤلؤة : ٥٢ .

(٤) عن الدر المنظوم والمنثور ، بواسطة اللؤلؤة ص ٤٧ .

أجل ، على مثل هذه التشكيكة الاسرية ، استقبل الحسن المسؤولية في الحياة .

أجل ، على ترانيم التقى ، ونغمات العلم ، وتراتيل القرآن ، وبين رياحين الأدب الرسالي ، وإيقاع السعي المتواصل .
أجل ، في مثل هذا البيت أودعه الشهيد ، واحتضنه الحجر الحر ونحزم له بقية أفراد العائلة .

أجل ، الكل هلل لمقدمه ، يحدوهم الشوق الى احتضان هذه النعمة ولكن بتحفظ ، حيث كان لا يعيش الشهيد « اولاد ، فمات له أولاد ذكور كثيرون ، قبل الشيخ حسن ، الذي كان لا يثق بحياته أيضاً ، ولأجل ذلك صنف كتاب : مسكن الفؤاد في الصبر على فقد الأحبة والأولاد » (١) .

ولكن الوليد في مثل هذا البيت ، استقبل اليتيم مبكراً ، حيث لم يهنأ أبوه كثيراً ، حتى « لقي آخرته وابنه في السابعة من عمره » (٢) وفي مثل هذا البيت أيضاً ، أرصد له - قبل فاجعة اليتيم - من يتكفل بتربيته ، بل وحتى قبل ولادته ، حيث كان الشهيد الثاني « اعتقاد تام في العالم العامل ، السيد علي الصائغ ، وأنه كان يرجو أن يرزقه الله ولداً ، يكون مربيه ومعلمه السيد علي المذكور ، فحقق الله رجاءه » (٣)

(١) أعيان الشيعة : ٢٣ / ٢٢٨ .

(٢) الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل : ص ١١٠ ،

(٣) عن الدر المنظوم والمنثور ، بواسطة المؤلوة : ص ٥٥ .

نَشَأَتُهُ الْعِلْمِيَّةُ

وقد تمثلت على ثلاث مراحل هي :

أولا : مرحلة الطفولة

— ١ —

قلنا قبل قليل : أنه قضى فترتي « الحضانة والطفولة » في « روضة الشهيد الجبعية » ، تمهد له القلوب الكبيرة ، وتتناوبه الأيدي الرحيمة وتجاوز به الملاعب البريئة .

— ٢ —

أما هيئة تربيته : فقد قسمت حصصها ، بين جذب أمه ورعاية أبيه ، بين تطلعات عائلته وتبريكات المخلصين من معارفه .

— ٣ —

أما رفاق صباه : فمن الطبيعي ، أن يكونوا أنرا به من أقاربه وجيرانه ، وفلذات أكباد تلامذة والده ، العارفين لبيته ، الدائمي التردد عليه ، حيث أولئك للدرس والتتبع ، وأولاء لللعب والسمر والتذاكر .

— ٤ —

وأما المواد التي تعلمها : فهي من قبيل النحو بدءاً بـ « الاجرومية »

— ٧٢ —

وحفظ القرآن الكريم بدءاً بـ « الحمد » ، وتحفيظ النصوص الشعرية ،
بدءاً بـ « لامية العرب » (١) ، بل وفي مقدمة هذه جميعها ، العمل على
ممارسة الآداب العامة ، في الأكل والشرب والجلوس والنوم والمحادثة
وغيرها ، بل كل ما يحتاجه الوليد : غير المرجو البقاء ، بقية الصباية
وذخيرة العمر ، من عطف وأدب وخلق وفكر .

-- ٥ --

وأكبر الظن : أنه في هذه الفترة ، اكمل « مرحلة المقدمات »
المتعارفة آنذاك ، والتي لها مايمثلها حتى اليوم ، والتي ربما تقارب
ما يطلق عليه اليوم ، في الدراسات الرسمية ، بـ « المرحلة الابتدائية »

-- ٦ --

ومن الراجح : أنه ختمها بستين ، تكاد تبلغ الستين أو أكثر
بقليل ، وقد انتهت في عام خمس وستين وتسعمائة للهجرة ، سنة استشهاد
والده كما مر (٢) .

ثانياً : مرحلة الحداثة والشباب

-- ١ --

كما أشرنا ثانياً : أنه اجتاز فترتي « الحداثة والشباب » ، في

(١) خطط جبل عامل : ١ / ١٥٣ - ١٥٥ « بتصرف واختصار »

(٢) أمل الأمل : ق ١ ص ٨٦ .

-- ٧٣ --

« مدرسة الصائغ الجبعية » ، موزعة بين حلقات الدرس ، ورياض
الأدب ، وسوح العبادة .

-- ٢ --

أما مجلس شيوخه : فهو بعمادة السيد علي الصائغ (١) ، وعضوية
كل من السيد نور الدين علي الموسوي ، والشيخ احمد بن سليمان النباطي
العالمي ، والشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني (٢) ، والمولى
عبد الله اليزدي حين ورد جبل عامل على رأي (٣) ، وغيرهم ...
كما هم أنفسهم أيضاً رواته : « عن أبيه ، ماعدا اليزدي فلا رواية
للمترجم له عنه ، وما عدا الأردبيلي فإنه لا يروي عن أبيه ، وعد في
الرياض ، من مشايخه في الرواية ، السيد نور الدين علي بن فخر الدين
الهاشمي العالمي » (٤) .

-- ٣ --

وأما زملاؤه في الدراسة : فقد اجمع المترجمون له ، بزمالته
للسيد محمد - ابن اخته - دون سواء ، وصحت الرواية بأنهما كانا مدة
حياتهما « كفرنسي رهان » (٥) ، ورضيعي لبان ، متقاربين في السن ،

(١) تحفة العالم : ١ / ١١٧

(٢) الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل : ص ١١١

(٣) عن الدر المنظوم والمنثور ، بواسطة الأعيان : ٢١ / ٣٩٠

(٤) أعيان الشيعة : ٢١ / ٣٩٣ - ٣٩٤ « بتصرف »

(٥) مجمع الأمثال للميداني : ٢ / ١٥٨

-- ٧٤ --

مشاركين في القراءة على المشايخ والرواية عنهم « (١) .
 بل كانا : « متوافقين متناسقين متكافئين ، الى درجة أن كلا منهما
 كان يقتدي بالآخر في الصلاة عند مجيئه بعده ، ويحضر حلقة درس
 صاحبه السابق الى الدرس ، مادام في الحياة » (٢) .
 بل وأكثر من ذلك : فقد كان كل منهما « إذا صنف شيئاً ،
 عرضه على الآخر ليراجعه ، ثم يتفقان فيه على ما يوجب التحرير ،
 وكذا إذا رجح أحدهما مسألة ، وسئل عنها الآخر ، يقول أرجعوا اليه
 فقد كفاني مؤونتها » (٣) .

« وبالجمل ، فمثل هذه المصادقة والمؤاخاة في الدين ، مما لم يعهد
 قط بين غيرهما من الفضلاء والمجتهدين (٤) ، وأعجب من ذلك كله ،
 أن هذا الشيخ المبرور ، بقي بعد السيد المذكور ، قريباً من تفاوتهما
 في السن ، وكان قد كتب على قبره المنيف (٥) : « رجال صدقوا ما عاهدوا
 الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً » (٦)

-- ٤ --

وأما الدروس التي تلقاها : فهي أكثر العلوم ، التي استفادها
 شيخه من والده هو ، « من معقول ومنقول ، وفروع وأصول ،

(١) اللؤلؤة : ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) روضات الجنات : ص ١٠٨ « بتصرف واختصار »

(٣) الكنى والألقاب : م ٢ ص ٣٥٣

(٤) روضات الجنات : ص ١٨٠ (٥) اللؤلؤة : ص ٤٧

(٦) القرآن الكريم : الأحزاب ٢٣ / ٢٤

وعربية ورياضي « (١) .

وقد ذكرت أسماء البعض منها ، في إجازة الشهيد الثاني ، للتلميذ الشيخ عبد الصمد الهمداني ، حيث قال رحمه الله : « فما قرأه من كتب أصول الفقه : مبادئ الوصول في علم الوصول وتهذيبه للعلامة الحلبي ، وجامع البين من فوائد الشرحين للشهيد الأول ، جمع فيه بين شرحي تهذيب الأصول للسيد عميد الدين وضياء الدين ، ومن كتب المنطق : الرسالة الشمسية للامام عمر الكاظمي القزويني ، وشرحها للامام محمد بن بابويه الرازي ، وفي الفقه : كتاب الشرائع للمحقق ، والارشاد للعلامة وكتاب قواعد الأحكام للعلامة (٢) .

كذلك قرأ على صاحب الحاشية : في المنطق : تهذيب المنطق للتفتازاني ، وفي البلاغة : الشرح المطول للتفتازاني ، وحاشية الخطابي عثمان - وليس الخطابي (٣) - على الشرح المختصر للقزويني تلخيص المفاتيح للسكاكي ، وحاشيته عليها (٤) .

وفي الوقت نفسه : يبدو أنه تعاطى الأدب أيضاً ، حتى كتب ونظم فيه ، مستوحياً رصيده العائلي خاصة تركته من أبيه ، ومسترشداً ملاحظات أساتذته كالشيخ الحارثي الهمداني ، ومستأنساً ندوات معاصريه كالشيخ احمد سليمان النباطي ...

(١) اللؤلؤة : ص ٥٥

(٢) جمعاً بين كشكول البحراني : ٢ / ٢٠١ ، وأمل الآمل :

ق ١ ص ١٨١ « بتصرف واختصار » .

(٣) الذريعة : ٦ / ٧٠ - ٧١

(٤) عن تكملة أمل الآمل ، بواسطة رجال بحر العلوم « الهامش

بتصرف » : ص ١٩٨ .

واكبر الظن : أنه في هذه الفترة ، أكمل « مرحلة السطوح » ،
التي ربما تقارب ما يطلق عليه اليوم ، في الدراسات الرسمية ،
بـ « المرحلة الثانوية » ، متوسطة وإعدادية .
بل وحتى أنجز « مرحلة المراهقة » ، الأمر الذي جعله معداً
إعداداً لانتقالاً ، للحياة الجامعية المقبلة ، خاصة بعد اجتماعه بالشيخ
بهاء الدين ، حين قصد مدرسة كرك نوح في البقاع ، بعد أن استكمل
معارفه على علماء بلده (١) .

ومن الراجح : أنه أنهاها بسنتين لا تكاد تتجاوز الثلثية عشر عاماً
مبتدئة بعام ٩٦٥ هـ ، سنة تخرجه من « الروضة الشهدية » ، ومنتهية
بحدود عام ٩٨٣ هـ على الأصح ، سنة قبوله في « الجامعة النجفية » ،
وبذلك يكون مجموع عمره حتى هذا الوقت ، قرابة الأربع والعشرين سنة .

ثالثاً : مرحلة العنفوان والكهولة

ونقول ثالثاً : أنه خاض فترتي « العنفوان والكهولة » ، في اوساط
« جامعة النجف الاجتهادية » ، مشغلاً خلالها في الفقه والأصول ،

(١) أمل الآمل : ق ١ ص ٥٨ .

حاضراً أبحاثها ، دارساً لأرائها ، مطلعاً على مناقشاتها ، في محاضرات
أسانذتها وعظمتها .

— ٢ —

أما مجلس أسانذته : فهو برئاسة زعيم الحوزة آنذاك ، المولى
الشيخ احمد الأردبيلي ، وعضوية المولى اليزدي أحد أقطابها على رأي
الخونساري (١) ، حيث يوجد رأي ثان سبق ذكره لحفيد المترجم له (٢)
وهو أنهما درسا عليه في لبنان .
على أن الجمع بين الرأيين ليس بمستبعد وربما غيرهما من بقية عمدائها .

— ٣ —

وأما شريكه في الدرس : فكذلك يجمع المؤرخون ، بانفراد ابن
أخته ، بمصاحبتة إياه دون سواء ، « فأنهما انتقلا من بلادهما الى
العراق » (٣) ، وكانا « شريكين في الدرس ، عند مولانا احمد الأردبيلي
ومولانا عبد الله اليزدي » (٤) .

— ٤ —

وأما البحوث التي حضرها : فقد طلب هو وابن أخته السيد محمد
من استاذهم الشيخ احمد ، « أن يعلمهما ماله دخل في الاجتهاد ، فأجابهما
الى ذلك ، وعلمهما اولاً شيئاً من المنطق واشكاله الضرورية .

(١) روضات الجنات : ص ١٨٠

(٢) عن الدر المنظوم والمنثور ، بواسطة الأعيان : ٢١ / ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٣) اللؤلؤة : ص ٤٨ (٤) أمل الآمل : ق ١ ص ٥٨

— ٧٨ —

ثم أرشدهما الى قراءة أصول الفقه وقال : إن أحسن ما كتب في هذا الشأن ، هو شرح العميدي على تهذيب العلامة ، غير أن بعض مباحثه لا دخل له بالاجتهاد ، وقراءتهما تضييع للعمر ، فكانا يقرآن عليه ، ويتركان تلك المباحث .

وفي الفقه : يقال أنهما طلبا من الأردبيلي ، أن يذكر لهما نظره في كل مسألة ، يخالف رأيه فيها رأي صاحب الكتاب - أي العلامة في الارشاد - ويترك ما عده ، فكانا يقرآن في اليوم الواحد ، ما يقرؤه سواهما في أيام . . . » (١) .

— ٥ —

واكبر الظن : أنه في هذه الآونة ، بلغ « مرحلة الاجتهاد » ، وصار مهيباً للتدريس ، الأمر الذي جعله يودع الحوزة ، عائداً الى بلده ليواصل المسيرة التي بدأها أحفاده وأساتذته وأبوه ، وهو يعتمد توجيهات وتبريكات شيخه الأردبيلي ، منهاجاً يسترشد به على الطريق .

حيث نقل : أن الشيخ حسن لما عزم على الرجوع الى دياره ، طلب من الشيخ شيئاً من خطه ، ليكون عنده ذكرى ، فكتب له بعض أحاديث في الصحيفة التي عندي بخطه - أي بخط المولى احمد عند صاحب التكملة - قدر ورقة ، وكتب في آخرها : كتبه العبد احمد لمولاه ، امتثالاً لأمره ورجاء لتذكره ، وعدم نسيانه إياه في خلواته ، وعقيب صلواته ، وفقه الله لما يحبه ويرضاه ، بمنه وكرمه ، بمحمد وآله صلى الله عليه وآله « (٢) .

(١) حدائق المقربين : « بتصرف واختصار » .

(٢) عن تكملة أمل الأمل ، بواسطة هامش رجال بحر العلوم : ص ١٩٩

ومن الراجح : أنه أنهاها ، وهو لما يكتمل عقده الثالث بعد ،
حيث « أنها لم يبق في النجف إلا سنتين ، أو أكثر بقليل » (١) .
وهي تكاد تنحصر : ما بين ٩٨٣ هـ ، سنة قدومه من لبنان
و ٩٨٥ هـ ، سنة رجوعه الى بلده .

وما ذكر : من أنه قدم النجف الاشرف سنة ٩٩٣ هـ ، فهو اشتباه
على ما يبدو ، لأنه « وجد مجلدان من جمهرة ابن دريد ، عليهما خط
الشيخ حسن ، بما صورته صار هذا الكتاب في نوبة العبد ، حسن بن
زين الدين بن علي العاملي ، ملكه بالابتياح الشرعي ، بالمشهد المقدس
الغروي ، في أوائل شهر رمضان ، سنة ٩٨٣ هـ » (٢) .

ولأن ما ذكره الخوانساري : « هو تأريخ وفاة استاذهما الأردبيلي » (٣)
بينما نص الشيخ علي : أنه لما رجع الشيخ حسن الى البلاد ، صنف
« المعالم » و « المنتقى » ، قبل وفاة ملا احمد » (٤) ، الذي هو استاذه .

عبد الحسين محمد علي

(١) و (٢) و (٣) أعيان الشيعة : ٢١ / ٣٩١

(٤) عن الدر المنظوم والمنثور ، بواسطة الأعيان : ٢١ / ٣٩١ - ٣٩٢

انضوى

وعمر السلطان عبد الحميد

دراسة وتحليل

الدكتور إبراهيم الوائلي

الاستاد

ابراهيم الوائلي

استاذ مساعد / كلية الآداب

ليس في الامر غضاظة أن نعود الى أكثر من نصف قرن لنبحث في سيرة من السير أو أن نتناول جانباً من جوانب الادب في تلك السيرة اذا كان فيما نبحت وفيما نكتب فائدة تضاف الى تاريخ الأدب الحديث أو صفحة تضم الى اخواتها من فصول الدراسات المعاصرة . وليس في الامر غضاظة ايضاً اذا كان ما نكتبه قد ألم بشيء منه فريق من الباحثين والكتاب في ثنايا بحوثهم استطراداً أو أكثر من استطراد ، فان البحوث والدراسات عن الزهاوي وأدبه قد أدركت جل ما يمكن ان يتناوله أي باحث ولا سيما ثقافته وأفكاره العلمية والفلسفية ومصادر تلك الافكار التي اعتمدها واخذ عنها أو التي ابتكرها وجسد فيها . وحتى آراءه السياسية كانت ايضاً مجالاً لأفلام الكتاب ، غير ان الجانب السياسي في شعره لم يعن به في دراسة مفصلة وفق تسلسل الاحداث ولم يربط هذا

الشعر ببواعثه وموحياته ربطاً وثيقاً بحث يستخلص منه القارئ شيئاً واضحاً لحياة الشاعر في تيار السياسة وانتقاله من فترة الى اخرى ولا سيما ان الزهاوي عاصر احداثاً جساماً وعاش في فترة مثقلة بالحروب والثورات والفواعل الجمعة في العراق وغيره . ومن الواضح ان الشاعر ادرك عصر السلطان عبد الحميد ادراكاً واعياً ثم مابعد هذا العصر من فترة الدستور فالاحتلال البريطاني (١) ، فالعهد الملكي ، وكان في كل تلك الاحداث مشاركاً في الرأي ومعبراً عن تلك المشاركة في كثير من قصائده . واذا كان تناول الشاعر في كل تلك العهود من الوجهة السياسية ليس عملاً سهلاً يمكن ان ينتظمه بحث قصير فربما كان ميسوراً في بعضها على الاقل ، لذلك رأيت ان استعرض في هذا البحث اول فترة سياسية عاصرها الزهاوي وتناولها بشعره في ايجابية حيناً وفي سلبية احياناً اخرى وهي فترة السلطان عبد الحميد الثاني .

ولد الزهاوي سنة ١٢٧٩ هـ - ١٨٦٣ م وحين اسند الحكم الى السلطان عبد الحميد (٢) كان عمر الزهاوي ثلاث عشرة سنة ميلادية وكان اذذاك قد عني به ابوه ودربه على حفظ الشعر ونظمه . ولد الزهاوي في عصر مضطرب كان العراق فيه تابعاً للدولة العثمانية وكان الولاة والموظفون الذين يفدون اليه من الاستانة وغيرها ليسوا من ذوي القابليات الخيرة في معظم الاحيان فلا استقرار ولا امن ولا حياة يطمئن اليها

(١) انظر (ثورة العشرين في الشعر العراقي) لكاتب البحث ص ٢٦ - ٢٧ و ١٥٠ - ١٦٣ في موقف الزهاوي من الاحتلال والثورة مطبعة الايمان - بغداد ١٩٦٨ م .

(٢) رسائل الزهاوي - مجلة الكاتب المصري العدد ١٥ من المجلد ٤ سنة ١٩٤٦ م .

السكان الا في حدود ضيقة الى جانب الرشوة والفساد والجاسوسية والتفكيك بين المواطنين والجهل والمرض اللذين اصطحبا في المدن والقرى ، اما الدولة نفسها وما في عاصمتها الاستانة من تدهور سياسي واضطهاد فكري ورشوة وتجسس وسجون وازهاق ارواح فذلك كله وغيره ايضاً من الاحداث التي عرفها الناس في الشرق العربي وفي الولايات التابعة للدولة نفسها بل عرفها الغرب ايضاً فيما عرف من احوال الدولة ، وسواء أكان فيما كتب المؤرخون ايغال في المبالفات ام لم يكن فان أيسر ما يؤخذ به من سيرة السلطان عبد الحميد وولائه وموظفيه يمكن أن ينهض دليلاً على عدم افتعال تلك الضجة التي اسهم في بعثها كثير من السياسيين والكتاب والشعراء . ومع كل ذلك كان علماء الدين الرسميون في بغداد وغيرها ينظرون الى السلطان نظرة احترام وتقديس بحكم ارتباطهم بدوائر التوقف والارتزاق . فالسلطان عندهم - كما هو عند الولاة والموظفين - حامي الحرمين وخاقان البرين والبحرين وظل الله على الأرض . ولكنه حين يعزل - هو او غيره من الولاة - ليس يعادل ولا يمثل لاوامر الله ونبيه . سلوك مضطرب اوجدته السياسة منذ ان انتقل الحكم الى البيوت والاسر بالقوة في سلسلة من الوراثة وولاية العهد ، وهذا السلوك كثيراً ما كان يحول بين الشعوب ونهضتها فان أيسر ما يوصف به الناصحون والمخلصون .. بله التأثيرين .. المروق على السلطان والخروج على طاعته ، وطاعته فرض واجب في نظر هؤلاء . . وفي هذه البيئة نشأ الزهاوي وهو بحكم هذه البيئة مأخوذ باسلوبها وتيارها لانه من اسرة دينية ولان ابيه كان مفتياً لبغداد (١) . ومركز المفتي آنذاك مركز هام كبير في الدولة ، فلا غرابة ان يكون شاعرنا الزهاوي قد تأثر بهذه

(١) هو محمد فيضي الزهاوي وقد توفي سنة ١٣٠٨ هـ - ١٨٩٠ م .

البيئة الدينية فمدح السلطان وبعض الولاة .

ثم قدر له ان يسافر الى الامتانة ومصر ويتصل برجال الفكر ويتخذ من آرائهم السياسية جسراً يعبر عليه الى ما جد في اوربا من عوامل اليقظة والنهوض فانتقل بذلك من بيئة الجمود والتخلف وطاعة السلطان والولاة الى بيئة التذمر والكفاح السياسي . غير ان الزهاوي لم يسلم من الاضطراب والذبذبة ولم يضع حسداً فاصلاً بين أثر الجمود العقلي وبين تأثير التيارات السياسية الجديدة فقد مدح واثني ثم ثار وغضب ثم عاد ليمدح ويثني على السلطان وهو .. وان ادعى وغالط بانه انما عاد الى المدح لان الوشاة وضعوه في مأزق حرج امام السلطان وبطشه (١) .. لم يكن لينسجم مع ادعائه باستهانة الموت ازاء الحرية والمعدل ، فالزهاوي ضعيف الاعصاب لا يستطيع ان يتعاسك في الظروف الحرجة ولا يمكن ان يأخذ نفسه في سميت لا انحناء فيه . ولعل ما نشره من المقصائد بتواقيع مستعارة .. كما يقول (١) .. دليل اضطرابه وخوفه ،

وسواء أكان الزهاوي عنيداً قوياً ام كان مهزوز الاعصاب فان في شعره الذي نظمه في عصر السلطان عبد الحميد وتناول فيه بعض الاحداث السياسية او عبر فيه عن ثورته على السلطان حصيلة غير قليلة في توضيح الجوانب السياسي من حياته آنذاك ، ان لم نقل : ان في ذلك الشعر

(١) الأدب المصري لرفائيل بطي ، ص ٨ ج ١ المطبعة السلفية

بمصر ١٩٢٣ م .

(٢) رسائل الزهاوي - مجلة الكاتب المصري - العدد ١٥ من المجلد

الرابع ١٩٤٦ م . وجاء في مجلة (العرفان) العدد ٦ م ١ - ١٩ حزيران

١٩٥٩ م ، ان الزهاوي كان ينشر في (المقتبس) برمز (ج) .

تصويراً لبعض الجوانب السياسية في جهاز الدولة نفسها .
شعره في ركاب السلطان :

ليس بين ايدينا من شعر الزهاوي الذي مدح به السلطان عبد الحميد
الا القليل ذلك ان الزهاوي لم ينشر في دواوينه كل ما نظم بل اعمل
وحذف وطوى ما ليس يرضيه ، ولعل في مجاميع بغداد .. وما يكثرها ..
شيئاً من ذلك ولكن هذه المجاميع لا تزال مخطوطة في قماطر البيوت
ولا سبيل اليها . فلم يبق الا الاستعانة بما نشره الزهاوي نفسه في دواوينه
وقد يكون هذا الذي نشره هو كل مقاله في مدح السلطان اذ اصح الرأي .
واول قصيدة تبدو امامنا في مدح السلطان تلك التي نظمها في حرب
الدولة مع اليونان سنة ١٨٩٧ م (١) وعنوانها (الفتح الحميدي) ويبدو
من العنوان ان الشاعر كان يعجبه ان ينسب انتصار الدولة الى قدرة
السلطان وسياسته التي سار عليها وان لم ينس الجيش العثماني وما بذل
في تلك الحرب ، واول القصيدة :

هو الفتح القى في قلوب العدى هولا واثبت ان الحق يعلو ولا يعلى
لبسنا به ثوبا من العز ضافيا وهم لبسوا من اجله العلو والذلا
رداءان من عز وذل كلاهما جديد على مر الزمان فعا يبل
ويظهر ان الشاعر كان يأنس بهذا الطباق الموروث فلم يكتف بتكرار
العز الذي اصاب جيش الدولة والذل الذي اصاب اليونان بل اردفهما
بالرشد والضلال ايضاً ، رشد اليونان وضلالهم في الحرب :

اضاع بنو اليونان في الحرب رشدهم فضلوا وقد خابت امانى من ضلا

(١) هذه الحرب كانت مناسبة لشعراء آخرين من العراق . انظر
(الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر) للمؤلف ، ص ٢١٦ - ٢١٧
مطبعة العاني ١٩٦١ م بغداد .

ويتخذ الشاعر من ضمير المتكلمين وسيلة للتعبير كأنه لسان الدولة
المعبر عنها ويكرر الطباق نفسه أيضاً :

زجرناهم كي يجنحوا عن ضلالهم ويستنهجوا رشداً فما زادهم الا . .
نهاهم عن الطيش الذميم اولوا النهى وقالوا لهم : مهلاً فما ان مشوا مهلاً
وما ركبوا الا مطية جهلهم وهل يفلح الحزب الذي ركب الجهلاً
ثم عاد الى ضمير المتكلمين :

نصحنهم الا يعافوا ولائنا فلم يقبلوا الا العداوة والغلا
الى ان رددنا كيدهم في نحورهم بتصره قد خصنا الملك الاعلى
هذه سطحية في معالجة القضايا السياسية والا فكيف يطلب الشاعر
من اليونان ان يوالوا الدولة العثمانية بعد ان اخذت الشعوب تسعى
الى تحقيق استقلالها عن طريق القومية التي كانت شعار دول البلقان آنذاك ؟
وتظهر النزعة الاسلامية في قوله :

تقلب جيش المسلمين عليهم فاثخنهم جرحاً واوسعهم قتلاً
وبدد بالفسارات شمل جيوشهم خميسن على جل الحصون قد استولى
اذن كانت الحرب دينية بين المسلمين والنصارى . . ولكن لم ؟ لم يستول
الجيش الغالب على كل الحصون بل على جلها ؟ أليس في هذا التقييد
خروج على أسلوب الشاعر في ميالغاته وفي البديع الذي استساغ بعض
ألوانه في القصيدة ذاتها ؟ .

اما وصف المعركة ففيه خيال يؤلف بين بعض المشاهد واذا كان
الوصف قد خلا من السيوف والرماح والخيل لان الحرب كانت حرب
مدافع وبنادق فان شيئاً من المصطلحات القديمة قد اسهم في البناء
والتركيب :

كان الدخان المكفر سحابة وقد هطلت منها قنايلنا هطلا

وشتان ما بين الغمامة امطرت وبالا وبين الغيم قد امطر الويلا
اذا رعدت فيها مدافع بأسنا سمعت هزيماً يملأ الصعب والسهلا
والمألوف عند العرب ان السهل في الماديات يقابله الحزن لا الصعب
ولكن الشاعر اراد ان يكون مجدداً في الطباق فاخل في الصورة .
ثم يشير الى مساعي الدول في عقد الهدنة مع اليونان ولكن
يطلب منهم :

ولما سعى الساعون ان نهجر الوغى ونمنح للمغلوب من فضلنا مهلا
عقدنا مع اليونان للحرب هدنة على طلب منهم فكانوا اليد السفلى
وسياسة السلطان عبد الحميد في هذه الحرب - وقد تكون في غيرها
ايضاً - سياسة مثلى كما يدعي الشاعر :

لسلطاننا عبد الحميد سياسة طريقتهما في المعضلات هي المثلى
وباسلوب خطابي تتخلله النزعة الدينية يقول للسلطان هذا :
سلمت لنصر الدين سيف عزيمة قللت به مالم يكن فله سهلا
فجهزت جيشاً للجهاد عرمرمما قهرت به ذاك العدو الذي ولى
نهنيك بالفتح المبين الذي به تسامى منار للشريعة واستعلى (١)
وتأتي بعد هذه القصيدة ثورة على الاستبداد اعقبتها عودة الى مدح
السلطان ثم عودة الى الثورة وقبل ان نستعرض قصائده الثائرة في
مرحلتها نشير الى المدح المستأنف الذي تضمنه كتابه (الفجر الصادق)
والذي يدفعنا الى هذا ما التزمنا به من موضوعية الدراسة لا التسلسل
في نظم القصائد من الوجهة الزمنية ولعل شيئاً من التأريخ يعيننا على
تفسير هذا التناقض عند الشاعر فقد قال عنه بعض مترجمي حياته ما يأتي :
« وكان بعد رجوعه من الاستانة الى مدينه السلام بغداد ان احد

(١) الكلم المظوم ص ٣ - ٤ المطبعة الاهلية بيروت سنة ١٣٢٧ هـ .

رؤساء الوهابية في بغداد اخذ يعرض عليه الحكومة تارة بحجة انه يظعن
 بسياسة السلطان عبد الحميد وطورا يرميه بالكفر والزندقة وذلك على
 عهد عبد الوهاب باشا الالباني (١) وكان هذا الوالي يعاديه فكتب الى
 المراجع يطلب ابعاده عن الديار العراقية الى بلاد قاصية فاضطر الاستاذ
 الى ان يؤلف كتابه (الفجر الصادق) في الرد على الوهابية مصدراً
 اياه بمذائح السلطان عبد الحميد مخافة ان يناله المعتدون بسوء... » (٢)
 هذا تعليل تلك الذبذبة التي اصاب الزهاوي بعد عودته من
 الاستانة في اواخر القرن التاسع عشر طريداً مغضوباً عليه وبعد ان
 نظم قصيدة كان في نظر السلطان اثارة وتحريضاً (٣) وقد يكون هذا
 التعليل مقبولاً اذا لم تكن لتأليف الكتاب دوافع اخرى لا نعلمها، والذي
 يهمنا من الكتاب ما فيه من شعر تعدج به السلطان عبد الحميد اما
 الطعن بالمذهب الوهابي فذلك من رأي الشاعر الذي يتفق مع سياسة
 الدولة العثمانية في كل المراحل التي مرت بها الدعوة الوهابية
 واعمالها (٤) .

وعنوان الكتاب مسجوع فهو (الفجر الصادق في الرد على منكري
 التوسل والكرامات والحوارق) وقد ساعده على تأليفه - كما يقول في الختام -

-
- (١) ورد بغداد في ٨ شوال سنة ١٣٢٢ هـ = ١٩٠٤ م وخرج منها
 في ١٠ شوال سنة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م وفي اثناء ولايته الف الزهاوي
 كتابه (الفجر الصادق) وطبعه في مصر سنة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م .
 (٢) الادب المصري ، ص ٨ ج ١ .
 (٣) عنوانها (حتام تغفل) وسيأتي مكانها .
 (٤) انظر (الشعر السياسي العراقي) ص ٢٩ - ٣٥ و ص ١٢١ - ١٤٨ .

الشاعر معروف الرصافي (١) وهذا دليل التوافق الذهني بين الشعارين في بعض الاحيان على الاقل وان كان الزهاوي يكبر صاحبه بحوالي ثلاث عشرة سنة .

والشعر الذي احتواه (الفجر الصادق) قليل تخلل النثر وهي طريقة مؤلفي القرون السابقة ، ومنه ما تخلل وصف (يلدز) وهو قصر السلطان عبد الحميد وفيه يقول معجد السلطان وآباءه وأجداده :
سلام البرايا في كلاءة فرقد بيلدز لا يغفو ولا يتغيب
وان امير المؤمنين اوابل من الغوث منهل على الخلق صيب
والبيت الاول فيه اسراف ومبالغة لا تقصر عن مبالغات المنتهي
والا فكيف يكون سلام البشر من الاذى في رعاية السلطان ذلك النجم الذي ضمه قصر يلدز فلا يغفو ولا يغيب ؟ ، والمصورة في البيت الثاني قديمة ليس للشاعر فيها الا التأليف ولكن لم جاءت كلمة (الغوث) بدل الغيث ؟ أيكون الشاعر متأثراً بالمصطلح الصوفي عن الشيخ عبد القادر آنذاك ؟

ثم يقول السلطان :

سما بك يا عبد الحميد أبوة ثلاثون محضار الجلالة غيب
قياصر احياناً خلائف نارة خواقين طورا والقيصر الملقب
نجوم سعود الملك اقمار زهوه لو ان النجوم الزهر يجمعها أب
هم الشمس لم تبرح سعاوات عزها وفينا ضحاها والشعاع المجب (٢)
وهذه الابيات فيها انسجام وتساق في التعبير وان كان محتواها وما فيها من المعاني والتشبيهات ليس شيئاً جديداً على الشعر ، ويبدو

(١) ولد في بغداد سنة ١٢٩٢ هـ ١٨٧٥ م وتوفي سنة ١٣٦٥ هـ ١٩٤٥ م .

(٢) الفجر الصادق ص ٣ و ٤ .

اثر النزعة الدينية واضحاً في هذا الشعر ولا سيما قوله :
من كان يؤمن بالنبى محمد وبما أتى في منزل القرآن
علم اليقين بأنه في دينه وجبت عليه طاعة السلطان (١)
وربط وجوب طاعة السلطان بالايمان بالنبى والكتاب عقيدة قديمة
التزم بها علماء الدين الرسميون التابعين للسلطان .

ومبالغات الشاعر في مدح السلطان مما تنتظمه المقطوعة التالية :
سياسة مولانا الخليفة مخذم يقل به الامر العسير ويحسم
وهذا المعنى تكرر لما قاله في قصيدته السابقة (الفتح الحميدي) :

لقد سعدت امنا بلاد وسيرة بعبد امير المؤمنين تنظم
وقد بعث الله الخليفة رحمة الى الناس ان الله للناس يرحم
ففي عهده قد اصبح الملك عامراً به الا من يزهو والاماني تبسم
هو الملك البر الرؤف بأمة أنار مهابها والامام المعظم
ويستلغ من الفرزدق والمتنبي وغيرهما معنى متداولاً فيقول :

يبست لحفظ الملك يقظان ساهراً حريصاً عليه والحوادث نوم
اقام به الديان اركان دينه فليست على رغم العدى تنهدم
وكم لامير المؤمنين مآثر بين صنوف الناس تدرى وتعلم
ويشهد حق الاجني بفضله فكيف يسيء الظن من هو مسلم
سلام على العهد الحميدي انه لاسعد عهد في الزمان وانعم (٢)
وهكذا تتبدل الاحوال من ظلم وفساد وقتل الى نعيم وسعادة في
سنوات قليلة ولكن هذا التبدل لم يقع الا في خيال الشاعر وذنبه عاطفته .
ثورة على السلطان :

(١) الفجر الصادق ص ٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٠ .

تنقل الزهاوي من مدح السلطان في الحرب اليونانية الى الثورة عليه ومن الثورة الى مدحه في كتاب (الفجر الصادق) ثم من المدح الى الثورة مرة أخرى وقد استعرضنا مرحلتي المدح في الشطر السابق من هذه الدراسة لنستعرض مرحلتي الثورة على الاستبداد هنا ، واذا سائرنا الزهاوي في اقواله عن نفسه واخذنا بما رواه في تأريخ حياته وجدناه ناقماً على الحكم العثماني منذ ان كان شاباً في بغداد وقبل ان يسافر الى الاستانة سفرته الاولى بسنين فقد قال :

« ولم اكن يوم عينتني حكومة عبد الحميد عضواً في مجلس المعارف ببغداد الا شاباً يتظاهر بالاستياء من وضع الحكومة فلعلهم ارادوا بتعيني ان يسكتوني . . . » (١) .

واذا قبلنا هذه الرواية فاننا لا نتوسع في تفسيرها باكثر من كون الشاعر غير معجب بسلوك بعض الموظفين في بغداد اما ما عدا ذلك من استيعاب الاحداث السياسية في الدولة واعمال السلطان عبد الحميد وجهاز حكومته فلم يكن في ذهن الشاعر منه ذلك القدر الكافي ، حتى اذا سافر الى الاستانة ومصر في اواخر القرن التاسع عشر واحتك بالادباء والكتاب المفكرين تفتح ذهنه وانتقل من تلك البيئة الجامدة في بغداد الى بيئة أخرى عندها الكثير من مفاهيم التطور السياسي في الغرب والكثير من مصطلحات السياسة الحديثة التي لم يكن للسلطان عبد الحميد وبطانته اهتمام بها ، وادرك التيارات التي شقت طريقها لمحاسبة السلطان وعند ذلك انجبه بشعره وجهة نقد واثارة ومن ثم يصح قوله :

« ولما ذهبت الى الاستانة واختلطت بالترك الفتيان ابعدت في

(١) الكاتب المصري - رسائل الزهاوي - العدد ١٦ من المجلد الرابع

كانون الثاني (يناير) ١٩٤٧ م .

التجاهر ونشر القصائد باسماء مستعارة في امهات الصحف المصرية ...» (١)
 واول قصيدة نجسها في مناهضة الاستبداد قصيدة بعنوان (حتام
 تغفل) وهذه القصيدة جعلت الشاعر عرضة للمراقبة وقد نظمها في
 الاستانة في اواخر القرن التاسع عشر وبسببها سجن ثم ابعد الى بغداد
 - كما قيل - (٢) اما هو فيضيف سبباً آخر في ابعاده وتشديد الرقابة
 عليه وهو اتصاله باحرار الترك وذهابه مع عشرة من الترك والعرب الى
 سفارة بريطانية في الاستانة لتعني الفوز لها في حربها مع (الترسفال)
 حرب البوير - وقد اثار هذا الفعل غضب السلطان عبد الحميد (٣) ،
 ومهما يكن من شيء فالقصيدة تمثل مرحلة انتقال عند الشاعر في وعيه
 السياسي وقد بداها بأسلوب خطابي مباشر فقال :

الا فانتبه للامر حتام تغفل اما علمتك الحال ماكنت تجهل
 اغشى بلدا منها نشأت فقد عدت عليها عواد للدمار تعجل
 وعلى ان الشاعر يمسك بسبب من الصور القديمة في وصف
 البلاد كقوله :

رعى الله ربعا كان بالامر عامراً باهليه وهو اليوم قفر معطل
 كان ذا ذهنية متفتحة في تجسيد الماسي وفي استعراض الاقطار
 العربية التي تن من تلك الماسي ولكنه ليس بداعية انفصال واستقلال
 وانما هو داعية اصلاح وتغيير في جهاز الدولة :

(١) الكاتب المصري العدد ١٥ من المجلد الرابع ديسمبر ١٩٤٦ م .

(٢) الأدب المصري ، ص ٨ ج ١ .

(٣) ترجمة الزهاوي - بخط يده - في مكتبة الاستاذ كوركيس عواد في
 بغداد تحت رقم ٢٢٢ وتراجع ايضاً رسائل الزهاوي في مجلة الكاتب المصري
 - العدد ١٥ م ٤ - ١٩٤٦ م .

وكم وعدوا ان يصلحوا قبل هذه فما بالهم زادوا فساداً واوغلوا
لك الله كم ترجو حياة لدولة ترى كل يوم امرها يتعرقل
وما هي الا دولة همجية تسوس بما يقضي هواها وتعمل
اما الحكم فانهم - كما يقول الشاعر - وكما هو واقع الحال :
اذا نزلوا ارضاً تفاقم خطيئها كأنهم فيها البلاء الموكل
ويشير الى هجرة السوريين بسبب الظلم الذي اصيب به وطنهم :
فمدت الى سورية يد عسفهم تحملها من ظلمهم ما تحمل
وبغداد واليمن كذلك لم يسلموا من الظلم بل الجبل الذي يهدد
بغداد بدائه المعضل .

هذا الاستعراض شيء جديد في موضوعات السياسة الحديثة عند
شعراء العراق فلم يكن قبل الزهاوي غير التذمر والشكوى في مسارب
ضيقة ولكنها كثيرة الصور . والسلطان نفسه في هذه القصيدة صورة
أخرى فيها استيعاب وشمول :

فيا ويح قوم فوضوا امر أنفسهم الى ملك عن فعله ليس يسأل
الى ذي اختيار في الحكومة مطلق اذا شاء لم يفعل وان شاء يفعل
أيأمر ظل الله في ارضه بما نهى الله عنه والنبي المبجل ؟
فيفقر ذا مال وينفي مبرأ ويسجن مظلوماً ويسبي ويقتل
ثم يهدده :

تعلم قليلاً لا تغظ امة اذا تحرك فيها الغيظ لا تتحمل
وايديك ان طالت فلا تغتر بها فان يسد الأيام منهن اطول (١)
قد يكون اسلوب الشاعر قديماً في معالجة الموضوع ولكن الجراءة
التي تخللت القصيدة في مواجهة السلطان ليست من آثار بيئة الشاعر

(١) الكلم المنظوم : ص ٦.. ٩.

الاولى وان كان مثل هذه الجرأة قد وجد في الشعر العربي قديماً الا ان العودة اليه لم تكن الا على لسان الزهاوي آنذاك .

اما القصيدة الثانية فانه نظمها بعد رجوعه الى العراق مغضوباً عليه وعنوانها (انين المفارق) ولعله نظمها سنة ١٩٠١ م او ١٩٠٢ م وقد جرى بها قصيدة الكاظمي التي نظمها عند دخوله مصر سنة ١٨٩٩ م (١) فكلتاها من وزن واحد وقافية واحدة . وقد بدأ الزهاوي قصيدته على طريقة الاقدمين ولكن دون مستواهم في الاداء بل دون مستوى الكاظمي في قصيدته ، فقال :

نبا الدهر بالاخوان حين تمزعوا وحقي خلت منهم ديار واربع
احن الى عهد اللوى وهو منقض وابكي لنأي الدار والدار بلقع
وكانت في ذهن الشاعر صورة للاستانة قبل سفره ولكنه لم يجدها كما تخيلها حين دخلها :

ويمعت دار الملك احسب انها اذا كنت فيها نازلا اتعنعع
ولم ادر اني راحل لمحلة بها الفضل بمحوم الذراعين اقطع
هنالك ناس خالفوا سنن الهدى فعدت لهم في البغي بوع واذرع
ويسترسل الشاعر في سرد قصته هناك حين قال الحق فجوبه بما
خشيه على نفسه ثم اراد العودة الى بغداد فطارده الجواسيس وكان
يعاور ويجادل في منعه .. والجدال طريقة قديمة واسلوب عرفه الشعر
العربي في القرن الاول للهجرة .. فيعيد لنا اسلوب الكميت :

بأي كتاب ام بآية حجة اصد مهانا عن طريقي وامنع ؟

(١) اولها :

الى كم تجيل الطرف والدار بلقع اما شغلت عينيك بالجزع ادمع
راجع : ديوان الكاظمي ٤٦/١ - ٥٣ مطبعة ابن زيدون - دمشق .

وهو باستطراده لم ينس اخذه مع رفاقه الى السجن :
ولست بناس نكبة نزلت بنا يهون لديها الحادث المتوقع
فقد قلعتنا رفقة من بيوتنا كما تطلع الاشجار نكباء وزرع
وساروا بنا للسجن راجين اننا نذل به للمفادرين ونخضع (١)
وفي كلمة (راجين) ضعف لا يتساق مع القلع ونكباء وزرع
ان ذلك من اسلوب الزهاوي في بدايات نظمه فهو لا يتخير ولا يناسب
بين المفردات .

وفي قصيدة ثالثة لعله نظمها بعد كتابه (الفجر الصادق) يخاطب
السلطان ويطلب منه العدل والرفق ، وقد حملها حشداً من الصور
القديمة والحديثة وكأنها بما فيها من الوان البديع عاكاة لقصيدة ابن
زيدون النونية المشهورة ، وقد بداها الزهاوي بقوله :

تأرن في الظلم تخفيفاً وتهوينا فالظلم يقتلنا والعدل يحيينا
لهوت عنا اوتيت من دعة فايض ليلك واسودت ليلنا

والولاة لم ينس الشاعر ان يذكر السلطان بظلمهم :
قست قلوب ولاة انت مرسلهم كأنما الله لم يخلق بهم ليننا
ان الرعية اغنام يحد لها عمالك المستبدون السكاكيننا
اما تجسيد العدل ومخاطبته فمن اساليب الشاعر في هذه القصيدة
وفي غيرها ، والذي لم ينس الشاعر ايضاً خضوع الناس ومسكوتهم فهم
مسؤولون عن جرائم الاستبداد كغيرهم :
ما جاءنا الشر الا من تهاوننا ما عمنا الظلم الا من تغاضينا
ولكنه واثق بالنصر :

(١) الكلم المنظوم : ص ٩ - ١٢ .

لا بد من فك ما قد شد من عقد كف الاسار بايدينا بايدينا (١)
وليس تكرار (بايدينا) لقصد التأكيد وانما الاولى متعلقة بفعل
(شد) والثانية بالمصدر (فك) فكأنه اراد ان يقول : لا بد ان
نفك بايدينا ما شد فيها من القيود والاغلال .

و (انين الاوطان) فانها من القصائد المؤثرة بمحتواها في تصوير
الظلم وقد نظمها سنة ١٩٠٧ م وفيها يكرر عبارات ، يا عدل ، ويا رب
وحتام ، ولولها :

قد اسمعتك انينها الاوطان بضعيف صوت ملؤه الاشجان
ويختتمها بوصف ما حدث في ايران من اعلان الدستور سنة ١٩٠٦ م
وان ايران بعملها هذا :

جاءت باصلاح يعلى شأنها لله ما جاءت به ايران
هدت الى الشورى فسنت مجلسا فيسه لرأى الامة السلطان
ولعل التذكير بايران يوضح رأي الشاعر في سياسة الدولة العثمانية
فهو بطريق غير مباشر يدعو الى اعلان الدستور واقامة مجلس نيابي يمثل
الامة ويدعو الى المساواة بين الناس كما فعلت ايران حين :

رفعت لواء العدل فوق بلادها حتى استوى المسكين والحقاقان (٢)
وفي الكلم المنظوم قصائد وخماسيات غير قليلة يشيع فيها هذا
الجانب الانساني الذي اخذ به الشاعر في فترة ما قبل الدستور بسنوات
قليلة وقد كان في تناوله هذا الجانب لا يقتصر على الاسلوب المباشر بل
جنح فيه ايضاً الى الاسلوب القصصي الذي ظهر في الادب التركي اخيراً

(١) الكلم المنظوم : ص ٧٠ - ٧٣ .

(٢) المصدر السابق : ص ١٢٤ - ١٢٦ .

كما في قصائده (ارملة الجندي) و (أل فزان) و (سعاد بعد زواجها) (١)
وكان كذلك لا يتقيد بمكان معين فالى جانب وصف الدولة في اطارها
العام يتردد وصف بغداد في تلك الفترة القائمة ، وهذا الوصف لا يخلو
من ذاتية الشاعر وانعطافه على وجوده (٢) . اما بغداد نفسها في تلك
الخطرات فهي كما يخاطبها :

عداك الحيا من بلدة عم شرها وسادت بها دون البلاد الجهالات
ولم تر في سكانها غير ظالم واما اولو الانصاف منهم فقد ماتوا
تلاعب اطماع الولاة بهم فمما احسوا كأن القوم فيها جمادات (٣)
انها اثارة وتحريض في سياق الذم :

ويصف بغداد في خمسة طويلة نظمها سنة ١٩٠٦ م فيقول :
بلدة عم جانبيها الخراب ملبها عن قتل النفوس اجتناب
في حماها الذي دهاه اختصاب للذاري من الدعاء خطاب
في زمان الاعراس والاعيلاد (٤)

اما السكان فان الشاعر قد يش منهم في وجودهم المعاصر وربما
نهب من احفادهم من يستجيب النداء :

ليس فيكم لادر در أبيكم من يعامي عن حوضكم ويقيمكم
فأملوا ذاك في ذراري بنيكم واصيروا ربما سيولد فيكم
رجل باسل طويل النجاد (٥)

(١) انظر الكلم المنظوم : ص ٥٦ - ٦٢ و ٧٣ - ٧٧ .

(٢) الكلم المنظوم : ص ١٧ و ١٨ و ص ٢٤ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٨ .

(٤) المصدر نفسه : ص ٢٥ .

(٥) المصدر نفسه : ص ٣٠ .

والعراق بأسره كان مجالا لاحاسيس الزهاوي :
ان اشقى البلاد ما كان يجري في اراضيهِ دجلة والفرات
عظم الخطب في العراق فلله قلوب هناك مرتجفات (١)
ويكرر هذه الاحاسيس في قصيدة (بين دجلة والفرات) فيقول :
بين احشاء دجلة والفرات حيي البؤس فوق ارض موات
غادرتها ايدي العداة جحيما بعد تلك الرياض والجنات
من رأى الارض في العراق مواتا ذهبت ثم نفسه حشرات
ثم يقول :

وانتهت سلطة البلاد لقوم خلقوا للرشا وللسرقات
ويعود مرة الى تحميل السكان وزر الظلم بسكوتهم :
قد سكتنا وليتنا ماسكتنا في بلاد كثيرة الازمات
في بلاد نسام فيهن خسفا ونطيل السكوت كالاموات
فكان الاحرار فيها عبيد وكان الاباة غير اباة (٢)
وقصيدته (يا جهل) وقد نظمها في اواخر سنة ١٩٠٧ م حافلة
بالاثارة وفيها صور متعددة للجهل والوطن وللذين يشترون الرتب بالمال
وفيها مقطع يخاطب به العدل وما اكثر ما يخاطب العدل بشعره وكانت
ذاته بؤرة العدسة خلال تلك الصور :

لو كان قومي اباة ما تهضمني وغد من الترك معزو لغير أب (٣)
وقصيدته (ايام بغداد) وقد نظمها في اوائل سنة ١٩٠٧ م مليئة
بالخطرات الباكية الحزينة وفيها مقطع يخاطب به نهر دجلة فيطلب منه

(١) الكلم المنظوم : ص ٩٠ .

(٢) المصدر نفسه : ص ١٤٥ - ١٤٧ .

(٣) المصدر نفسه : ص ١٥٠ .

ان ينوب عن دموعه في سقي تلك المعاهد ويوجز في صورة منها وصف
السكان - سكان بغداد .. وحكومتها فيقول :

فهناك اهل يجهلون حقوقهم وحكومة تعتو ودهر عاد
هم ايدوا الحكم في تدميرها فكأنهم لو ينجلون اعادى (١)
وهذه شهادة من الشاعر يسجلها على معاصريه من مرتزقة الدولة
في دعمهم الفساد والظلم وسكوتهم عن تلك الماسي .

ويتسلسل التطور الفكري عند الزهاوي في آرائه السياسية من
مادح للسلطان وبعض ولائه (٢) الى ثائر يريد اصلاح الحكم فجمهوري
يدعو الى اقامة حكومة جمهورية لا تخضع لرأي فرد وقد عبر عن هذه
الفكرة في قصيدته (الانسان في المستقبل) فقال :

وحكومة البلدان جمهورية ما ان تطيح لغيرها سلطانا (٣)

في إعلان الدستور :

وحين اعلن الدستور في ٢٤ تموز سنة ١٩٠٨ م واسس فرع جمعية
الاتحاد في بغداد القى الزهاوي قصيدة بالمناسبة كانت تعبيراً عن

(١) الكلم المنظوم : ص ١٦٤ .

(٢) انظر الكلم المنظوم : ص ١ في مدح الوالي عاصم .

(٣) انظر القصيدة في الكلم المنظوم : ص ١٨٣ - ١٨٥ وانظر اليها في
الديوان المطبوع في القاهرة سنة ١٩٢٤ م : ص ٢٦٥ وقد غير فيها وحرف
وانظر اليها في جريدة (العراق) العدد ٢٤٧ ص ٢ ، ١٩ تموز ١٩٢١ م
مزيدة بحرفة وقد مدح في بعضها فيصلا قبل تنويجه ، اما البيت هذا
فقد جاء في جريدة العراق هكذا :

وحكومة البلدان دستورية ما ان تطيح لغيرها سلطاناً
فتحول الشاعر من جمهورية الى دستورية ارضاء لفصيل واعوانه .

ابتهاجه بهذا الحدث وان من البديهي ان يقف الزهاوي موقف المؤيد وان يسرع قبل غيره الى التأييد بعد تلك القصائد الشائنة ، وقد بدأ قصيدته هذه باطراء حزب الاتحاد والترقي فقال :

حزب التعاون في الدنيا هو الناجي نمشي على ضوءه في ليلنا الداجي
قد افلحت امة في قصده نهجت فانه للترقي خير منهج
ان الذي اصبحت عيني تشاهده قد ابهج القلب مني أي ابهاج
وقد نصح الشاعر في هذه القصيدة بالعلم والعدل واشاعتها بين
السكان بعد ان اعلنت الحرية وانتهى زمان السخرة و (القرباج) :
قد اعلنت المورى حرية فعضى زمان سخرة ذي امر وقرباج (١)
الزهاوي والانكليز :

قصة الزهاوي مع الانكليز طويلة استمرت الى ما بعد الاحتلال
وثورة العشرين ، ولكن الذي يعنينا من هذه القصة علاقة الزهاوي
بالانكليز في عهد السلطان عبد الحميد ، ويظهر لنا من سيرته الاولى انه
كان معجباً بهم وبقوتهم وعلومهم ومخترعاتهم وقد وجد في رحلته الأولى
الى الاستانة من يشاركه في هذا الاعجاب ، وكنا قد اشرنا الى ما حدث
منه ومن اولئك المعجبين في حرب الانكليز مع (الترنسفال) حين
ذهبوا الى سفير بريطانيا في الاستانة يتعنون لحكومته الفوز في تلك الحرب
هذه بداية الاعجاب بالانكليز كما تصرح بذلك سيرته اما اذا لم نكتف
بهذا فربما جاز لنا ان نرجع الى ما قبل ذلك لان مركز الانكليز في
بغداد ليس بضعيف في القرن التاسع عشر وكان بإمكان الزهاوي - بوصفه
احد ابناء مفتي بغداد - ان يكون من الوجهاء الذين يعرفون ما لبريطانيا
من اثر وقوة يضاف الى ذلك ما كان يقرؤه في الصحف والمجلات وبعض

(١) الكلم المنظوم : ص ١٨٣ - ١٨٥ .

الكتب المترجمة التي قد تكون من بعض الخيوط في ربطه بهذا المسلك الذي عد من سيئاته في نظر خصوم الانكليز .

وقد نظم بعض المدائح في اصدقائه الجدد واشهر هذه المدائح قصيدته (ولاء الانكليز) التي ادعى انه نظمها بعد ان قرر الحزب المناوي لعبد الحميد طلب المساعدة من الانكليز في دعم الحركة الرامية الى اعلان الدستور وكان ذلك - كما يقول - في اثناء حرب (البوير) (١) . وقد مدح بقصيدته هذه سياسة الانكليز وعلمهم وقوتهم وملكهم وحضارتهم وفي نهايتها دعوة صريحة الى العرب في ان يوالوا الانكليز ويستفيدوا بموالاتهم ، وعنوان القصيدة نفسه يدل على هذه الدعوة ، وقد استخدم مدح الانكليز كل ما عرف من المعنويات والماديات من احتشام واباء للضميم وصدق واخاء وعدل ومضاء رأي وسياسة دكوا بها كل صعب : ويرعى شعبهم حلك همهم رعاه الله من ملك همهم ..

ثم الاساطيل المدرعة ، والمدافع والقنابل والجيش ، واذا كان وصف الجيش وتمجيد الحرب في هذه القصيدة مما يتنافى مع آراء الزهاوي في بعض الحروب وسفك الدماء فان المناسبة استدعته الى استخدام اساليب التقدماء في تمجيد القوة . اما وصف الاسطول فليس بجديد في الشعر فقد سبق اليه ابن هاني الاندلسي ، وفي ابيات الزهاوي اثر من الفاظ ابن هاني ومعانيه (٢) . وفي مقطعها الاخير يقول :

تبصر ايها العربي واترك ولاء (البعض) من قوم لثام
ووال الانكليز رجال عدل وصدق في الفعال وفي الكلام

(١) رسائل الزهاوي - مجلة الكاتب المصري - العدد ١٥ م ٤ - ١٩٤٦ م

(٢) انظر ديوان ابن هاني الاندلسي ص ٢٣١ - ٢٣٧ مطبعة

المعارف بمصر ١٣٥٢ هـ شرح الدكتور زاهدي .

ولد بحمامهم فمساك تنجسو بهم من مخلب الموت الزوام (١)
وقد اعتذر الزهاوي عن هذه القصيدة بقوله :
« وهل كنت يومئذ اعرف ان ستحدث حرب عالمية ويحتل الانكليز
العراق . . . » (٢) .

وعذر الزهاوي هذا لا يستطيع ان ينهض على ساقين للدفاع عنه
بعد ان رأيناه في الاحتلال وفي ثورة العشرين تنتظمه الصفوف الموالية
للانكليز ويكرر مدائحهم في هؤلاء المستعمرين الذين اعادوا العراق الى
احضان الزمر المتخلفة ، ثم هم الذين وعدوا الصهيونية على لسان
(بلفور) بفلسطين موطناً ليهود العالم ، وكان الزهاوي على علم بذلك
كله وهو يطري ويمدح .

ولم يكتف الزهاوي بهذه القصيدة بل نظم قصيدة اخرى سنة ١٩٠٧ م
ذم بها الدولة العثمانية ومدح الانكليز بمقطع منها فقال :

ان للكائنات ربا كبيراً منح الكائنات ارقى نظام
وحبا الانكليز بحراً عليه تسبح المنشآت كالأعلام
دولة بالعدالة استمسكت والعدل في الملك سلم للتسامي (٣)

هذه صورة للزهاوي في اطار السياسة تتخللها الوان مختلفة صنع
الكثير منها بيده وقد التزمنا في رسمها بزمن محدود الجوانب وهو عصر
السلطان عبد الحميد وتركنا حياته السياسية فيما بعد الدستور الى دراسة
اخرى ، والذي ظهر لنا من هذه الدراسة ان الشاعر لم ينته من حيث
بدأ في تحديد الموضوع واختيار الفكرة فقصده رسم له عصره طريقاً لم

(١) الكلم المنظوم : ص ١٤ - ١٦ .

(٢) رسائل الزهاوي - الكاتب المصري - العدد ١٥ م ٤ - ١٩٤٦ م

(٣) الكلم المنظوم . ص ١٥٦ - ١٥٩ .

يكن له بد من سلوكة طريق الذبذبة وازدواج الشخصية فهو ماحد
للسلطان وهو نائر عليه ثم هو ماحد ثم ناقم نائر ذلك شأن كثير من
الشعراء قديماً وحديثاً اما مدحه الانكليز - وقد عيب عليه - فانه كذلك
من سمات غيره من الشعراء المعاصرين له كشوقي وحافظ وفريق من
شعراء العراق الذين لم تكن لهم شهرة الزهاوي ومكانته .

وحصيلتنا من هذه القصائد في موضوعها وفننا اننا وجدنا شاعرا
من شعراء العراق سبق معاصريه الى محاربة الظلم والاستبداد في اشاعة
العلم والعدل والحرية والمساواة واقامة حكومة جمهورية . وقد جدد في
بعض افكاره ومعانيه وصوره . وان كان خياله يحوم ولا يحلق بعيدا ،
وادائه ليس من مادة متخيرة الالفاظ في معظم قصائده فقد تنسجم
الصورة عنده حيناً وقد تختلط الوانها وخطوطها في كثير من الاحيان
فتضيع الفكرة خلال الفاظ وتعابير قلقة ركيكة .

واذا كان لنا ما نقوله في السطور الاخيرة فلا يعدو الاعتراف
للزهاوي بأنه من رواد الحركة المناوئة للاستبداد ان لم يكن في مقدمتهم
وانه من دعاة الحرية والعدل .

. . .

ابراهيم الوائلي

مراجع البحث

- (١) الادب المصري لرفائيل بطي - المطبعة السلفية ١٩٢٣ م القاهرة
- (٢) ترجمة الزهاوي - بخط يده - في مكتبة الاستاذ كوركيس عواد ببغداد برقم ٢٢٣ .
- (٣) ثورة العشرين في الشعر العراقي - لكاتب البحث - مطبعة الايمان - بغداد ١٩٦٨ م .
- (٤) جريدة (المراق) بغداد العدد ٣٤٧ س ٢ - ٢٩ تموز ١٩٢١ م
- (٥) حقيقة الزهاوي .. المرحوم مهدي العبيدي .. بغداد ١٩٤٧ م .
- (٦) ديوان ابن هاني الاندلسي .. مطبعة المعارف بمصر ١٣٥٢ هـ .
- (٧) ديوان الزهاوي .. القاهرة ١٩٢٤ م .
- (٨) ديوان الكاظمي .. الجزء الاول - مطبعة ابن زيدون .
- (٩) رباعيات الزهلوي .. بيروت ١٩٢٣ م .
- (١٠) الزهاوي .. للدكتور داود سلوم .. مجلة كلية الاداب - العدد العاشر ١٩٦٧ م .. بغداد .
- (١١) الزهاوي الشاعر .. اسماعيل ادهم .. مصر .
- (١٢) الزهاوي وديوانه المفقود لهلal ناجي .. القاهرة ١٩٦٣ م .
- (١٣) الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر .. لكاتب البحث .. مطبعة العاني ١٩٦١ م بغداد .
- (١٤) الفجر الصادق .. للزهاوي .. مصر ١٣٢٣ هـ ، ١٩٠٥ م .
- (١٥) الكلم المنظوم .. للزهاوي .. المطبعة الاهلية .. بيروت ١٣٢٧ هـ .
- (١٦) لغة الشعر بين جيلين .. للدكتور ابراهيم السامرائي .. بيروت .
- (١٧) اللباب للزهاوي .. بغداد ١٩٢٨ م .
- (١٨) مجلة العرفان .. العدد ٦ م ١ .. ١٩٠٩ م صيدا .
- (١٩) مجلة الكاتب المصري العدد ١٥ م ٤ .. ١٩٤٦ م والعدد ١٦ م ٤ .. ١٩٤٧ م

حول الاستشراق

١ - نشأته :

اتصل الغرب المسيحي بالشرق الاسلامي اتصالاً اعتداه مسلح طوال قرنين كاملين من الزمن من نهاية القرن الحادي عشر الى آخر القرن الثالث عشر للميلادي وهو اعتداء الحروب الصليبية واختبر في هذا الاحتكاك عقيدة الاسلام في قوتها وضعف المسلمين في مجتمعهم وسعة ما يملكون من ثروة في بلادهم . فآثر الاسلام وما جاء فيه من توحيد الله وبشرية الرسول في الاصلاح الديني الذي قام به لوثر (Luther) في ١٤٨٣ - ١٥٤٦ م وكالفن (Calvin) في ١٥٠٩م - ١٥٦٤م في النصف الاول من القرن السادس عشر وظهر اثر الاسلام واضحاً في رفض البروتستنتية : (التثليث) و (عصمة البابا) وكونه صاحب السلطة الاخيرة التي لا يجوز التعقيب عليها ، في تحديد رأي المسيحية وغير ذلك من الاحكام والعقائد التي تعتبرها الكنيسة الرومانية وهي الكنيسة الكاثوليكية جزءاً رئيسياً من الايمان المسيحي . ويعتبر الغاء عصمة البابا في الاصلاح الديني المسيحي ذا اثر قوي في

توجيه الانسان الغربي نحو الاستقلال في التفكير وفي رد اعتبار قيمته في الوجود . كما يعتبر رفض سلطة البابا في تفسير المسيحية على انها السلطة الاخيرة التي لا تعقيب عليها ، سبباً في نشاط الفكر الاوربي في المعرفة وفي افساح مجال للعلم يقوم على الملاحظة والتجربة وفي وضع معايير جديدة للحياة الانسانية وتقييم المجتمع البشري لاتعارض مع (الكتاب المقدس) (١) وقد سلك لوثر نفسه وكذا من عاونوه في اصلاحه الديني طريق الملاءمة مع نصوص الكتاب المقدس في رفض ما رفضه وقبول ما قبله من عقائد ورسوم للعبادة دون اعتبار لسلطة بشرية اخرى تعقب على تفسيره وفهمه . كما أفاد الغرب في هذا الاحتكاك مرة ثانية في إعداد نفسه ورسم خطته انتهازاً لزيادة ضعف المجتمع الاسلامي وتفككه كي يحصل مالدى المسلمين من ثروة تعد في تنوع مصادرها ، ومقدار كميتها اضخم ما يعرف من ثروة في أي مكان آخر من العالم القديم وكما كان القرن السادس عشر مسرح الاصلاح الديني في الغرب كانت نهايته بداية اتصال الغرب المسيحي بالشرق الاسلامي اتصالاً اقتصادياً ، سواء في كشف موارد الثروة فيه او في استغلالها ونقلها الى الغرب في صورة تبادل تجاري او في اية صورة اخرى (٢) . وأستتبع الاتصال الاقتصادي . بعد تقدم صنع السفينة من الغرب اتصالاً آخر : هو نفوذ الغرب المسيحي على التوجيه السياسي للشرق الاسلامي وازداد هذا النفوذ بالتدريج حتى وصل منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الربع الاول من القرن العشرين منتهى ما وصل

(١) البهي ، محمد ، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار

الغربي ، ط ٢ القاهرة ١٩٦٠ ص ٢٢١ .

(٢) ايضاً ص ٢ - ٣

فيه . من نفوذ قوي على ضعيف (١) .

ويتضح ان التبشير والاستشراق مقدمة اساسية للاستعمار الاوربي كما وانه سبب مباشر لتوهين ثروة المسلمين : (ولقد كانت الدول الاجنبية تبسط حمايتها على مبشريها في بلاد الشرق لانها تعدهم حملة لتجارتها وآرائها وثقافتها في تلك البلاد بل لقد كان ثمن ما هو اعظم من هذا عندها : لقد كان المبشرون يعملون بطرق مختلفة على تهيئة شخصيات شرقية لانقاوم التسلط الاجنبي . أن عملاء التبشير والاستشراق وهم عملاء الاستعمار في الشرق الاسلامي هم الذين دربتهم الدعوة - دعوة التبشير - على انكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية في ماضي هذه الامة وعلى التنديد والاستخفاف بها وهم الذين وجههم كتاب الاستشراق الى ان يصوغوا هذه الافكار والتشديد والاستخفاف في صورة البحث وعلى اساس من اسلوب الجدل والنقاش في الكتابة او الالتقاء عن طريق المحاضرة او الاذاعة .

ان التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار . كلاهما دعوة الى توهين القيم الاخلاقية الاسلامية والغرض من اللغة العربية الفصحى وتقطيع اواصر القربى بين الشعوب الاسلامية والازدراء بها في المجالات الدولية العالمية (٢) .

كان الاستشراق الانكليزي من أول واوثق واوسع ما عرفته اوربا من استشراق منذ اتصال بريطانيا بالشرق الأوسط والاقصى اتصلاً ثقافياً وعسكرياً واقتصادياً واستعماريّاً في الاندلس والقدس والهند والصين والعراق ومصر وفلسطين ، وفي خلال ذلك اتخذ طابعه العلمي

(١) البهي ، محمد ، الفكر الاسلامي الحديث القاهرة ١٩٦٠ ص ٣٠٢

(٢) احمد ابراهيم خليل ، المستشرقون والمبشرون ، القاهرة ١٩٦٤ ص ٣٩٠

الخاص عندما توفرت للمستشرقين أسبابه وتنوعت أغراضه وانقطعوا إليه واخلصوا فيه (١). والمستشرقون كما عرفوهم (جماعة من علماء الغرب تفرغوا للبحث في الآثار الشرقية) وعرفهم آخرون فقالوا (يراد بكلمة المستشرقين كل من تجرد من أهل الغرب في دراسة بعض اللغات الشرقية ونقصي آدابها طلباً للتعرف شأن أمة من أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانيتها أو علومها وآدابها وغير ذلك . واصل في كلمة استشرق انه صار شرقياً كما يقال (استعرب) انه صار عربياً (٢) .

ب - بواعثه وأغراضه :

ودراسة المستشرقين للإسلام قامت أولاً بوحي من الكنيسة الكاثوليكية خاصة للانتقاص من تعاليم الإسلام واهداف قيم تعاليمه حرصاً على مذهب الكاثوليكية من جانب وتعويضاً عن الهزائم الصليبية في تحرير بيت المقدس من جانب آخر . ثم تبني الاستعمار الغربي هذه الدراسة في الجامعات الغربية نفسها حتى يقوى القائمون بأمرها على تصديرها الى الشرق الاسلامي في صورة كتب تؤلف وترسل الى طلاب الثقافة او في صورة طلاب من الشرق الاسلامي يدعون او يعانون على الدراسة هناك ثم يمنحون الالقاب العلمية ما يتمكنون بها من الظفر بوظيفة التوجيه

(١) العقيلي: نجيب ، المستشرقون ج ٢ ط ٢ القاهرة ١٩٦٥ ص ٤٣٩

(٢) جمال الدين محسن ، المستشرقون والاماكن المقدسة ،

ط ٢ بغداد ١٩٦٧ ص ١٢

عن الكليات النظرية بالجامعات الحديثة في الشرق الاسلامي (١) .
وقد ذكر الاستاذ محمد البهي في مقدمة كتابه (الفكر الاسلامي الحديث) : في بداية منتصف القرن التاسع عشر وعلى التحديد في سنة ١٨٥٧ م تم للانجليز الاستيلاء على الهند سياسياً وانتقلت سلطة الحكم رسمياً من شركة الهند الشرقية (التي تأسست في ٣١ ديسمبر سنة ١٦٠٠ م والتي انضمت الى شركة اخرى جديدة في سنة ١٦٨٩ م) الى التاج البريطاني . وزالت بذلك احدى الدول الاسلامية الكبرى التي قامت في مستهل القرن السادس عشر الميلادي وهي دولة المغول في الهند او الدولة التيمورية (نسبة الى تيمورلنك) مؤسس هذه الامبراطورية الاسلامية في آسيا الوسطى . اما الدولتان الاخرتان اذ ذاك فهما الدولة الصفوية في ايران ودولة الاتراك العثمانية في آسيا الصغرى وشرق اهديا كما تم في نفس السنة - وهي سنة ١٨٥٧ م - استيلاء الفرنسيين على الجزائر كلها الى الصحراء بعد ان ابتدأوا غزوها سنة ١٨٣٠ م .

ومن قبل هاتين الدولتين الاستعماريتين - انجلترا وفرنسا احتلت هولندا في بداية القرن السابع عشر جزر الهند الشرقية (اندونيسيا) عن طريق شركة الهند الهولندية التي تأسست في سنة ١٦٠٢ م بعد ان ضاع استقلال البرتغال باعلان ملك اسبانيا ضمها الى بلاده في سنة ١٥٨٠م تلك الدولة التي عادت طريق الاستعمار الغربي المسيحي في وسط آسيا وشرقها في الهند ، وفي اندونيسيا سنة ١٥١١ م والتي حصل ملكها من البابا اسكندر على صك رسمي بأن البرتغال سيادة بحار العرب والعجم والهند والحبشة .

فبعد قرنين ونصف أي منذ بداية القرن السابع عشر الميلادي الى

(١) البهي : محمد ، الفكر الاسلامي الحديث ، القاهرة ١٩٦٠ ص ٥

النصف الثاني من القرن التاسع عشر تمكن الاستعمار الغربي المسيحي من السيطرة سيطرة تامة على المسلمين في وسط آسيا وشرقها واتخذ نقطة ارتكاز رئيسية في افريقيا كما تمكن من مد نفوذه الى قلب العالم الاسلامي ومركزه الرسمي في منطقة الشرق الادنى .

وبذلك طوق العالم الاسلامي من الشرق والغرب وسلط الأعباء ودسائسه على بقية المجتمعات الاسلامية الاخرى بين هذين الطرفين فوهنت هذه التجمعات وانحل عقدتها وسقط بعضها اثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربي . وما جاءت الحرب العالمية الاولى وانقضى اجلها حتى اصبح العالم الاسلامي كله تحت نفوذ المستعمر (١) .

فلاستشراف والتبشير صنوان لا يختلفان في الهدف وفي الوصف ومن اقوال زعماء المبشرين والمستشرقين عن اهداف التبشير قول (لورانس براون) : (- اذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية امكن ان يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، وامكن ان يصبحوا نعمة له ايضاً ، اما اذا ظلوا متفرقين فانهم يظلمون حينئذ بلا قوة ولا تأثير) ويفصح القس (كالهون سيمون) عن رغبة التبشير في تفريق المسلمين التي عبر عنها (براون) فيما قبل بقوله (ان الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السود ، وتساعدهم على التخلص من السيطرة الاوربية ، ولذلك كان التبشير عاملاً مهماً في كسر شوكة هذه الحركات) (٢) . ذلك لأن التبشير يعمل على اظهار الاوربيين في نور جديد جذاب وعلى سلب الحركة الاسلامية من عنصر القوة والتمركز فيها ، فوحدة المسلمين اذن في نظر التبشير يجب ان تفتت وان توهن ويجب ان يكون هدف التبشير هو

(١) البهي : محمد ، الفكر الاسلامي الحديث القاهرة ١٩٦٠ ص ١٠

(٢) احمد ابراهيم خليل ، المستشرقون والمبشرون القاهرة ١٩٦٤ ص ٣٧

التفرقة في توجيه المسلمين واتجاهاتهم .

وهناك بجانب نفثت وحدة المسلمين - كهدف للمبشرين - هدف آخر هو درء خطر وحدتهم وامتداد سلطانهم باستعمار الشعوب الأوروبية واستغلالها واستنزافها ثروتها وفي هذا المعنى يقول لورانس براون أيضاً :
(الخطر الحقيقي كامن في نظام الاسلام وفي قوته على التوسع والاختضاع وفي حيويته انه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الاوربي) .

ويرى المستشرق الالماني (بيكر) : (أن هناك عداً من النصرانية للاسلام بسبب ان الاسلام عندما انتشر في العصور الوسطى اقام سداً منيعاً في وجه الاستعمار وانتشار النصرانية ثم امتد الى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها . وهدف التبشير والاستشراق اذن هو تمكين الاوربي المسيحي من البلاد الاسلامية كما يبدو واضحاً من اقوال زعماء التبشير والاستشراق (١) .

اما تحامل المستشرقين فغريزة موروثه وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية بكل مآلها من ذبول في عقول الأوربيين الأولين (٢) .

ومن بعض المستشرقين مخلص في بحثه على رغم خطئه لكن الخطأ يتسرب الى بحثه لعدم دقته في إدراك أسرار اللغة العربية تارة ولما يشوب نفوس طائفة من هؤلاء العلماء من الحرص على هدم مقررات دين من الاديان او على هدم مقررات الاديان جميعاً تارة اخرى وهذا او ذاك

(١) احمد : ابراهيم خليل ، المستشرقون والمبشرون .

القاهرة ١٩٦٤ ص ٣٧ ، ٣٩

(٢) جمال الدين ، محسن ، المستشرقون والاماكن المقدسة .

بغداد ١٩٦٧ ص ٢٢

اسراف كان يجمل بالعلماء ان يجتنبوه ولقد رأينا مسيحيين دفعهم هذا الاسراف فكتبوا عن جنون عيسى وانما دعا الى هذه النزعة في اوربا ما بين الكنيسة والدولة من نزاع ادى برجال العلم وبرجال الدين كل من ناحيته الى الحرص على القلب لاقتناص السلطان والحكم (١) .

ج - الفرق بينه وبين التبشير :

والتبشير المقصود منه ان ترد الخراف الضائعة والقطيع الشارد الى حظيرة المسيحية او كما يزعمون الى مملكة المسيح (٢) .

والتبشير والاستشراق في ذلك سواء والفرق بينهما هو أن الاستشراق اخذ صورة البحث وادعى لبحثه الطابع العلمي الاكاديمي بينما بقيت دعوة التبشير في حدود مظاهر العقلية العامة وهي العقلية الشعبية .

استخدم الاستشراق الكتاب والمقال في المجالات العلمية وكرس التدريس في الجامعة والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة اما التبشير فقد سلك طريق التعليم الدرس في دور الحضارة ورياض الاطفال والمراحل الابتدائية والثانوية للبنين والبنات على السواء كما سلك سبيل العمل الخيري الظاهري في المستشفيات ودور الضيافة والملاجيء للكبار ودور اليتامى ولم يقصر التبشير في استخدام النشر والطباعة وعمل

(١) هيكل : محمد حسين ، حياة محمد (مقدمة ط (١)

القاهرة ١٩٥٢ ص ٢٨

(٢) من مقالة ع . حجازي (اضواء على التبشير المسيحي) ،

رسالة الاسلام العددان ٥ ، ٦ السنة الاولى بغداد ٩٦٦ ص ١٤٢

الصحافة في الوصول الى غايته (١) .

وقد رغب المسيحيون في التبشير بدينهم بين المسلمين فاقبلوا على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وارسالهم الى العالم الاسلامي (٢) ان العمل التبشيري بين المسلمين فن من الفنون يحتاج الى تدريب ودراية كاملة يتوقف عليها استعداد المرء الفطري وينقسم العمل التبشيري ثلاثة أقسام :

١ - التبشير بين الجماعات وهذا يحدث بالمدارس والمستشفيات وفي الندوات الدينية العامة .

٢ - التبشير مع الفرد الواحد : وهذا يحتاج الى مشاورة وصبر واستعداد للترحاب بالضيف واطهار كل امكانيات الود والصداقة حتى يأنس اليه الفرد ويثق به وهنا يصبح آلة مسخرة يكيّفها المبشر كما يشاء ويصل بها الى النصرانية طواعية واختياراً .

٣ - العمل التبشيري الصامت : وذلك بتوزيع الكتاب المقدس والنشرات الدينية والصور والايقونات ومن الكتب الجدلية الخطيرة التي يستعين بها المبشر للوصول الى غايته (٣) .

هذا والمجموعة هي (٤) .

١ - كتاب ميزان الحق : للدكتور فاندر المستشرق الامريكى ، والدكتور سنكلير تسدل .

(١) احمد ابراهيم خليل ، المستشرقون والمبشرون في العالم الاسلامي

القاهرة ٩١٤ ص ٤٠

ص ٤٢

(٢) نفس المصدر

ص ٥٧ - ٥٨

(٣) نفس المصدر

ص ٥٧

(٤) نفس المصدر

- ٢ - كتاب الهداية : ويقع في اربعة اجزاء وهو تفنيد مريع للاسلام وطعن سافر في القرآن الكريم :
- ٣ - كتاب مقالة الاسلام : للدكتور المستشرق سال .
- ٤ - كتاب مصادر الاسلام : للدكتور سنكلير تسدل .
- وهذه الكتب الاربعة تعتبر للمستشرقين والمبشرين من اخطر المراجع للهجوم على الاسلام والقرآن والرسول الأمين (١) .

علاقة الاستعمار بالمستشرقين وبالصليبيين وأساليبه

ان التبشير في الأصل حركة قامت بعد خيبة الحروب الصليبية وترعرعت في القرون الوسطى واشتدت آثارها في بلادنا في مطلع القرن التاسع عشر . غير ان الواقع التبشيري وجهود المبشرين لا تدل على حسن نية او سلامة طوية بل هذه اعمالهم تشهد على خبثهم وهذه اقوالهم تدل دلالة واضحة على عنصر الكيد بين جنبااتهم .

ذكر المبشر (رشرت) في كتابه (تأريخ البعثات البروتستانية في الشرق الأدنى ما نصه (خابت دول اوربا في الحروب الصليبية الأولى عن طريق السيف فأرادت ان تثير على المسلمين حرباً صليبية جديدة عن طريق التبشير فاستخدمت لذلك الكنائس والمدارس والمستشفيات وفرقت المبشرين في العالم) .

وكان المبشرون يتسللون الى بلادنا كرعايا انكليز او امريكيين او دانمركيين او فرنسيين ، وفي آب ١٨٤١ م أي العام الذي خرج فيه

(١) احمد : ابراهيم خليل المستشرقون والمبشرون في العالم الاسلامي

ابراهيم باشا من سوريا في هذا الشهر ارسلت الولايات المتحدة سفينة حربية صغيرة كان اسمها (سيان) حملت على ظهرها المبشرين الى (لارنقا) في جزيرة قبرص . ولقد حاول المبشرون بحرارة تنصير المغول لكنهم حين يشوا من ذلك شنوها حرباً صليبية تبشيرية على الدولة العثمانية حتى ان (رشرت) ذكر في كتابه تصريحاً للمسيوعيين جاء فيه : (الم تكن ورثة الصليبيين او لم يرجع تحت راية الصليب لنستأنف التسرب للتبشيري والتمدين المسيحي ولنعيد في ظل القلم الفرنسي وباسم الكنيسة ملكة المسيح ؟ على أن المبشرين يتعاونون فيما بينهم في المسلك والسلوك في الغاية والهدف فممنهم من جاء للمغنية والمكسب ومنهم من أراد السمعة والشهرة ومنهم من أحب الاسفار والمغامرات فاستغل آنذاك سخاء الكنيسة وعطاءها (١) . ولم يقف استخدام النفوذ السياسي القوي عند حد الاستغلال الاقتصادي في رفع مستوى الغرب وتقدم صناعته من جانب واضعاف مستوى الشرق والحرص على تخلفه من جانب آخر بل استخدم ايضاً للتنفيس عن الهزيمة الصليبية (٢) في الحروب الماضية وعن الحقد الصليبي على بقاء بيت المقدس في ظل السيادة الاسلامية (٣) فكيف يستمر للغرب نفوذه السياسي على الشرق الاسلامي ؟ وكيف يبقى تخلف المسلمين ؟ وكيف تنفس الصليبية عن حقدتها ؟

-
- (١) من مقالة ع . حجازي (اضواء على التبشير المسيحي) ، رسالة الاسلام العددان ٥ ، ٦ السنة الأولى بغداد ٩٦٦ ص ١٤٢ ، ١٤٣
 (٢) البهي : محمد ، الفكر الاسلامي الحديث ط ٢ القاهرة ١٩٦٠ ص ٢

(٣) نفس المصدر

هذه الأسئلة الثلاثة يرتبط بعضها ببعض في تصوير الغرب المسيحي المستعمر ويحرص على أن تبقى متصلة بعضها ببعض في مباشرة سلطته هنا في الشرق . على أن وجود أي واحد من هذه الأمور الثلاثة وتمتعه بالبقاء كفيل بتمكين الوجود للآخرين .

لهذا منذ أن باشر النفوذ الغربي سلطته في رقعة الشرق الاسلامي منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ابتداء بعمل على تخلص المسلمين وعلى تنفيس الحقد الصليبي . وليس له هنا طريق آخر لتحقيق هذه الغاية سوى تناول (مادة التوجيه) المحلية وجعلها غير صالحة ولم يكن هناك في توجيه الشرق الاسلامي سوى : الاسلام والتراث الاسلامي الذي خلفه المسلمون في شرح اسلامهم .

فانفساد الاسلام والتراث الاسلامي إذن غرض اول للمستعمر الغربي واختار وسيلته لذلك فيما ابرزه من المفارقة بين الغرب والشرق من تقدم الأول وتأخر الثاني . وابتدأ (العلم) وابتدأت (الدراسة) هناك تبحث عن اسباب هذه المفارقة . وتركزت الاسباب أخيراً في المقابلة بين المسيحية والاسلام ، المسيحية دين المتقدمين ، والاسلام دين المتخلفين (١) .

لقد سيطر الغرب الحديث في اوجه نشاطه وجهوده إعتبارات من الانتفاع العلمي ومن التوسع الفعال فقط وقد كان هدفه الذاتي انما هو المعالجة والاكتشاف لكوامن الحياة من غير أن ينسب الى تلك الحياة حقيقة أدبية مافي ذاتها ، اما قضية معنى الحياة والغاية منه فقد فقدت منذ زمن بعيد في نظر الاوربي الحديث جميع اهميتها العملية (٢) .

(١) البهي : محمد ، الفكر الاسلامي الحديث القاهرة ٩٦٠ ص ٤

ص ٣١

(٢) نفس المصدر

واصبح المهم لديه قضية واحدة فقط هي تلك الاشكال التي تستطيع الحياة ان تتلبس بها سواء أكان بإمكان الجنس البشري - كما هو اليوم - ان يتقدم نحو السيطرة النهائية على الطبيعة او لم يكن ذلك ان الأوربي الحديث يجيب على السؤال الأخير بالإيجاب (١) وهاهنا موضع يتفق فيه والاسلام فقد قال الله تعالى (اني جاعل في الارض خليفة) وهذا يعني ان الانسان قد قدر له ان يسود في الأرض وان يترقى عليها ولكن الفرق بين وجهة النظر الاسلامية ووجهة نظر الغربي انما هو في نوع الرقي الانساني ان الغرب الحديث يعتقد بإمكان تجسيد رוחي مستعر للبشرية في مجموعها وذلك عن طريق الرقي العلمي وتطور التفكير العلمي اما وجهة النظر الاسلامية فهي على كل حال مناقضة لهذه النظرة الغربية الآلية . ان الاسلام يعتبر وجوه الامكان الروحي لمجموع البشر صفة كامنة : اي انه شيء قد وضع في بناء الطبيعة البشرية بما هي طبيعة . ان الاسلام لا يسلم ابدأ - كما يفعل الغرب - بأن الطبيعة في معناها اللافردي العام تخضع لعملية تبدل ارتقائي وتحسن كالذي يتفق للشجرة مثلاً في نموها ذلك لأن اساس تلك الطبيعة اي النفس الانسانية ليس كمية حيوية عضوية فحسب (٢) .

وقد عاون الاستعمار الغربي امله على الاستمرار في الحملة التي اثاروها على الاسلام وعلى محمد ودعاهم ليقولوا ما قال اهل مكة حين ارادوا ان يحملوا النصرانية عار هزيمة هرقل الروم امام فارس فقد قالوا ولا يزال الكثيرون منهم يقولون ان الاسلام هو السبب في انحطاط الشعوب الأخذ به وفي خضوعهم لغيرهم وهذه قرية يكفي لادحاضها

(١) البهي : محمد . الفكر الاسلامي الحديث القاهرة ٩٦٠ ص ٣٢

ص ٣٢ - ٣٣

(٢) نفس المصدر

ان يذكر قائلها ان الشعوب الاسلامية ظلت صاحبة الحضارة الغالبة وصاحبة السيادة على العالم المعروف كله قروناً متوالية وانها كانت محط رجال العلم والعلماء وموئل الحرية التي لم يعرفها الغرب الا من امد قريب فاذا امكن ان ينسب انحطاط طائفة من الشعوب الى الدين الذي تؤمن به فلا يكون هذا الدين الاسلام وهو الذي حفز بدو شبه جزيرة العرب وأثارهم ولكن لهم من حكم العالم على أن لهؤلاء الذين يحملون الاسلام وزر انحطاط الشعوب الاسلامية من العذر ان اضيف الى دين الله شيء كثير لارضاء الله ورسوله واعتبر من صلب الدين ورمى من ينكره بالزندقة . وندع الدين جانباً ونقف عند سيرة صاحبه (ص) فقد اضافت اكثر كتب السيرة الى حياة النبي مالا يصدقه العقل ولا حاجة اليه في ثبوت الرسالة . وما اضيف من ذلك فقد اعتمد عليه المستشرقون واعتمد عليه الطاعنون على الاسلام ونبه وعلى الامم الاسلامية واتخذوه تلكاتهم في مطاعنهم المثيرة لنفس كل منصف (١) .

وتباين المبشرون في علمهم وحنكتهم اذ منهم من كانوا اساتذة في المعاهد والكليات ومنهم من كانوا خبراء وعلماء ومنهم من كان على صلة بأبوية وثيقة حتى ان بعضهم كان تحت رعاية البابا واشرافة فالبابا (ليون الثالث عشر ١٨٨١) ومن قبل (البابا غيغوريوس السادس عشر ١٨٣١) كلاهما امتاز بالتشجيع الدائم والرعاية الكبرى تجاه اليسوعيين بل انهما كلّفا اليسوعيين ان يعملوا في سوريا بين المسلمين اما البابا (بيوس الحادي عشر) والذي جاء عرش رومية عام ١٩٢٢ فقد كان

(١) هيكل : محمد حسين . حياة محمد المقدمة ط ١

القاهرة ٩٥٢ ص ١٤ - ١٥

يسمى بابا التبشير (١) .

ولم يقتصر التبشير على الرجال بل كان في ذلك للراهبات نصيب فالراهبات اللواتي جئن ليرفن عن المريض بعض آلامه وعن الجريح قليلا من آلامه لسن سوى مبشرات يعشن بين المسلمين (٢) . جاء في كتاب اليسوعيين الذي صدر في بيروت عام ١٩٣١ ما نصه : (ان الاخوات لسن راهبات معلمات فقط ولكنهن ايضاً راهبات مبشرات ، انهن في كل مكان يوجدن فيه يعملن الى جانب عملن التعليمي اعمالاً تبشيرية فهن يعملن لضم الخراف الضالة او المهمة الى حظيرة المسيح الملك) (٣) اما اعداد المبشرين فكان يتم على اختلاف نزعاتهم في مدارس موجهة تصور الاسلام والشرق بأسوأ الصور واظلم المعالم (٤) .

وبعض هذه الجماعات لهم غايات شخصية واستعملت سياسة تظهر بمظهر العلم وتنزياً به وتبطن احياناً اموراً وغايات - اهداف سياسية او دينية او تجارية وهم يجتهدون ابناؤهم لهذا الغرض فيدربونهم على تعلم اللغة الشرقية التي يقصدون سكانها ومواطنيها فلم مدارس ومعاهد وجامعات ومكاتب اختصت بهذه الشؤون بالاضافة الى انهم يدعون ايضاً للخفایا الاستعمارية قال الاستاذ (ج - آ - آ ربري) في كتابه (المستشرقون البريطانيون) : (بينما كان التاجر يسعى في تحصيل النفع المادي من علاقاته بالشعوب الشرقية اذ المبشر الانجيلي يسبقه تارة

(١) من مقالة ع . حجازي (اضواء على التبشير المسيحي) ،

رسالة الاسلام السنة الاولى ٦٥٥ بغداد ٩٦٦ ص ١٤٣

ص ١٤٤

(٢) المصدر نفسه

ص ١٤٤ - ١٤٥

(٣) المصدر نفسه

ص ١٤٥

(٤) المصدر نفسه

ويتبعه حثيثاً مرة أخرى (١) وكانت قوافل العلماء من المستشرقين تتوجه الى البلاد العربية وعلى رأس تلك الحملات رجال وجهاً انظارهم الى بلاد الحجاز ونجد وبلاد اليمن خاصة لعلهم بأنهم بلاد غنية بآثارها الدينية والتاريخية ومعادنها الوفيرة ولوجود بقايا دول عربية منقرضة فيها كالسبئية والمعينية (٢) .

ان جنسيات المستشرقين متعددة منهم :

- ١ - البرتغاليون .
- ٢ - الانجليز .
- ٣ - الافرنسيون .
- ٤ - الالمانيون .
- ٥ - الهولنديون .
- ٦ - الروس .
- ٧ - الاسبان .
- ٨ - الايطاليون .
- ٩ - النمساويون .
- ١٠ - الدنمركيون .
- ١١ - السويسريون .

وكان اول كرسي خصص للغة العربية في جامعة كمبريدج عام ١٦٣٢ ترأسه الاستاذ السر (توماس آدمز) باكسفورد ترأسه رئيس الاساقفة (لود) واول مستعرب كما ذكر (اوليفري) هو (وليم بدويل) واللمغة

(١) جمال الدين : محسن ، المستشرقون والامكان المقدسة ط ٢

بغداد ٩٦٧ ص ١٢

ص ١٣

(٢) نفس المصدر

العربية هي اللغة الوحيدة للدين واللغة من الجزائر الى الصين وهذا العالم اول من ترجم القرآن الكريم الى اللغة الانجليزية . واول من قام برحلة الى البلاد العربية ووصف شبه جزيرتها ولقت انظار الباحثين الاوروبيين لها العالم الدانمركي (كارسن نيبور) الذي قام عام ١٧٦١ م برحلته الى شبه الجزيرة العربية بناء على رغبة ملك الدانمرك (١) .

ان البلاد العربية والاسلاميه في يقظتها الحالية تتعثر في خطاها نحو التماسك الداخلي بسبب الرواسب التي تخلفت عن التبشير والاستشراق وبسبب آخر له وزنه وأثره في هذا التعثر وهو ضعف المواجهة التي يلقاها في البلاد الاسلاميه . هذان هما العاملان القويان في تركيز الاستعمار وبهثرة القوى الوطنية في كل بلد عربي اسلامي (٢) .

وطريقة التبشير لتوهين المسلمين لم يكن بالدعوة الى المسيحية والعمل على ارتداد المسلمين الى النصرانية وانما كان طريقه تشويه الاسلام ومحاولة اضعاف قيمته ثم تصوير المسلمين في وضعهم الحالي بصورة مزرية بعيدة عن المستوى الحضاري في عصرنا الحاضر (٣) .

يقول (و . س . نلسون) : (واخضع سيف الاسلام شعوب افريقيا وآسيا شعباً بعد شعب) ويقول (جوليمين) : أن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم وأن يبذلوا جميع الاديان

(١) جمال الدين : محسن ، المستشرقون والاماكن المقدسة ط ٢

بغداد ٩٦٧ ص ١٢

(٢) احمد : ابراهيم خليل ، المستشرقون والمبشرون

القاهرة ٩٦٤ ص ٤١

(٣) نفس المصدر .

بدينه هو ، ما اعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (يعني المسلمين) وبين
النصارى ! ان هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة ، وقالوا للناس :
اسلموا او موتوا بينما اتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم واحسانهم
ماذا كانت حال العالم لو ان العرب انتصروا علينا ؟ اذن لكنا مسلمين
كالجزائريين والمراكشيين (١) .

والتقت مصلحة المبشرين مع اهداف الاستعمار فمكن لهم واعتمد
عليهم في بسط نفوذهم في الشرق واقنع المبشرون والمستشرقون زعماء
الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة للاستعمار الغربي في الشرق
وبذلك سهل الاستعمار لهم مهمتهم وبسط عليهم حمايته وزودهم بالمال
والسلطان وهذا هو السبب في ان الاستشراق قام في اول أمره على اكتاف
المبشرين والرهبان ثم اتصل بالاستعمار . ولقد حاول المستشرقون ان
يحققوا اهدافهم بكل الوسائل : القوا الكتب والقوا المحاضرات والدروس
وبشروا بالمسيحية بين المسلمين . جمعوا الاموال وانشأوا الجمعيات
وعقدوا المؤتمرات واصدروا الصحف وسلكوا كل مسلك ظنوه محققاً
لاهدافهم (٢) .

ولقد يستخدم المبشرون دور التعليم للتبشير كما يستخدمون وسائل
اخرى منها الصحافة (٣) .

واشهر المؤسسات التعليمية في الشرق العربي .

١ - جامعة القديس يوسف في لبنان : وهي جامعة بابوية كاثوليكية
وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية .

(١) احمد : ابراهيم خليل ،

المستشرقون والمبشرون
القاهرة ٩٦٤ ص ٤٢

(٢) و (٣) نفس المصدر

ص ٤٣

٢ - الجامعة الامريكية ببيروت : وهي التي كانت من قبل تسمى الكلية السورية الانجيلية ثم كلية بيروت وقد انشأت في عام ١٨٦٥ م وهي جامعة بروتستانتية .

٣ - الجامعة الامريكية بالقاهرة : وكانت تعرف بالكلية الامريكية وقد كان القصد من انشائها ان تكون قريبة من المركز الاسلامي الكبير وهو اي الجامع الازهر .

٤ - الجامعة الامريكية باستانبول وهي كلية روبرت في استانبول التي اصبحت تسمى بالجامعة الامريكية هناك .

٥ - الكلية الفرنسية في لاهور والكلية الفرنسية في لاهور اسست في لاهور باعتبار ان هذا البلد يكاد يكون البلد الاسلامي في تكوينه في شبه القارة الهندية . ولقد ابانت هذه الكليات عن اغراضها السافرة التبشيرية كما جاء في منشور الجامعة الامريكية ببيروت (١) .

منشور الجامعة الامريكية

اصدرت الجامعة الامريكية في بيروت عام ١٩٠٩ م منشوراً رداً على احتجاج الطلاب المسلمين لاجبارهم على الدخول يومياً الى الكنيسة ويتضح من المادة الرابعة منه طابع هذه المؤسسة وامثالها ونص هذه المادة :
ان هذه الكلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحي هم اشتروا الارض وهم اقاموا الأبنية وهم انشأوا المستشفى وجهازه ولا يمكن للمؤسسة ان تستمر اذا لم يسندها هؤلاء وكل هذا قد فعله هؤلاء ليجدوا

(١) احمد : ابراهيم خليل ،

المستشرقون والمبشرون

القاهرة ٩٦٤ ص ٤٤

تعليمياً يكون الانجيل من موارده فتعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ . وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب ان يعرف سابقاً ماذا يطلب منه (١) .

ومن اكابر المستشرقين الانجليز :

وليم بدويل (١٥٦١ - ١٦٣٢) W . و Bedwell
تخرج من كمبريدج وعين استاذاً للغة العربية في اكسفورد
اهم آثاره : المعجم العربي في سبعة اجزاء . وترجمة رسائل القديس
يوحنا والعهد الجديد ومحمد . .

جون جريفز (١٦٠٢ - ١٦٥٢) J . و Greeves
استاذ للفلك في اكسفورد . نزل بمصر لدراسة العربية والفارسية
اهم آثاره : وصف الاهرامات المصرية . وجغرافية ابي الفداء
وناصر الدين الطوسي . .

ابراهيم ويلوك (١٥٩٣ - ١٦٥٣) A . و Whee lock
تخرج من كمبريدج (١٦١٤) عين استاذ في كلية كير .
اهم آثاره : نشر الترجمة الفارسية للانجيل :
جون سلدن (١٥٨٤ - ١٦٥٤) J . و Selden من السياسيين
والمشرعين اهم آثاره : نظم الجواهر لابن البطريق .

الاسقف بربان والتون (١٦٠٠ - ١٦٦١) B . و Walton
تخرج من كمبريدج ، درس اللغات الشرقية في اكسفورد اهم آثاره :
نشر التورات بعدة لغات .

(١) احمد : ابراهيم خليل ،

المستشرقون والمبشرون

القاهرة ٩٦٤ ص ٤٥

صموئيل كلارك (١٦٢٥ - ١٦٦٩) S . و Clarke تخرج من
جامعة اكسفورد .

اهم آثاره : عاون في نشر التورات ، اجزاء من القاموس الفارسي
توماس جريفز (١٦١٢ - ١٦٧٦) Th . و Greaves تخرج
بالعربية والفارسية من اكسفورد .

اهم آثاره : فائدة اللغة العربية واهميتها ، وموجز الديانة
المسيحية (١) .

اما عن شبح الحروب الصليبية : هنالك سوى فقدان التجانس
الروحي سبب آخر يحمل المسلمين على ألا يقلدوا المدنية الغربية : انه
التجارب التاريخية التي اصطبغت صبغاً شديداً بعداوة غريبة للاسلام
وهذا ايضا الى حد ما إرث اوروبا من اليونان والرومان (٢) .

ان اليونانيين والرومانيين نظروا الى انفسهم على انهم هم وحدهم
المتمدنون اما كل ما كان اجنبياً عنهم وعلى الاخص اولئك الذين كانوا
يعيشون شرق البحر المتوسط فقد كانوا يحملون في نظر اليونان والرومانيين
اسم (برابرة) ومنذ ذلك الحين والاوربيون يعتقدون ان تفوقهم العنصري
على سائر البشر امر واقع ، على ان هذا وحده لا يكفي لاثبات مالكية
الاوربيين نحو الاسلام خاصة هنا وهنا فقط (نعني فيما يتعلق بالاسلام)
لا نجد موقف الاوربي موقف كره في غير مبالاة فحسب بل كما هي الحال
في موقفه من سائر الاديان والثقافات بل هو كره عميق الجذور يقوم

(١) العقيلي : نجيب ، المستشرقون ط ٣

القاهرة ٩٦٥ ص ٤٢٩

(٢) ايوبولد فايس . الاسلام على مفترق الطرق تعريب عمر فروخ .

بيروت ٩٤٦ ص ٥٠

في الاكثر على صدور التعصب الشديد وهذا الكره ليس عقلياً فحسب ولكنه يصطبغ بصيغة عاطفية قوية قد لا تقبل اوريا تعاليم الفلسفة البوذية او الهندوكية ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ومبني على التفكير الا انها حالماً تتجه الى الاسلام يختل التوازن ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب . حتى ان ابرز المستشرقين الاوربيين جعلوا من انفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الاسلام (١) .

ويظهر على الاكثر كما لو ان الاسلام لا يمكن ان يعالج على انه موضوع بحث في البحث العلمي بل على انه متهم يقف امام قضاة . ان بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول اثبات الجريمة وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع فهو مع امتناعهم شخصياً بالاجرام فهو كله لا يستطيع اكثر من ان يطلب له مع شيء من الفتور (اعتبار الاسباب المخففة) وعلى جهة فان طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها اكثر المستشرقين نذكرنا بوقائع دواوين التفتيش تلك الدواوين التي انشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى اي ان تلك الطريقة لم تتفق لها ابدأ ان نظرت في القرائن التاريخية بتجرد لكنها كانت في كل دعوة تبدأ بالاستنتاج متفق عليه من قبل قد املاء عليها تعصبها لرأيها ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج الذي يقصدون ان يصلوا اليه مبدئياً واذا تعذر عليهم الاختيار العرفي للشهود عمدوا

(١) ليوبولد فايس ، الاسلام على مفترق الطرق تعريب عمر فروخ ،

بيروت ٩٤٦ ص ٥١

ص ٥٢

(٢) نفس المصدر

إلى الاقتطاع (٢) أقسام من الحقيقة التي شهد بها الشهود الآخرون ثم فصلوها من المتن أو تأولوا الشهادات بروح غير علمي من سوء القصد من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر أي من قبل المسلمين أنفسهم (١) .

وليست نتيجة هذه المحاكمة سوى صورة مشوهة للإسلام وللأمة الإسلامية تواجهنا في جميع ما كتبه مستشرقو أوروبا وليس ذلك قاصراً على بلد دون بلد آخر أنك تجده في إنكلترا وألمانيا وروسيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وبكلمة واحدة في كل صقع يتجه إليه المستشرقون فيه أبصارهم نحو الإسلام ويظهر أنهم ينتشون بشي من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة حقيقية أو خيالية ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد (٢) وبما أن هؤلاء المستشرقين ليسوا سلالة خاصة ولكنهم طلائع مدنياتهم وطلائع بيئتهم الاجتماعية فأننا من أجل ذلك يجب أن نصل ضرورة إلى أن نستنتج أن في عقل الأوروبي على العموم - بسبب ما - ميلاً على الإسلام بما هو دين ربما هو ثقافة . أن سبباً واحداً ذلك يمكن أن يعزى إلى الإرث الذي قسمه العالم يومذاك (أوربيين) و (برابرة) وأما السبب الآخر هو أشد صلة مباشرة بالإسلام فيمكننا أن نتبعه إذا ولينا أبصارنا شطر الماضي وخصوصاً إلى تاريخ العصور الوسطى أن الاصطدام العنيف الأول بين أوروبا المتحدة من جانب وبين الإسلام من جانب آخر أي الحروب الصليبية يتفق مع بزوغ فجر المدنية الأوروبية

(١) ليوبولد فايس ، الإسلام على مفترق الطرق تعريب عمر فروخ .

بيروت ٩٤٦ ص ٥٢

ص ٥٤ - ٥٥

(٢) نفس المصدر

في ذلك الحين (١) .

وتتضح الروح الصليبية اي وضوح في كتابة المستشرقين الفرنسيين فكتابتهم لا تنبئ فحسب عن ميل لاضعاف المسلمين بل تنم عن حقد على المسلمين وعن سخريه وتهكم برسول الله (ص) ورسالاته الالهية نعم قام اساس الاستشراق على ان الاسلام من صنع محمد (ص) فالاسلام دين بشري وعلى ان الرسول لفق فيه من المسيحية واليهودية وانه حرف في نقله تعاليم هاتين الديانتين :

اما انه لم يستطع فهمها - كما يذكرون - واما ان نفسه لم ترتفع الى مستوى عيسى حتى يتصوره على حقيقته ولذلك انكر محمد على عيسى انه ابن الاله وبالتالي انكر التثليث وتشبث بالتوحيد وبشرية الرسول ؟ نعم قام الاستشراق على مثل هذا الاساس ولكن للمستشرقين يختلفون فيما بينهم في تصوير آرائهم وفي تقرير شروحيهم لمبادئ الاسلام واشدهم حدة وعاطفة وهدى بجأحاً بعيدة عن ادب الكتابة فضلاً عن البعد عن الاسلوب العلمي في الدراسة والحكمة مستشرقو فرنسا ومستشرقو الكاثوليكية على العموم في اوربا وامريكا . يقول (كيمن) المستشرق الفرنسي ان الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس واخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً بل هي مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الانسان على الخمول والكسل ولا يوقظ فيها الا ليسفك الدماء ويدمن على معاورة الخمر ويجمع في القبائح وما قبر محمد الا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين (٢) .

(١) ليوبولد فايس . الاسلام على مفترق الطرق تعريب عمر فروخ ،

بيروت ٩٤٦ ص ٥٥

(٢) البهي : محمد ، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي

القاهرة ٩٦٠ ص ٤٤ - ٤٥

نتائج اعمال المستشرقين في العالم الاسلامي واثرها الاستعماري

١ - اضعاف القيم الاسلامية عن طريق شرح تعاليم الاسلام ومبادئه شرحاً يضعف المسلم من تمسكه بالاسلام ويقوي في نفسه الشك منه كدين او على الاقل كمنهج سلوكي يتفق وطبيعة الحياة القديمة فهذا (رينان) الفرنسي يصور عقيدة التوحيد في الاسلام بانها عقيدة تؤدي الى حيرة المسلم ، كما تحط به كإنسان الى اسفل الدرك (١) .

وقد ظهرت على اطلال العالم القديم بعد خمسمائة عام من انقضائه ديارتان احدهما ربانية والثانية بشرية يمثلان ذينك المذهبين المتناقضين ولكن بتلطيف في التناقض اما الاول (الديانة الربانية) فهي الديانة المسيحية الوارثة بلا واسطة آثر الاريني والمقطوعة الصلات بالمرء مع مذهب السامية وان كانت مشتقة منه وغصناً من دوحته ومن خصائص هذه الديانة (المسيحية) ترقية شأن الانسان بتقريبه من الحضرة الالهية على حين ان الديانة الثانية (البشرية) وهي الاسلام المشوبة بتأثير مذهب السامية تحط بالانسان الى اسفل درك وترفع الاله عنه في علاء لانهاية له (٢) .

هذان الميلان المختلفان يظهران ظهوراً واضحاً في الاعتقاد الاساسي لكلا الديانتين وهو اصل الالوهية اما المسيحي فيذهب في هذا الأصل الى الثالوث أي ان الاله الاب اوجد الاله الابن واتصل الاثنان بصلة

(١) البهوي : محمد ، الفكر الاسلامي الحديث

القاهرة ٩٦٠ ص ٣١

ص ٣٣

(٢) نفس المصدر

هي روح القدس وعليه فيكون يسوع المسيح الهاً ومبشراً - هذا الثالث
السري المشتقة اصوله من ضرورة اله بشري يمحو ذنب الجنس البشري
ويغديه من الخطيئة التي اقترفها برفضه الذي يعتقد بوحداية الرب
ويتمسك بهذا الاعتقاد تمسكاً شديداً حيث يقول : لا اله الا الله .
(غير ان ادراك المسيحي من هذا القبيل هو اخف واعلى واجلب للثقة
اذ هو يحملهم على اتيان الاعمال التي تقربهم الى الله حيث الوسائط
بينهم وبين ذاته العلمية موصولة في حين ان المسلمين تجعلهم دياتهم
كمن يهوى في الفضاء بحسب ناموس لا يتحول ولا يتبدل ولا حيلة فيه
سوى متابعة الصلوات والدعوات والاستعانة بالله الاحد الذي هو مستودع
الآمال ولفتة الاسلام معناها (الاستسلام) (١) .

٢ - تمجيد القيم الدينية المسيحية : اما المظهر الآخر وهو مظهر
تمجيد القيم الغربية المسيحية في الفكر الاسلامي في صلته بالاستعمار
الغربي - او الفكر الاسلامي الحديث - فالسبيل الى الوقوف عليه ما نراه
من ابراز التفوق الغربي في الصناعة وزيادة الدخل الخاص والعام الناشئ
عن هذا التفوق تلك الزيادة التي ترتب عليها مستوى المعيشة وتسيير امر
الحياة الانسانية لدى الغربيين - هذا التقدم الصناعي هو المنفذ او النقطة
التي يبتدي فيها الغربيون في التدليل على رجاحة التوجيه الغربي وعلى
سوء مقاييس الحياة الغربية في السلوك الفردي والعادات الاجتماعية
وعلى اصابة القيم المسيحية وقوة صلتها بتحرير الانسان من الجهل والفقر
والمرض والحضارة المادة الصناعية هي اذن عنوان هذه القيم .

وان تمجيد القيم الغربية المسيحية على هذا النحو وبهذا الربط

(١) الهبي : محمد ، الفكر الاسلامي الحديث

القاهرة ٩٦٠ ص ٣٤

من علماء المسيحية الدارسين الاسلام والعارضين لمبادئه وجد صدى في حياة المسلمين وفي نفوس بعض الكتاب والمفكرين من المسلمين فالحديث عن العلم والطريقة العلمية والدعوة الى مسايرة خطواته مقترنة بالقليل من قيمة التراث الماضي وهو التراث الاسلامي (١) .

٣ - التغييرات السياسية والاجتماعية : فقد ادى انتشار الافكار الغربية المسيحية والسيطرة الاستعمارية العسكرية والسياسية الى ظهور الاتجاهات القومية والعنصرية ، كما انخفضت الروح الدينية بين المسلمين واعتادوا لحكم الكافر وانظمتهم وانقسم العالم الاسلامي الى دول وبلاد مختلفة ومتنازعة فيما بينها في كثير من الاحيان وفي كل هذه الاوضاع فلاحظ لأعمال المستشرقين وبحوثهم مساهمة كبيرة وآثار ونتائج لانها كانت تمثل بالنسبة لها الاساس الفكري والسياسي (٢) . إلا ان الشر الذي بعثه الصليبيون لم يقتصر على حليل السلاح ولكنه كان قبل كل شيء وفي مقدمة كل شيء شراً ثقافياً . لقد نشأ تسميم العقل الاوربي عما شوهه قادة الاوربيين من تعاليم الاسلام ومثله العليا امام المجموع الجاهلة في الغرب في ذلك الحين استقرت تلك الفكرة المضحكة في عقول الاوربيين من ان الاسلام دين شهوانية وعنف حيواني وانه تمسك بفروق شكلية وليس نزكية للقلوب وتطهراً لها ثم بقيت هذه الفكرة

(١) البهي : محمد ، الفكر الاسلامي الحديث

القاهرة ٩٦٠ ص ٤٣ - ٤٤

(٢) الحكيم : محمد باقر محاضرات في علوم القرآن (السنة الثالثة)

بغداد ٩٦٨ ص ٥٥

حيث استقرت (١) .

٤ - ظهور الاتجاهات والتيارات الفكرية والثقافية في المجتمع الاسلامي : يتناقى بعضها مع المبادئ الاسلامية القويمة . وقد تركزت هذه الاتجاهات في اتجاهين فكريين ثقافيين رئيسيين في العالم الاسلامي . احدهما : الاتجاه الذي يعمل على تحريض الاسلام وتشويه معالمه باسم (التجديد) وتحريضه الى الشكل الذي لا يتناقى مع تقرير سلطة المستعمر وتثبيت ولايته على المسلمين من الوجهة الاسلامية على الاقل ان لا يكون الاسلام عامل تحد او معارضة للحكم الاستعماري او لأنظمتها الحديثة الكافرة التي يريد ان يفرضها على المسلمين .

ثانيهما : الانجاء المضاد الذي سار عليه جماعة من كبار علماء الاسلام في محاولة لصياغة المفاهيم الاسلامية صياغة حديثة تتضح فيها معالم قدرة الاسلام على معالجة مشاكل الحياة الحديثة وامكاناته في الحكم والتطبيق في العصر الحاضر مع تجريده من العادات والتقاليد التي اصبحت في نظر بعض المسلمين - نتيجة تقادم الزمان عليها - وكأنها جزء من الشريعة الاسلامية (٢) .

٥ - بيان بعض المستشرقين الى الخفايا الاستعمارية التي تكمن وراء ارسال المستشرقين الى الأماكن الغنية وخاصة البلاد العربية كبلاد الحجاز ونجد واليمن لعلمهم بأنها بلاد غنية بأثارها الدينية والتاريخية ومعادنها الوفيرة ولوجود بقايا دول عربية منقرضة فيها كالبشيّة

(١) اسد ، محمد الاسلام على مفترق الطرق (تعريب منصور

محمد راضي) بيروت ٩٦٥ ص ٥٨

(٢) الحكيم : محمد باقر ، محاضرات في علوم القرآن

(السنة الثالثة) بغداد ٩٦٨ ص ٥٤

والمعينية (١) .

٦ - اللغة العربية : يخطيء من يظن ان اللغات لا تعاني كفاحاً وليست هي في ميادين النضال والتحدي ، فملفة مظهر سياسي متين لكونها من أسس القومية والاتحاد . ولما انتشر العرب في ارجاء المعمورة ، وكانت لغتهم قد تطورت وتحسنت وسادت فيها لهجة قریش بعد مجيء الاسلام دخلت العربية بصورة واسعة في اقطار عديدة مثل ايران والهند وتكلمها كثير من الاجانب وقد تعرضت العربية لمحاربة من المستعمرين وكان اعظم ما تعرضت له ما قاسته من الاستعمارين التركي والفرنسي وكان من حصونها في ذلك العهد الظالم البغيض المدارس الدينية في البلاد العربية كالأزهر الشريف في مصر والمدارس الدينية في النجف الاشرف ودمشق وشمال افريقيا وغيرها من بلاد العرب (٢) .

عبد الرضا الساعدي
السنة الرابعة

(١) جمال الدين : محسن ، المستشرقون والاماكن المقدسة ط ٢

بغداد ٩٦٧ ص ١٢

(٢) الرحيم : احمد حسن ، اصول تدريس اللغة العربية والتربية

الدينية النجف ٩٦٤ ص ٢٢ ، ٢٤

كيف يعالج الإسلام ظاهرة التضخم المالي

بعد السلام عليكم ورحمته وبركاته .

انقدم ببعض البسيط هذا راجياً أن ينال اهتمامكم بمناقشته التي ارجو أن تكون هادفة حتى يتحقق للبحث العلمي أسلوبه الأمثل ، وحيث سعة البحث وشعوله لو تركنا له الاطلاق وهو مالا نملك له الوقت الكافي في الوقت الحاضر على اقل تقدير لذا سأحدث في الكلام عنه بإيجاز ، ونظراً لحساسية البحث وماله من أبعاد قد تنعكس على واقع الحال المرير الذي تعيشه البشرية اليوم بنفس تلك الاجواء الجاهلية رغم تباين البيئات عبر القرون الأربعة عشر الماضية ودليلي في ذلك هذا الصراع المحموم المتوالد من الصراع المرير بين النظامين اللذين يسودان البشرية اليوم ويقتسمان لكل منهما رقعة كبيرة على الكرة الأرضية وهما في صراعهما هذا لا يهدفان إلا من اجل توسيع رقعتهما على حساب البشرية المنكودة واستغلالها بأشنع صور الاستغلال اللانساني .

والاسلام حينما جاء ، جاء من اجل أن تكون تشريعاته الاقتصادية الهادفة الحد الفاصل للاستغلال البشع في المجتمع الجاهلي والذي نعيش ويا للأسف اجواءه اليوم ، حيث ان ما توالد عن هذا الصراع السقيم وانعكاس آثاره السيئة على وجودنا الاقتصادي كمسلمين قد حفزني للمكتابة عن جانب مهم من اقتصادنا الاسلامي وهو تفتيت الثروات للحد من التضخم المالي وكيفية معالجته كما وردت في التشريعات الاقتصادية الاسلامية

حيث ان اساس انعكاسات آثار الصراع السقيم هو التضخم المالي المتوالد من الاستغلال بكل اشكاله وأساليبه للبشرية التي يلف ثلاثة أرباعها المرض والجوع والحرمان والجهل وقد عالج الاسلام هذا التضخم المالي بتفتيت الثروات .

لما كان الانسان بطبيعته مفطوراً على الانانية وحب الذات فليس الأمر جد سهل عليه حين يؤمر في تنفيذ ما يؤخر ويعيق عملية التضخم المالي عنده ، إلا ان الاسلام بتشريعاته الهادفة استطاع ذلك وبأسلوب قد فهو لم يسلك طريق احلال الملكية الجماعية مكان الملكية الخاصة كما حصل في النظام الاشتراكي في صراعه مع النظام الرأسمالي الذي اعتمد الملكية الخاصة محور وجوده وبناء كيانه ، لكن الاسلام استطاع ان يستقطب هذا التناقض فهو بعد ان عبد النفس البشرية بالايمان بالله ووحدانيته وحسبها بمالها وما عليها بدأت معالجاته الهادفة تعالج مواقع الحياة البشرية وتبرمجها لتصلح لكل زمان ومكان ومن ذلك انهاء التضخم المالي وذلك بتفتيت الثروات وتوالت التشريعات في تنفيذ اوامر الله في الخمس ، والزكاة ، والانفاق ، والايتار ، والصدقة ، والتوارث المادي وهي الأساليب والطرق التي تم بموجبها انهاء التضخم المالي فقلوه تعالى :

(واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (١) يقول ابي عبد الله (ع) : أما خمس الله عز وجل فللرسول يضعه في سبيل الله وأما خمس الرسول فلأقاربه وخمس ذوي القربى منهم اقربائه وحدها واليتامى اهل بيته فجعل هذه الأربعة اسهم فيهم ، اما المساكين وابن السبيل فقد عرفت

(١) سورة الانفال - آية ، ٤١ .

أنا لا نأكل الصدقة ولا نحل لنا فهي للمساكين وابنائه السبيل (١) ،
ويقول الصادق (ع) : أن الله لا اله الا هو لما حرم علينا الصدقة أنزل
لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا فريضة والكرامة لنا
حلال (٢) .

لقد هدفت هذه الآية الكريمة كما انضح من تفسير معناها وتوضيح
أبعادها الى تحقيق نوع من الضريبة على مقام الناس ومطلق مكاسبهم
ليصرف في سبيل الله ورسوله وينفق على آل البيت واقربائهم وأيتامهم
ويصرف الباقي في اسعاف المعوزين والمعدمين من المساكين وابنائه السبيل
وتتوضح لنا هنا حقيقة لها أبعادها الاقتصادية والانسانية حيث الخمس
لكل ما كسب وغنم وهي نسبة ليست بالقليلة تستطیع ان تحدد من
التضخم المالي عند الأفراد من ناحية عندها يتعزز بايتاء الخمس الاقتصاد
الاسلامي وتسعف الانسانية في القضاء على الجوع والتشرد والحرمان ،
والحكمة ليس في جبي الخمس انما العبرة في عملية التصرف به والأوجه
التي يصرف عليها في تحقيق ابعاد اهداف هذا التشريع وانعكاسها على
الحياة البشرية .

قال الله تعالى : واقیموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الله ورسوله
لعلکم ترحمون (٣) فسرهما ابن كثير فقال : يقول الله تعالى آمراً عباده
المؤمنين باقامة الصلاة فايتاء الزكاة اللذين اوجبهما عليهم ، وان يطيعوا
الله ورسوله فيما يأمرهم به ويدعوهم اليه ليرحموا جزاء على ذلك وثابوا

(١) العاملي ، محمد بن الحسن الحر ، وسائل الشيعة ، ج ٤ ، ص ٣٥٥ .

(٢) نفس المصدر

(٣) سورة النور - آية ، ٥٦ .

بالنعم الجزيلة (١) وقال الله تعالى : وما رزقناهم ينفقون (٢) فسرهما الرازي فقال : فوائدها الكف عن الاسراف والتبذير والنهي عنه ، وثانيهما يدخل في الانفاق المذكور في الآية الانفاق الواجب والانفاق المندوب أما الانفاق الواجب اقسام احدها الزكاة وهي قوله في آية الكنز (ولا ينفقونها في سبيل الله) وثانيهما الانفاق على النفس وعلى ما تجب عليه نفقته وثالثهما الانفاق في سبيل الله في الجهاد ، اما الانفاق المندوب فهو انفاق اراد به الصدقة وكل هذه الانفاقات داخلة تحت الآية لأن ذلك سبب لاستحقاق المدح (٣) .

وهكذا نرى تشعب وسائل تفتيت الثروات حيث الزكاة والصدقة والانفاق والايتار كلها وسائل مكملة لوسيلة الخمس وهي وسائل تستطيع ان تحد من التضخم المالي من ناحية وتحقيق الفوائد الإنسانية من ناحية أخرى .

بعد استعراضنا للجانب الاول من هذه المعالجة وقبل الانتقال الى الجانب الثاني من هذه المعالجة نطرح هذه الحادثة ذات الابعاد الانسانية السامية في الايتار والصدقة ونكران الذات ، وقد يظن المرء اول وهلة بأنها ستخص انساناً ذا مال وسعة ولكن العكس هو الصحيح فهي تخص عائلة تملك من مال وسعة الآخرة مالا تملكه عائلة على وجه الكرة الأرضية ، انها عائلة الامام علي (عليهم السلام) التي لا تملك من حطام الدنيا ومادياتها شيئاً يذكر .

قيل مرض الحسن والحسين (عليهما السلام) فنذر الامام علي

(١) ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ص ٢٠

(٢) سورة البقرة ، آية ، ٤ .

(٣) الرازي ، ابو عبد الله محمد ، تفسير الفخر الرازي ج ٢ ص ٣١ .

وفاطمة (عليهما السلام) وجاريتهما فضة أن يصوموا ثلاثة أيام إذا شقيا من مرضهم فبرءا فاستقرض الإمام علي (ع) ثلاثة أصوع من شعير من يهودي على أن يغزل له صوقا وجاء به إلى فاطمة (ع) فطحنه صاعا منها واختبرته وصلى علي (ع) المغرب وقربته اليهم فأناهم مسكين يدعو لهم فاعطوه ولم يذوقوا إلا الماء ، كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته وقدمته إلى علي (ع) فإذا يتيم في الباب يستطعم فاعطوه ولم يذوقوا إلا الماء فكان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته واختبرته وقدمته إلى علي (ع) فإذا أسير بالباب يستطعم فاعطوه ولم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الرابع رقد قضا نذورهم أتى علي ومعه الحسن والحسين (عليهم السلام) إلى النبي (ص) وبهم ضعف ولما عرف بكى رسول الله (ص) ونزل جبرئيل (ع) بسورة هل أتى (١) وقوله تعالى : يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً (٢) فسرهما الشيخ الطوسي فقال : يطعمون الطعام على حبه أن يكون المراد على محبتهم لله (مسكيناً) أي يسمونه فقيراً ، (ويتيماً) وهو الذي لا والد له من الأطفال ، (وأسيراً) هو المأخوذ من أهل دار الحرب ، وقد روت الخاصة والعامة أن هذه الآية نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وجاريتهما فضة فانهم أثروا المسكين واليتيم والأسير ثلاث ليال على أظفارهم (٣) .

ننتقل إلى الجانب الثاني من وسائل تفتيت الثروات ، وقوله تعالى :

(١) الطبرسي ، أبو علي الفضل ، مجمع البيان في تفسير القرآن ،

ج ٢٩ ، ص ٤٠٤ .

(٢) سورة الدهر ، آية ٨ .

(٣) الطوسي أبو جعفر محمد ، تفسير البيان ، ج ٤ ، ص ٢١٠ .

يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم
تفلحون (١) ، فسرهما الشيخ الطبرسي فقال : والربا الزيادة على اصل
المال بالتأخير عن لا اجل والمال هو ربا الجاهلية حيث الاضعاف مضاعفة
وقيل في معناه قولان احدهما ان يضاعف بالتأخير أجلاً بعد كل اجل
كلما أخر اجل الى غيره زيد زيادة عليه المال ، والثاني معناه تضاعفون
به اموالكم ، ويدخل فيه كل زيادة محرمة في المعاملة من جهة المضاعفة
ووجه التحريم في الربا هو المصلحة التي علمها الله وذكر فيه وجوه على
وجه التقريب منها انه للفصل بينه وبين البيع ومنها انه يدعو الى العدل
ويخص عليه ، ومنها يدعو الى مكارم الأخلاق بالافتراض وانظار المعسر
من غير زيادة ، وانما اعاد تحريم الربا مع سبق ما ذكر ذكره في سورة
البقرة لأرين احدهما التصريح بالنهي عنه بعد الإنذار بتحريمه لما في
ذلك من تضييع الحظر له وبشدة التحذير منه والثاني التأكيد للنهي
عن هذا الضرب منه الذي يجرى عليه الاضعاف والمضاعفة واتقوا
معاصيه لكي تنجوا باذراك ما تأملونه وتفوزوا بشواب الجنة (٢) .
وقوله تعالى : لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى
الحكام فريقاً من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون (٣) فسرهما البيضاوي
فقال : أي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم ينجه الله تعالى
ولا تلقوا حكومتها الى الحكام ليأكلوا بالتحاكم فريقاً طائفة من اموال
الناس بالاثم (٤) .

(١) سورة آل عمران ، آية ، ١٣ .

(٢) الطبرسي ، ابو علي الفضل ، مجمع البيان ، ج ٤ ، ص ٥٠٢ .

(٣) سورة البقرة ، آية ، ١٨٧ .

(٤) البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

وهكذا نرى انفسنا امام نوعين من المعالجة للتضخم المالي ، حيث آيات فرضت الخمس والزكاة والانفاق والصدقة والايتار على الناس ، وأخرى حاربت الربا بكل انواعه وكذا اكل اموال الناس بالباطل وكلا السلوكين يهدف الى تفتيت الثروات ويحد من تضخمها .

يواكب التشريع الاسلامي معالجته الهادفة للمحد من التضخم المالي بتفتيت الثروات فيتناول جانباً خطيراً آخر وهو تنظيم التوارث المادي بما يكفل حقوق جميع المنتفعين والآيات القرآنية التالية توضح لنا بعمق انساني ودراية فذة هذا التنظيم ، وقوله تعالى : للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ، واذا حضر القسمة اولو القربى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً ، وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً ، ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً ، يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين أبأؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم اقرب لكم نفعاً فريضة من الله ان الله كان عليمًا حكيمًا ، ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امرأ وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من

ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم (١) .

فسرها الطباطبائي فقال : ان لا حرمان في الارث بعد ثبوت الولادة او القرابة حرماناً ثابتاً لبعض الأرحام والقربات كتحرير صغار الورثة والنساء وزيد مع ذلك في التحذير عن تحريم الأيتام من الوراثة فانه يستلزم اكل سائر الورثة اموالهم ظلماً وقد شدد الله في النهي عنه وقد ذكر مع ذلك مسألة اولي القربى واليتامى والمساكين اذا حضروا القسمة التركة ولم يكونوا ممن يرث تطفلاً ، وابخشى الناس ولينقوا الله في أمر اليتامى فانهم كالأيتام انفسهم في انهم ذرية ضعاف يجب أن يخاف عليهم ويعتق بشأنهم ولا يضطهدوا ولا يهتضم حقوقهم ففي انتخاب هذا التعبير اشعار بابطال ما كانت عليه الجاهلية من منع توديع النساء فكانه جعل ارث الأنثى مقررأ معروفاً وعلى هذا تركبت للوقت من المذكور والانات كان لكل ذكر سهمان ولكل أنثى سهم الى أي مبلغ بلغ عددهم (٢) .

لقد تضمن هذا التشريع الاسلامي التكافل بين افراد الاسرة الواحدة وبين الأجيال المتتابعة فوق انه وسيلة من وسائل الثروات لئلا تتضخم تضخماً يؤدي المجتمع وان هذا التشريع عدلاً بين الجهد والجزاء وبين المغنم والمغارم في جو الأسرة ، كما انه يحقق بابعاده تحقيق عدالة انسانية حيث وضع نصيب الاقربين وحدد حقوقهم وبذلك ضمن اطعنتان نفوسهم حيث كفل لهم نصيبهم من هذا الارث وبهذا ضربة قاصمة

(١) سورة النساء ، آية ، ٧ - ١٢ .

(٢) الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ج ٦

ص ٦٧ - ٦٨ .

وانهاء محكم لما كان معمولاً به في الجاهلية حيث حرمان النساء والاطفال والايتام والاقربون والمساكين حقوق الارث اثناء القسمة طمعاً في الاثراء على حسابهم وبذلك حقق الاسلام معالجة بناء اخرى للحد من التضخم المالي بتوزيع الأثر بصورة عادلة تضمن حقوق جميع المنتفعين فوق كونها تحقق هدفين مهمين من اسس بناء المجتمع الاسلامي الأول هدف انساني والثاني اقتصادي .

ومن كل ما استعرضناه من التشرييع الإسلامية في معالجة التضخم المالي بتفتيت الثروات والحد من تضخمها يتحقق لنا ان الاسلام لم يكن مجرد شعائر وعبادة ، وإشراق نفوس وتهذيب خلق ، وارشاد روح وفضيلة اخلاق ، وصدق تعامل واخلاص في العمل ، وحسب للخير ووفاء بالالتزام ومساواة بين الناس والعدل بينهم ، بل هو فلسفة كاملة ونظام عام شمل مواقع الحياة البشرية وبرامجها لما حواه من تشريع متكامل يفتح الحياة البشرية منهجة ذات ترابط روحي لا يمكن فصله محققا ابعاد الكمال الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، ودليلنا أن الامبراطوريات الغابرة كالبيزنطية والرومانية والفارسية اضمحلت واندرست رغم القرون التي استوعبتها في البقاء ، إما الامبراطورية الاسلامية ذات القرون الاربعة عشر فهي باقية مؤكدة وجودها على هذا الكوكب الأرضي منتشرة في شماله وجنوبه وشرقه وغربه وهي ماوجدت الالبقي ولا بد لها من أن تعيد ايجادها فتؤكد وحدتها واصالتها واستمراريتها في البقاء والتطور لما حوته من تشريع سماوي تناول كما عبر عنه سيد قطب بعمق وشمول قوله :

(طبيعة العلاقة بين الخالق والخلق ، وطبيعة العلاقة بين الكون والحياة والانسان ، وطبيعة العلاقة بين الانسان ونفسه وبين الفرد والجماعة

وبين الفرد والدولة وبين الجماعات الانسانية كافة ، وبين الجيل والأجيال
ورد ذلك كله الى تصور كلي جامع ملحوظ المخطوط في سائر الفروع
والتفصيلات (١) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بغداد في ١١ / ٣ / ١٩٧٠ م عدنان كاظم عليان
الموافق ٤ / محرم / ١٣٩٠ هـ كلية اصول الدين / الثاني (ب)

للقرآن الكريم :

« ألم تر ان الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى
الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد
فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار » .
« سورة النور : آية ٤٤ »

(١) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، ص ٢١ .



جنيّة السمر



قف بالطفوف وأبّن الشهداء
واندب كراماً كالأضاحي جزرت
لم أنسهم للموت حين تسابقوا
هم صفوة القوم الكرام وأنجم
هم عصبة الحق الذين استبسلوا
صرخوا بوجه الظلم صرخة مصلح
صالوا ليوثاً لا يهابون الردى
فتناثروا - مثل النجوم - على الثرى
من بعد ما نهضوا بشرعة أحمد
أبت الحمية أن يلبوا دعوة
وأذرف دموعك لوعة وعزاء
وليوث حرب هزت الأرجاء
دون بن قاطعة البتول فداء
شعت لتهتك ليلة ليلاء
فاسترخصوا مهجاً أراقوا دماء
فأطاحوا صرحاً للخنا وبناء
ومضوا إلى رب الورى شهداء
إذ أصبحوا في كربلاء أشلاء
وأقاموا للحق المضاع لواء
للفظالمين فحكموا البيضا

قف بالطوف وخاطب الجهلاء	أين الذي لابن النبي أساء
هل من ضريح قد بقي ليضعه	أو من مراقد قد حوت طلقاء
وانظر الى قبر الحسين فقد سما	بالفخر حتى ناطح الجوزاء
مولاي يارمز العلا من هاشم	ومنار عدل طبق الأرجاء
عجز اليراع بأن يصور نهضة	جبارة بل وقفه شعاع
ومصيبة قد حيرت اهل الحجى	في هولها بل أخرست شعراء
فإليك معذرة اذا ما خائني	قلم توقف فجأة اعياء

* * *

مولاي يا سبط الرسول محمد	نشكو إليك شبرا ذماً حقراء
صالوا على القدس الشريف بليلة	كانت ستار خيانة ورداء
عصفوا بأولى القبيلتين وبقعة	أسرى اليها المصطفى إسرائا
وتحكموا بمصير شعب آمن	وأقاموا فيه جرائمنا نكرام
احفاد من قد حاربوا خير الورى	طه وكانوا لدينه اعداء
أعني قريضة والنضير وما حوت	من وضَّع قد أنجبت خبثام
صالوا وجالوا واستزادوا نكرة	وطغوا وكانوا الخنوع الجبناء
مذ شاهدونا حائدين عن الهوى	ولقد أطمعنا في الدجى الاهواما

* * *

أبا الأئمة أنت فمكر نير	هتك الدجى فأناره وأضاء
وأعاد تنظيم الحياة لأمة	وأزاح منها الفتنة العمياء
هو ذا الحسين وواجب أن تقتدي	فيه ونسلك دربه الوضاء
إن كان لا . . فعلام نحن نرتجي	منه الشفاعة أو نقيم عزاء

هذي فلسطين تناديننا وهل قمنا اليها كي نجيب نداء
هذي ذرارينا وتلك بقاعنا هل قد دفعنا عنهما الارزاء

* * *

يا قوم هيا نحو ساحات القدى وافنوا لثاماً واسحقوا عملاء
هبوا كما هب الحسين بكربلاء للمحق بل ثوروا له خلصاء
فالمحق لم يؤخذ بقول عاير أو نبتغيه نضرعاً ودعاء
أو نرسل الآهات وهي مساوى للمشائرين ونرتجي الاعداء
الحق يؤخذ في حسام قاطع من غاصب ونثيرها شعواء

المدرس كاظم جواد الموزع
اعدادية الزراعة المهنية
الديوانية

« الفدا والصمود »

محمد صالح جعفر الظالمى

هكذا يخلق الفدا والصمود	ثورة فجرها سخي ولود
هكذا تبذع الدماء نشيدا	عبقرياً يصاغ منه الخلود
هكذا تنزف الجراح ليروى الـ	مدل من نبعها فنعم الورود
هكذا تنثر الأضاحي على الـ	ترب فتحمي إسلامنا وتشيد
هكذا يستطيل مجد حسين	حين تبلى الأيام وهو جديد
كتب الموت من حشاه سطوراً	ضامئات وقد سقاها الوريد
ثم دوى في الأفق اصرح صوت	ليس يرضى الهوان الا العبيد

• • •

يا حسين الابهاء يا ثورة الـ	حق تدوي فتستفيق العهود
اذ رأيت الضلال يضرب على الشـ	وط فكل في رعبه مصفود
وصروح الاسلام قد هددتها	كف اعدائها فكادت تميد
و « ابا جهل » عاد للناس حياً	اذ بنى مجده المضاع يزيد
ثم ماذا ، ولفحة الصمت اضنت	أمة قطعت يديها القيود
هي اغضت على الهوان ولكن	كنت تأبى ان تستباح الحدود
جئت تهدي الى الفضيلة جيلاً	ضاع اذ لم يجد اماماً يقود

فوجدت الاعصار يزأر لما
وخطبت الجموع في ساحة الـ
فرايت الكفاح اصدق قيلاً
وامتشقت الحسام تخطب فيهم
وشعار رفعت به ساعة الحر
ملأت ارض كربلاء الحشود
حرب فكانوا لذاك بشس الشهود
حيث لم يجد نصحبهم والوعيد
حين يغري هام ويقطع جيد
ب سنبني اسلامنا أو نبيد ،

• • •

يا حسين الفداء كنت منقذاً
ثم اغفاه سرت مثل طيف
واذا طارق يقول قريباً
وثرى كربلاء يشهد يوماً
قلت مسترجعاً بقلب تلظى
فدنا شبلك الذي روعته
حين حدثته عن الطارق المد
اولسنا على الهدى يا ابن طه ؟
قالت ثبت الجنان ان عدانا
لا نبالي اذن وقعنا على المد
فلننا النصر اذ نعيش كراماً
نحن نمضي الى الجهاد سراعاً
حيث لاحت على الروابي « زرود »
بين جفنيك والثرى مدود
سوف تحوي هذي البدور المودود
يتجلى به الفدا والصمود
ان يوم اللقاء توفي العهد
زفرة من آية وهو العميد
شؤوم والركب سائر مكدود
قلت اي والذي اليه نعود
للظى الحرب في الجهاد وقود
وت ام الموت فاعل ما يريد
وردانا اما قتلنا الخلود
رجدير بمثلنا ان يسودوا

• • •

يا حسين الابهاء مذجلجل المد
ومضى للنزال آل علي
وت وقد جرد السيوف الاسود
بمواض هي الفناء المبيد

واجالوا الوغى فكل صريع
 ذا علي والقاسم الطهر هذا
 نصروا شرعة الرسول وقالوا
 وضحايا الأصحاب تعلقاً درب آل
 هكذا تخلق العقيدة نشأ
 لا بأس للدفاع عن حرمة آل
 هكذا يعشق اللقاء شباب
 عن هدى جده النبي يزود
 وأبو الفضل فارس صنديد
 ههنا يصدق اللقاء العتيد
 معجده نوراً لا يعتريه الخمود
 يتحنى الملمات وهو شهيد
 دين قلوباً ينيرها التوحيد
 من هدى احمد لهم تديد

• • •

يا شباب الاسلام عودوا اليه
 إن تكن هذه الاعاصير تضرى
 نابضاً بالحياة في كل عصر
 وتعيش الأجيال يحكم فيها
 يتساوى به الأنام جميعاً
 ان حق الضعيف فيه مصان
 اتخذ العدل في الحياة طريقاً
 أولست كفا (عقيل) دليلاً
 شاء ان يستزيد صاع شعير
 فأتته حديدة انبأته
 فهو كهف لمن أتاه شديد
 فعلى شرعه الرجا معقود
 فيه يدرك الصباح السعيد
 من هدى أحمد نظام رشيد
 ليس في الحق سيداً ومسود
 وهو للمعوزين ظل سديد
 وسوى شرعه ضلال بعيد
 وهي تكوى لا يعتريه الجحود
 من اخ راحتاه بذل وجود
 أن عدل الاسلام عدل فريد

• • •

يا شباب التوحيد عودوا اليه
 هو قد وحد القلوب ولما
 هو سر انتصارنا يوم كنا
 فلقد عاث في البلاد اليهود
 ان تركناه لم يعد توحيد
 امة نشؤها مغاوير صيد

وهجرنا قرآننا فاستحالت	قططاً في النزال تلك الاسود
لو درسنا سر الهزيمة حقاً	لوجدناه واحداً لا يزيد
هو أنا جئنا الى الحرب جسماً	دون روح ولا نعي ما يزيد
وكتبنا يوم الهزيمة عاراً	ليس يمحوه خطبة او قصيد
بل دماء تراق في ساحة الـ	نصر ليرى للمجد غصن خصيد
فعلى سنة النبي وباسم اللـ	ه هيا يقودنا التوحيد
طهروا قدسكم وصونوا حاكم	فلقد عاث في البلاد اليهود

القرآن الكريم :

« ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطناً يغيب الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

التوبة : آية ١٢٠

الذين هم المزمين الطاهر ..

(ابو مقداد)

بصرة

أذر بريح ، عنت ، زعزع	أسير أسير وفي بلقع
خداع السراب ، لذي مطمع	أريد السراب ، وقد فاني
تروني دنوي من مصرعي ؟ !	أصيح : ضمنت ادركوني ، أما
وغير صدى الصوت لم أسمع	أصيح وأصغي لرد ، سدى ،
يداري الصراع ، تساوى معي	ومن كان مثلي ، في شغله
وصوت الكؤوس ، لها المدعي	وعني بصوت فجور علا

• • •

من الموج للموج ، ان الجأ	اعوم اعوم ولا مرفأ
أرى لي وصولاً ، سدى ابدأ	اغوص ، واطفو أعوم ولا
ذئاب وعيني بها تملأ	فان غصت فالغور داج به
وماء ، ومن تلك ذي اسوأ	وان رحت اطفو رأيت سماً
ومنهم اليك أنا أبرأ	فرحماك ربي أنا نائب
د ثم أطبق ما اقرا	سأقرأ في « الذكر » معنى الوجو

• • •

قرأت « الكتاب » بلب بري	نزع الغشاوة عن ناظري
وجدت الوجود تقى طاعة	تحيل اليباب الى اخضر
فتعطي السعادة من جانب	وتعطي الكرامة من آخر
وجدت الوجود جميلاً اذا	سددت الطريق على الكافر
وقلت له والعميل الذي اشر	تراء بصوت القوي القادر
رفضتكما الرفض فلتخرجنا	هي الارض للمؤمن الطاهر

. . .

الى الله يا أيها الضائع	الى الله ها أنا ذا راجع
وهذي يدي هاكها امسك بها	وذا حقنا ابيض ناصع
إلام الضياع ؟ إلام الأسى ؟	إلام ؟ وانت بهذا قانع
إلام تظل بلا شارة	سوى أن سيدك الطامع
ألسنت الخليفة لله إذ	أريد لك كونه الواسع ؟
فلم كل هذي الشرور ؟ وما	صنعت بنفسك ؟ ما صانع ؟

مضية الاسلام

تاريخ وفاة الامام الراحل السيد الحكيم طاب ثراه

سيف المنايا مرهف الحد
يردي ولا تقوى على الرد
بعث الأسى فينا وسعرها
ناراً تضج بلاهب الوجد
فمضية الاسلام قد عظمت
بزعيمه (وحكيمه) الفرد
والأمة الشكلى به فجعت
وعزاؤها لامامها المهدي
وغدت تؤبى مؤرخة
(مشوى الحكيم بجنة الخلد)
٥٥٦ ١٠٩ ٦٠ ٦٦٥

١٣٩٠ هـ

السيد حسين الصدر

للخزرجين

ملخص
رسائل

القراءات القرآنية

للمتخرج السيد جبار حمودي
بكالوريوس آداب وعلوم
القرآن واللغة العربية

القراءة بالمعنى اللغوي :

(قرأ) : و (اقراء) وقرأ به . . . قراءة ككتابة . . . وقاريء
اسم فاعل . . . وقراءة ككتابة في كاتب وقراء وقارئين ثم ان التلاوة
مرادف للقراءة (١) .

(١) الزبيدي ، تاج العروس ، مجلد ١ ، القاهرة ، ١٣٠٦ هـ ، ص ١٠١

وقال الشيخ الطوسي (فالاقراء اخذ القراءة على القارىء بالاستماع لتقويم الزلل والقراءة التلاوة والقارىء التالي) (١) وكذلك ان القراءة مصدر وجمع قراءات (٢) .

القراءات اصطلاحاً :

القراءات القرآنية : هي عبارة عن طرائق معينة في نطق الكلمة القرآنية الذي قد ينشأ من الاختلاف في اعرابها او تغيير في بنائها اللغوي . وهناك عدة تعريفات وردت للقراءات بالمعنى الاصطلاحي منها ما ذكره الزركشي (٣) حيث قال : والقراءات : هي اختلاف الفصاح في كتابة الحروف او كيفيتها من تخفيف وتثقيل .

اما صاحب البدور الزاهرة قال : هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريقة ادائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله (٤) .

وعلى هذا الاساس فقد اخذ التعريف الاول على انه مواد معينة اصبحت مادة للبحث والتعريف الثاني اخذها على انها علم خاص تبحث فيه هذه المواد والمعنى الاول اقرب الى المعنى اللغوي .

(١) التبيان في تفسير القرآن ، ج ١٠ ، النجف ، ١٩٦٣ ، ص ٣٣٠

(٢) المنجد ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٦١٧ .

(٣) البرهان في علوم القرآن ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٥٧ م ، ص ٣١٨

(٤) عبد الفتاح القاضي ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٥

تاريخ القراءات :

إن مسألة القراءات ليست حديثة العهد بالبحث وانما هي مسألة اثبتت في عصور متقدمة وشغلت كثيراً من كتب العلماء وآرائهم واجتهاداتهم ، كما ان كتب التفسير فتحت مجالاً واسعاً للبحث والنظر واستقصاء الروايات المتعددة بحيث لا يعدم الباحث ان يجد في كتب التفسير والقراءات وكتب الغريب والنحو من هذا الباب شيئاً كثيراً على اختلاف انواعها لاننا اذا رجعنا الى الروايات والنصوص نجد انها كانت موجودة في عهد الصحابة بل وفي عهد النبي (ص) ولذلك (وجدنا الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يختلفون في الحرف فابن عباس يقرأ (وادكر بعد امه) وغيره يقرأ (بعد أمة) وكان ابن مسعود يقرأ (ان كانت الازقية واحدة)- ويقرأ (كالصوف المنفوش) وغيره يقرأ (واذا قيل لهم) و (وغيض الماء) باشعاع الضم مع الكسر و (هذه بضاعتنا ردت اليانا) باشعاع الكسر مع الضم (ومالك لا تأمنا) باشعاع الضم مع الادغام وهذا ما لا يطوع به كل لسان (١) .

فنتيجة للحشد الهائل من الروايات والنصوص المختلفة في طرائقها وتنوع مواردها بالاضافة الى اختلاف القراء وعدم الضبط في الرواية فقد نشأ علم القراءات (نتيجة لاختلاف القراء في كيفية القراءة بسبب تنوع اجتهاداتهم او اختلاف الروايات التي يعتمدون عليها فلما اختلف القراء في قراءة القرآن لاحد هذين السببين وجدت الحاجة الى تأسيس علم لهذه

(١) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، القاهرة ١٩٥٤ م ،

القراءات وضبطها (١) ، ولعل أول من صنف في القراءة ودون علمها هو إبان بن تغلب (تلميذ الامام زين العابدين (ع) المتوفى سنة ١٤١ هـ وصنف بعد ذلك ابو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ وكذلك حمزة بن حبيب المتوفى سنة ٢٥٨ هـ فوجدت القراءات السبع والعشر والاربع عشر وصنفت - القراءات الى متواترة وغير متواترة وقد تداولت هذه الروايات والنصوص على السنة طبقة القراء الذين عرفوا فيما بعد وفي كتب المفسرين ثم سجلت ووردت في الكتب حيث تناولها العلماء بالنقد والترجيح ، وقد فتحت مجالاً واسعاً لتبيان وجهات النظر المختلفة في كيفية صدورها وصحة نسبتها واحتجاج القراء واحداً على الآخر حتى وجدنا القراء يختلفون فهذا يرفع ما ينصبه ذاك وذاك يخفض ما يرفعه هذا (٢) .

اسباب ظهور القراءات :

يوجد اتجاهان رئيسان في اسباب نشوء ظاهرة القراءات :
الاتجاه الأول : الرأي القائل بقرآنية القراءات : أي ان الاختلاف كان بسبب التنزيل وبدعوى ان القرآن الكريم الذي انزل على النبي محمد (ص) وحياً نزل وهو مختلف القراءة فحينئذ تكون هذه القراءات قرآنية ووحياً من السماء وهي بذلك قطعية الصدور من قبل النبي (ص) فانتهاها الى النبي (ص) لا بد وان تكون قرآنية اذ لا مصدر للقرآن غير الرسول ، وقد استدلل اصحاب هذا الرأي على ذلك بتواتر القراءات

(١) محاضرات في علوم القرآن ، السنة الأولى ، السيد محمد باقر الحكيم .

(٢) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ، ص ٢٠

السبع (١) بالأدلة التالية :

الاول :

دعوى قيام الاجماع عليه من السلف الى الخلف ، ومعنى ذلك ان العلماء جميعهم باختلاف مذاهبهم متفقون على ان القراءات متواترة لا شك ولا جدال فيها ، ويمكن ان يناقش هذا الادعاء بما يأتي :

١ - ان الاجماع لا يتحقق باتفاق اهل مذهب واحد عند مخالفة الآخرين له (٢) .

٢ - اننا نذكر هنا بعض اقوال العلماء الذين نفوا تواتر القراءات وبذلك يكون دليل الاجماع لا حجة له ولا اعتبار .

قال ابو شامة في كتاب المرشد الوجيز : « فلا ينبغي ان يفتر بكل قراءة تعزى الى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وانها هكذا انزلت الا اذا ادخلت في ذلك الضابط وحينئذ لا يتفرد بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عن غيرهم مع القراء فذلك

(١) بالنسبة الى تواتر القراءات السبع عن الأئمة السبعة ينسب الرازي القول الى الاكثر : بقوله : - (اتفق الاكثر على ان القراءات السبع منقولة بالتواتر) الرازي ، التفسير الكبير ، ج ١ - ٢ القاهرة ص ٦٣ . وينسب الزركشي هذا القول الى الجمهور بقوله : (والقراءات السبع متواترة عند الجمهور . . .) البرهان في علوم القرآن ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٧ م ، ص ٣١٨ (اما تواتر القراءات العشر فقد نسب الزرقاني هذا القول في مناهل العرفان الى السبكي) ج ١ ، ص ١٣٧٢ ، ص ٤٢٩ .

(٢) البيان ، السيد الخوئي ، النجف ١٩٦٦ م ، ص ١٧٢ .

لا يخرجها عن الصحة فإن الاعتماد على استجماع تلك الاوصاف لا على من تنسب اليه فإن القراءات المنسوبة الى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة الى المجمع عليه والشاذ غير ان هؤلاء السبعة لشورتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءاتهم تركن النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم (١) .

وقال الرازي (٢) حين اشكل على القراءات السبع المنقولة بالتواتر (وفيه اشكال لانا نقول اما ان كانت منقولة بالنقل المتواتر او لا تكون فان كان الاول قد ثبت بالنقل المتواتر وان الله خير المكلفين بينها كان ترجيح بعضها على بعض على خلاف الحكم الثابت بالتواتر فوجب ان يكون الداهبون الى ترجيح البعض على البعض مستوجبين للفسق ان لم يلزمهم التكفير كما ترى ان كل واحد من هؤلاء القراء يختص بنوع معين من القراءة ويحمل الناس عليه ويمنعهم من غيرها) .

وقال ابو شامة في مرشده ايضاً (وقد شاع على السنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين ان القراءات السبع كلها متواترة اي كل فرد فرد ماروى عن هؤلاء السبعة قالوا : والقطع بانها منزلة من عند الله واجب ونحن بهذا نقول ، ولكن فيما اجتمعت على نقله عنهم الطرق فلا اقل من اشتراط ذلك اذا لم يتفق المتواتر في بعضها (٣) . وعن اعترف بعدم التواتر حتى في القراءات السبع الشيخ محمد سعيد العريان في تعليقاته حيث قال : « لا تخلو احدى القراءات من شواذ فيها حتى السبع المشهورة فان فيها من ذلك اشياء وقال ايضاً : وعندهم

(١) السيوطي ، الاتقان ، ج ١ - ٢ ، القاهرة ص ٧٥ .

(٢) التفسير الكبير ، ج ١ - ٢ ، القاهرة (لا . ت) ص ٦٣

(٣) السيوطي ، الاتقان ، ج ١ - ٢ ، ص ٧٦ .

ان اصح القراءات من جهة توثيق سندها نافع وعاصم واكثرها توخياً
للوجوه التي هي افصحها ابو عمرو والكسائي « (١) .

الثاني :

ان اهتمام الصحابة والتابعين بالقرآن يقضي بتواتر قراءته أي ان
الصحابة ومن بعدهم التابعين قد اهتموا بحفظ القرآن وترديده اهتماماً
كثيراً بحيث لا يمكن ان يشك في دعوى تواتر قرائه :
ويمكن ان يناقش هذا الوجه بالمناقشة التالية :

١ - ان هذا الدليل انما يثبت تواتر نفس القرآن لا تواتر كيفية
قراءته وخصوصاً مع كون القراءة عند جمع منهم مبتنية على الاجتهاد
او على السماع ولو من الواحد ولولا ذلك لكان مقتضى هذا الدليل ان
تكون جميع القراءات متواترة ولا وجه لتخصيص الحكم بالسبع او
العشر بالاضافة الى ان حصر القراءات في السبع انما حدث في القرن
الثالث الهجري ولم يكن له قبل هذا الزمان عين ولا اثر ولازم ذلك
ان نلتزم اما بتواتر الجميع من غير تفرقة بين القراءات ، واما بعدم
تواتر شيء منها في مورد الاختلاف والاول باطل قطعاً والثاني هو
المتعين (٢) .

(١) اعجاز القرآن ، الرافعي القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٥٢ - ٥٣

(٢) البيان ، ص ١٧٣ - ١٧٣ .

الثالث :

ان القراءات السبع لو لم تكن متواترة والتالي باطل بالضرورة
فالمقدم مثله : ووجه التلازم ان القرآن انما وصل اليها بتوسط حفاظه
والقراء المعروفين فان كانت قراءاتهم فالقرآن متواتر والا فلا واذن
فلا يحصى من القول بتواتر القراءات :

وللمجواب على ذلك ناقش السيد الخوئي (١) المناقشة التالية :
١ - ان تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات لان الاختلاف
في كيفية الكلمة لا يناق الاتفاق على اصلا ولهذا نجد ان اختلاف
الرواة في بعض الفاظ قصائد المتنبي مثلاً لا يصادم تواتر القصيدة عنه
وثبوتها له وان اختلاف الرواة في خصوصيات هجرة النبي (ص) لا يناق
الهجرة نفسها .

٣ - ان الواصل اليها بتوسط القراء انما هو خصوصيات قراءاتهم
واما اصل القرآن فهو واصل اليها بالتواتر بين المسلمين وبنقل الخلف عن
السلف وتحفظهم على ذلك في صدورهم وفي كتاباتهم ولا دخل للقراء في ذلك
اصلاً ولذلك فان القرآن ثابت التواتر حتى لو فرضنا ان هؤلاء القراء
السبعة او العشرة لم يكونوا موجودين اصلاً وعظمة القراءة ارقى من
ان تتوقف على نقل اولئك النفر المحصورين .

(١) البيان ، ص ١٧٣ .

الرابع :

ان القراءات لو لم تكن متواترة لكان بعض القرآن غير متواتر مثل (ملك) و (ممالك) ونحوهما فان تخصيص احدهما بحكم باطل وللجواب على هذا ايضاً ذكر السيد الخوئي المناقشة التالية :

١ - ان مقتضى هذا الدليل الحكم بتواتر جميع القراءات وتخصيصه بالسبع ايضاً بحكم باطل ولا سيما ان في غير القراء السبعة من هو اعظم منهم واوثق كما اعترف به بعضهم ولو سلمنا ان القراء السبعة اوثق من غيرهم واعرف بوجوه القراءات فلا يكون هذا سبباً لتخصيص التواتر بقراءاتهم دون غيرهم . نعم ذلك يوجب ترجيح قراءاتهم على غيرها في مقام العمل وبين الامرين بعد المشرقين والحكم بتواتر جميع القراءات باطل بالضرورة .

٢ - ان الاختلاف في القراءة انما يكون سبباً لالتباس ماهو القرآن بغيره وعدم تميزه من حيث الهيئة او من حيث الاعراب وهذا لا ينافي تواتر اصل القرآن فالمادة متواترة وان اختلفت في هيئتها او في اعرابها واحدى الكيفيتين او الكيفيات من القرآن قطعاً وان لم تعلم بخصوصها . بالاضافة الى (ان كلاً من القراء هو واحد لم تثبت عدالته ولا ثقته يروى عن احاد حال غالبيتهم مثل حاله ويروى عن احاد وكثيراً ما يختلفون في الرواية فكيف يختلف حفص وشعبة في الرواية عن عاصم وكذا قالون وورش في الرواية عن نافع وكذا قنبل واليزي في روايتهما عن اصحابهما عن ابن كثير وكذا رواية ابي عمرو وابي شعيب في روايتهما عن اليزيدي عن ابي عمر وكذا رواية ذكوان وهشام عن اصحابهما عن

ابن عامر وكذا رواية خلف وخلاد عن سليم عن حمزة وكذا رواية
ابي عمر وابي الحارث عن الكسائي (١) :

الاتجاه الثاني :

الرأي القائل بعدم قرآنية القراءات بدليل العوامل والاسباب
البشرية التي ادت الى ظهور القراءات واختلاف طرائقها ويستند هذا
الاتجاه بصورة اساسية على المناقشات السابقة التي عرفناها في الاتجاه
الاول والتي ادت بنا الى الاعتقاد بقرآنية القراءات ، كما ان نشوء ظاهرة
القراءات ساعدتها عوامل متعددة لظهورها فمعناها :

١ - اهمال ضبط الكلمات القرآنية بشكل معين في عهد الرسول (ص)
من قبل بعض الصحابة انفسهم او نسيان الطريقة الصحيحة لنطق اللفظ
وعدم الضبط في القراءة والرواية .

(٢) اختلاف اللهجات او عدم الاعجام والغفلة والنسيان في اغلب
الاحيان نتيجة للظروف والملابسات التي عاشها الصحابة بعيدين عن
مصدر الرسول الكريم (ص) وتلقى توجيهاته الحكيمة سواء كانت هذه
الظروف تفرضها المصلحة الاسلامية او الظروف المستعصية والعامل
الزمني الذي يفرض هذا النوع من الابتعاد (٣) .

(١) البلاغي ، آلاء الرحمن ، ج ١ ، صيدا ، ١٣٥٥ هـ ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٢) محاضرات في علوم القرآن ، السنة الثانية ، السيد محمد
باقر الحكيم .

القراءات والاحرف السبعة :

لقد وردت روايات متعددة حول نزول القرآن الكريم على سبعة احرف
فيحسن بنا ان نذكر هذه الروايات ثم نتعرض الى مناقشتها بثلاث نقاط
واهم هذه الروايات :

١ - اخرج الطبري عن يونس وابي كريب باسنادهما عن ابن
شهاب باسناده عن ابن عباس حدثه ان رسول الله (ص) : قال :
(اقرأني جبريل على حرف فراجعت فلم ازل استزيده فيزيدي حتى
انتهى الى سبعة احرف) .

٢ - عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود قال : ان
الله انزل القرآن على خمسة احرف حلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال) .
٣ - عن عبد الله بن عباس ان رسول الله (ص) قال (انزل القرآن
على اربعة احرف حلال وحرام لا يعذر احد بالجهالة به وتفسير يفسره
العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه
سوى الله فهو كاذب) .

٤ - واخرج عن عبيد بن اسباط باسناده عن ابي سلمة عن
ابي هريرة قال :

قال رسول الله (ص) : « انزل القرآن على سبعة احرف عليم .
حكيم . غفور . رحيم » .

٥ - عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله (ص) : (انزل
القرآن على سبعة احرف لكل حرف منها ظر وبطن ولكل حرف حد
ولكل حد مطلع) .

٦ - واخرج عن محمد بن المثنى باسناده عن ابي ليلى عن ابي بن كعب ان النبي (ص) كان عند اضاءة بني غفار : قال « فأتاه جبرئيل فقال : ان الله يأمرك ان تقرأ امتك القرآن على حرف فقال : (اسأل الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك ، قال : ثم أتاه الثانية فقال : ان الله يأمرك ان تقرأ امتك القرآن على حرفين فقال : اسأل الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك ثم جاء الثالثة فقال ان الله يأمرك ان تقرأ امتك القرآن على ثلاثة احرف فقال : اسأل الله معافاته ومغفرته وان امتي لا تطيق ذلك ثم جاء الرابعة فقال : ان الله يأمرك ان تقرأ امتك القرآن على سبعة احرف فايما حرف قرأوا عليه فقد اصابوا .

٧ - واخرج عن ابي كريب باسناده عن زر عن ابي . وقال : (لقي رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل عند احجار المراء فقال : اني بعثت الى امة اميين منهم الفلّام والحاذم ونعيم الشيخ الغاني والمعجوز فقال جبرئيل فليقرأوا القرآن على سبعة احرف) .

• • •

فقد استدلوا بالاحاديث المتقدمة على تواتر القراءات السبع فلا بد هنا ان نوضح هذا الخلط .

اولا :

ان هذه الاحاديث لا يمكن ان يكون المراد منها هو القراءات السبع لان اصطلاح القراءات السبع اصطلاح متأخر حيث (لم تكن عرفت في الامصار الاسلامية حين بدأ العلماء يؤلفون في القراءات والسابقون منهم كابي عبيد القاسم ابن سلام وابي جعفر الطبري وابي حاتم السجستاني ذكروا في مصنفاتهم

اضعاف تلك القراءات) . (١)

كما (ان حصر القراءات في السبع انما حدث في القرن الثالث الهجري ولم يكن له قبل هذا الزمان عين ولا اثر) (٢) وهنا ينبغي ان نذكر كلام العلماء في ذلك :

١ - قال ابو شامة : ظن قوم ان القراءات السبع الموجودة الآن هي التي اريدت في الحديث وهو خلاف اجماع اهل العلم قاطبة وانما يظن ذلك بعض اهل الجهل (٣) .

٢ - قال ابو محمد مكي : (قد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم اكثر من سبعين ممن هو اعلى رتبة واجل قدراً من هؤلاء السبعة . . . فكيف يجوز ان يظن ظان ان هؤلاء السبعة المتأخرين ، قراءة كل واحد منهم احد الحروف السبعة المنصوص عليها - هذا تخلف عظيم - كان ذلك بنص من النبي (ص) ام كيف ذلك ؟ وكيف يكون ذلك ؟ والكسائي انما الحق بالسبعة بالامر في أيام المأمون وكان السابع يعقوب الحضرمي فاثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة ونحوها الكسائي موضع يعقوب) (٤) .

٣ - قال القرطبي (قال كثير من علمائنا كالدودي وابن ابي سفرة وغيرهما : هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الاحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها وانما هي راجعة

(١) صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، بيروت ١٩٦٤ م

ص ٢٤٨ .

(٢) البيان ، ص ١٧٣ .

(٣) السيوطي ، الاتقان ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥١ م ، ص ٨٠ .

(٤) البيان ، ص ١٧٧ .

الى حرف واحد من تلك السبعة (١) .

٤ - ابن تيمية : لانزاع بين العلماء المعتبرين ان الاحرف السبعة التي ذكر النبي (ص) ان القرآن انزل عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة بل اول من جمع ذلك ابن مجاهد ليكون موافقاً لعدد الحروف التي انزل عليها القرآن لاعتقاده ان هؤلاء السبعة الذين لا يجوز ان يقرأ بغير قراءتهم ولهذا قال بعض من قال من ائمة القراء لولا ابن مجاهد سبقني الى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي امام جامع البصرة وامام قراء البصرة في رأس المائتين (٢) .

ثانياً :

اما بصدد مناقشة ورود احاديث الاحرف السبعة وما اشتملت عليه :
١ - تناقض واضطراب الروايات المتقدمة على الاختلاف ورودها فالمجموعة من ١ - ٥ تتحدث على ان القرآن انزل على سبعة احرف ومنها روايات تتحدث على ان القرآن انزل على خمسة احرف ومنها اربعة احرف وكل من الروايات تعطي مقياساً جديداً يختلف عن مضمون الروايات الاخرى الى غير ذلك من المعاني التي لا تحدد المقصود في انزال هذه الاحرف فبأي تفسير نأخذ لنجعل منه تفسيراً يعتمد عليه في مقابل الروايات الاخرى ، فاما ان نطرح الروايات جميعاً لعدم دلالتها على المراد واما ان نطرح بعضها وهذا تحكم دون الرجوع

(١) القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج ١ القاهرة ١٩٥٢ م ص ٤٦

(٢) ابن الجوزي ، النشر في القراءات العشر ، ج ١ ، القاهرة

١٣٣٨ هـ ، ص ٣٩ .

الى استناد ودليل .

٢ - كما لم تجد مبرراً معقولاً يتحصل بموجبه للفاحص المميز أن يجد تفسيراً منطقياً نستند اليه في روايات التخفيف عن الامة والاستعفاف عن الامة وسؤال النبي (ص) من جبرئيل في حديث الاستزادة كما في المجموعة (٦ ، ٧) .

وقد افرد السيد الخوئي (١) المناقشة التالية بصدد ذلك :
أ - ان الاختلاف في القراءة كان نقمة على الامة وقد ظهر ذلك في عصر عثمان فكيف يصح ان يطلب النبي (ص) من الله ما فيه فساد الامة وكيف يصح على الله ان يجيبه الى ذلك ؟ .

ب - قد تضمنت الروايات المتقدمة ان النبي (ص) قال ان امي لا تستطيع ذلك القراءة على حرف واحد وهذا كذب صريح لا يعقل نسبته الى النبي (ص) لانا نجد الامة بعد عثمان على اختلاف عناصرها ولغاتها قد استطاعت ان تقرأ القرآن على حرف واحد فكيف يكون من العسر عليها ان تجتمع على حرف واحد في زمان النبي (ص) وقد كانت الامة من العرب الفصحى .

ج - ان الاختلاف الذي اوجب لعثمان ان يعصر القراءة في حرف واحد قد انفق في عصر النبي (ص) وقد اقر النبي (ص) كل قاريء على قراءته وامر المسلمين بالتسليم لجميعها واعلمهم بان ذلك رحمة من الله لهم فكيف صح لعثمان ولتابعيه سد باب الرحمة مع نهي النبي (ص) عن قراءة القرآن وكيف جاز للمسلمين رفض قول النبي (ص) واخذ قول عثمان وامضاء عمله فهل وجدوه ارف بالامة من نهيها ؟ لو تنبه لشيء

(١) الكليني ، اصول الكافي ج ٤ ، فضل القرآن - باب النوادر - الرواية : (١٢) .

قد جهله النبي (ص) من قبل وحاشاء او ان الوحي قد نزل على عثمان بنسخ تلك الحروف ، بالاضافة الى ذلك حرص النبي (ص) على عدم الاختلاف في الامور البسيطة فكيف يسمح ان يمس الاختلاف اعظم مصدر الهي وهو القرآن الكريم الدستور الاساس للامة الجديدة الذي يتوقف بناء كيانها التشريعي والثقافي والاجتماعي والرصيد الروحي عليه كما اننا لم نجد الامام علي (ع) حين ولي الخلافة لم يشر الى ان عثمان قد بدل وغير في كتاب الله بعد ان اشار في نهجه الى انه لن يتهاون في أي امر او حق سلكه عثمان تجاه الامة وسلب حقوقها .

ثالثاً :

ان هناك احاديث وروايات عن طريق اهل البيت (ع) تؤكد ان القرآن نزل على حرف واحد وان الاختلاف يأتي من قبل الرواة انفسهم واهم هذه الروايات هي :

- ١ - صحيحة زرارة عن ابي جعفر (ع) قال : « ان القرآن واحد نزل من عند واحد ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة » .
- ٢ - وقد سأل الفضيل بن يسار ابا عبد الله (ع) فقال : ان الناس يقولون : ان القرآن نزل على سبعة احرف فقال : « ابو عبد الله عليه السلام : كذبوا - أعداء الله - ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد » (١) .

ولا شك ان المرجع الاساس بعد النبي (ص) انما هو كتاب الله

-
- (١) الكليني ، اصول الكافي ج ٤ فضل القرآن - باب النوادر - الرواية : (١٣) .

وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .
وعلى هذا فلا عبرة ولا قيمة للروايات السابقة إذا كانت مخالفة لما
يصح عن أهل البيت عليهم السلام إضافة إلى عدم دلالتها وحجيتها في
المقام (فقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة
وثلاثين قولاً) (١) .

نهج البلاغة :

« ألا وإن الدنيا قد تصرمت ، وأذنت بoudاع ، وتنكز معروفها ،
وأدبرت جذاء ، فهي تحفز بالفناء سكانها ، وتحدو بالموت جيرانها ،
وقد أمر منها ما كان حلواً ، وكدر منها ما كان صفواً ، فلم يبق منها إلا
سعلة كسملة الادواء ، أو كجرعة كجرعة المقللة ، لو تمزها الصديان لم ينقع
فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على أهلها النزول »

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، ج ١ ، ص ٤٢ .

مختارات من ترجمة

ارنولد توينبي

يتنبأ بشقوط الحضارة الغربية

بقلم مترجم المجلة الخاص

نشرت مجلة الاسلام الباكستانية التي تصدر باللغة الانكليزية مقالاً للمؤرخ الانكليزي الكبير ارنولد توينبي تحت عنوان « درس من التاريخ للانسان المعاصر » أنقله الى العربية نصاً وبلا تعليق نظراً لأهميته وأهمية كاتبه . وطبيعي ان كلامه موجه بصورة رئيسة الى الانسان الغربي الذي يطلق عليه (الانسان المعاصر) .

الانسان المعاصر :

ان مثل الانسان المعاصر كممثل المقامر الذي جازف برصيده في البنك وعرض حياته وبيئته وعمله للخطر في لعبة مجنونة غير مأمونة

النجاح . فهو في حيرة من النتيجة المفزعة . اذ شعر انه يجب ان يربح ولكن لا ضمان لربه مع كل مهارته وحذقه وحظه . لذا نراه يلجأ الى المنجمين يستطلع النتيجة ان كان ممن يعتقدون بالتنجيم حيث يتصور ان نتيجة اللعبة قد تقررت مسبقاً .

نظرة الى المستقبل

ولكن الانسان المعاصر ليس ساذجاً يعتقد بخرافات المنجمين . لذا يلتفت صوب العلماء يستطلع رأيه في مستقبله . فهو يسأل علماء الاجتماع والنفسانيين : متى تنقلوننا الى المجتمع الفاضل ؟ الم نحن الوقت لانقاذنا من حيرتنا ؟ وعندما يجد ان هؤلاء لا يستطيعون انقاذه من حيرته يلجأ الى المؤرخين امثالي متسائلاً : لماذا كانت نتيجة اللعبة عند ما وجد الانسان نفسه في مأزق كالذي نحن فيه ؟ .

لا جديد تحت الشمس :

وهل وجد الانسان نفسه في مأزق كالذي نحن فيه اليوم ؟ نعم ؟ ولا اكثر من مرة . ان التقنية الحديثة لا تستطيع ان تشككنا في ذلك فلقد قامر الانسان في الازمنة الماضية كما نقامر نحن اليوم ولكن الفزع والحيرة لم تكن على هذه الشدة كما هي اليوم .

أما الفرق .

ولتوضيح الصورة أقول : لقد مشى الانسان على نفس الطريق التي نمشي عليها اليوم . ووضع نفس القواعد في تنظيم السير والمرور . والفرق الوحيد هو ان الاوائل استخدموا عربات الخيل بدل السيارات . وان

مخالفة قواعد السير والمرور لم تكن مروعة ومميّنة كما هي اليوم .

مغالطة وعرور :

لم تتغير تلك الانظمة والقواعد ولا الطرقات والمسالك بالرغم من
مفاخرة الانسان المعاصر بالتقدم وامتلاك الآلات المعقدة وادعائه التفوق
على اسلافه الاعتماد الاعمى على الآلات .

ان التقدم الفني والصناعي ليس بحد ذاته دليل الحكمة او ضمان
البقاء . ان الحضارات التي قنعت وانبهرت بمهارتها الميكانيكية اثبتت
انها قد خطت خطوة نحو الانتحار حيث ان الاعتماد الاعمى
على الوسائل المادية فقط وكفاية بحد ذاتها قد اودت بحياة تلك
الحضارات الا تلك التي غيرت نظرتها في منتصف الطريق ولم تعد تعتبر
الآلة غاية نهائية . وينطبق هذا القول حتى على التاريخ القديم حيث
نجد ان انسان العصر الحجري المتأخر (Lower Neolithic)
لم يخلف أي اثر ثقافي بعد ان ركز جهوده في صنع الاسلحة الدفاعية
بينما نرى ان انسان العصر الحجري القديم (upper palaeolithic)
لم يفقد التوازن بين هذا وذاك بالرغم من ان اسلحته كانت بدائية الا
ان الرسوم الباقية لحد اليوم في الكهوف التي عاش فيها تدل على ان
ثقافته العامة كانت عالية جداً . كذلك فان اقوام المايان (Mayans)
الذين اسسوا احدى الحضارات القديمة لم يعرفوا تذليل المعادن ومع
ذلك فقد كانوا اعلى ثقافة من جيرانهم المكسيك والبولكات (Mexico
and yuantees) الذين برعوا في صناعة استخراج المعادن ولكن
حضاراتهم كانت من الدرجة الثانية .

الثقافة الصحيحة

لقد اتينا بمثال تطبيقي واحد يتكرر عبر التاريخ اذ لا فشل اكبر من النجاح الكلامي الزائف . فقد اقنعتني دراستي لاحدى وعشرين مدينة ان الثقافة الخلاقة فقط هي الصحيحة . تلك الثقافة التي تتمكن من حل المشكلات المستجدة في الظروف المختلفة . ان المدنية التي تحل مشاكلها بوسيلة واحدة جامدة لا يكتب لها الحياة ان لم تواجه التحديات الجديدة بوسائل جديدة .

يصدق هذا القول حتى على القضايا الصغيرة مثل اختراع السفينة البخارية (Paddle steamer) من قبل الامريكان . ان هذا الاختراع قد اسكر الامريكيين ولم يفكروا ان يطوروه ليواجه المشاكل الجديدة التي حلها الاوربيون باختراع الـ (Serew Propeller) مما جعلهم يسبقون الشركات البحرية الامريكية . ان اختراعاً صغيراً قد يشل بحثنا لاختراع الوسائل القادرة على مواجهة الظروف المتجددة .

سيطرة الآلة

ان سيطرة الآلة على شؤون حياتنا اليوم اصبحت تشكل خطراً كبيراً يهدد مستقبلنا . لقد سحرنا التقدم الفني والصناعي الذي احرزناه حتى كدنا ننسى مقومات بقائنا المتمثلة باعمالنا الخلاقة . ان عبادة الاصنام كانت ولا تزال من اقوى الوسوس البشرية . فعبادة انجازات ايدينا لمن اخطر العوامل التي تؤدي الى عقم الفكر والعمل الخلاق . وعبادة الاوطان هي احدى هذه العبادات .

ارباب متفردون

ان احد اسباب خطورة عصرنا الحاضر هو اننا تربينا على عبادة الوطن وعبادة الـراية وحتى عبادة تاريخنا الماضي . يجب على الانسان ان يعبد الله وحده . اذ ان القانون الالهي هو قانون لتكامل الفرد والمجتمع وان فشلنا نحتم عندما نعيد عنه لنعيد مجدنا الماضي .

شواهد تاريخية

واوضح دليل على ذلك هو تاريخ ايطاليا في القرن التاسع عشر . لقد فشل الفينيسيون في سنة ١٨٤٨ م عندما ثاروا على النمساويين المحتلين لان العمل على احياء جمهوريتهم القديمة كان الدافع الوحيد لثورتهم اما البيدمونتيون الذين لم يكن لهم ماض مجيد فقد ثاروا بشجاعة وحرروا الفينيسيين .

ما الفرق بين هؤلاء واولئك ؟ ان البيدمونتيون ثاروا ليحققوا فكرة جديدة هي خلق ايطاليا موحدة لم تكن موجودة قبلاً . لقد كان دافعاً قوياً ساعدهم على النجاح على عكس الفينيسيين المخمورين باجمادهم الماضية التي سعوا الى احيائها مجدداً . هذا دليل على ان الماضي المجيد لا يشكل دافعاً لاحيائه مرة اخرى .

الدولة عبر التاريخ

ان الوطنية . العاطفة الجديدة التي ظهرت بعد الثورة الفرنسية تريد منا ان نقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الفينيسيون . فقبل ظهور الوطنية وعندما كان الناس يعبدون الله حقاً ، لم يكن ولاء الناس

للدولة اكثر من ولائنا للحكومات المحلية اليوم ، اذ كانوا يدفعون الضرائب ويبدون الرأي في القضايا العامة ، ولكنهم لم يسمحوا للدولة ان تسيطر على مشاعرهم .

الوطنية البديل الفاشل

لقد حلت الوطنية محل الدين وبش ما عملت . ف هتلر وموسليني حملتا راية الوطنية المتطرفة وأسبغا عليها صبغة منطقية وفرضا الولاء التام للدولة اذ طلبا من مواطنيهما تقديس الماضي التاريخي حيث اراد موسليني احياء الامبراطورية الرومانية ودعا هتلر الى تقديس الدم الالمانى واحياء آلهة الغالها القديمة . وهكذا نجد ان جميع مواطني الدول الحديثة قد وقعوا في هذا الخطأ

عبادة الدولة

ان عبادة الدولة التي نتعصب لها اليوم لهي من اخطر انواع الوثنية . كذلك الاعتقاد بان العلم يجيب على جميع تساؤلاتنا ويحل قضايانا اليومية .

العلم لا يجيب

ان التقدم العلمي الحديث قد حل مشاكلنا الصناعية بجدارة . ولكن مشاكلنا العصرية ليست من ذلك النوع الذي يحل في المختبرات انها مشاكل معنوية ولا علاقة للعلم بالقضايا المعنوية .

تحدي العلم

في عام ١٩٤٨ ثار تساؤل من نوع : كيف نستفيد من الامكانيات والقوى التي وفرها لنا العلماء ؟ ان الاكتفاء بتكديس المعلومات ، جواب سينتهي بنا الى كارثة .

ان اسلوب مواجهة التحديات الجديدة بالقياس على حالات سابقة كان ولا يزال يراود الانسان ولكن هذا الاسلوب قليلاً ما اثبت نجاحه لقد برز البولنديون كبحارة مهرة . وعرف الاسكيمنو بصيد السمك . والاسباطيون بروحهم العسكرية والبدو بالفروسية وفي كل هذه الحالات كان الاعتماد الكلي على صناعة واحدة حتى في مواجهة التحديات الجديدة فذيراً بتوقف النمو الثقافي والحضاري .

الروح العسكرية

ان التاريخ خير شاهد على ان المدنيين التي اعتمدت على القوة العسكرية لبقائها قد فشلت لان مهارة الجندي لا تحل مشاكل الفتح والانتصار فقد فشل شارلمان وتيمور وطغاة اثينا لانهم اعتقدوا ان القوة العسكرية تحل جميع المعضلات في جميع الحالات . لا . ليست الحياة بهذه السهولة اذ لا يمكن وضع معادلة وحيدة لجميع النجاحات . فكل معضلة جديدة تتطلب حلاً ذاتياً من الفرد او المجتمع .

الانسان الضعيف

ولكن الانسان كسول الى حد انه لا يريد ان يفكر بوضع حلول

جديدة طالما ان الحلول القديمة في يده . وهذا السبب الحقيقي لعدم استطاعة الانسان ان يتحرر من الحلول المادية لمشكلات العالم اليوم . ان التقدم المادي قد اعطى ثماره في بعض الحقول . فلقد ضبطت المسافات بين بعض النجوم وسهل لنا الغوص في اعماق المحيطات مما حل بعض الناس على الادعاء الساذج بان التقدم المادي يستطيع ان يجلب لنا السعادة ويخلق العالم الموحد المرغوب . ولكنه مع الاسف لا يستطيع لأن هذا الادعاء وهم خطير يدل على ضعف الانسان .

الحاجة الى تغيير روحي

لو كان بالامكان تحقيق حلم توحيد العالم بوضع حلول مادية لكفنا العلماء والاختصاصيون للسعي وراء الحل المنشود . اما اذا كان الامر يتعلق - كما هو واضح - بتغيير روحي لدى الانسان المعاصر فلا يمكن ان نسلم الأمر الى أي شخص آخر اذ يجب ان نبدأ بانفسنا لتغييرها تغييراً روحياً . قد يبدو هذا غريباً ولكن المدينيات الكبيرة بلغت نضجها وضمنت تكاملها بالتغيير الروحي .

الأصنام الجديدة

لواردنا حصول ذلك التغيير لدينا لوجب علينا أولاً ان نترك عبادة الأصنام الجديدة كاللتنظيم الصناعي والاقتصاد والعلم والرواية . اذ كلما زاد ايماننا وتوصلنا بهذه الأصنام كلما قويت هي حائلاً امام نضجنا وتكاملنا . ينطبق هذا بوضوح على اتباع القوميات والدول المتقدمة التي تستصعب ترك الوطنية لتأسيس الدولة العالمية (١) .

(١) يشبه ارنولد توينبي صعوبة ترك الوطنية لتأسيس الدولة العالمية بصعوبة دخول الرجل الغني الى الجنة التي وردت في انجيل المسيحيين .

فكرة الاتحاد

ليست صعوبة اتحاد الدول جديدة في التاريخ . اذ لها سابقة في القرن الرابع والثالث والثاني قبل الميلاد حين امتنعت دول اليونان الصغيرة ان تتحد برغم حاجتها المصيرية للاتحاد . لقد ولدت الحاجة الى الاتحاد حينئذ نتيجة للتجارة النشيطة بين تلك الدويلات . وهي نفسها تدعونا اليوم الى الاتحاد وفي الحقيقة فان التبادل الاقتصادي بين تلك الدويلات كان رائداً لحركة التجارة العالمية اليوم . فكان واضحاً ان الوحدة السياسية كانت الخطوة التالية الضرورية وقد استمرت محاولات حكماء اليونان مئات من السنين لتحقيق الوحدة المنشودة ولكنها باءت بالفشل .

العزة للماضي

لماذا ؟ بسبب الافتخار والاعتزاز بالمدنية للدولة فالإثينيون افتخروا بـماضي ائتنا ولم يرضوا ان ينقلوا ولاهم الى دولة يونانية كبيرة . كذلك كان سكان كورينث وسبارطة . فقد كانت تلك مدناً يونانية تملك الاجداد وفتخروا بها . ولكن الوحدة تحققت وبدون عناء بين قرطاجة وسوريا ومصر وايطاليا في حين سقطت الدول اليونانية تحت سيطرة الامبراطوريات الناشئة ؟ لماذا ؟ لان الدول التي وحدثت نفسها لم تكن مغلوقة بـماض تاريخي تفتخر به فاستطاعت ان تجد الأجوبة الصحيحة على تساؤلاتها ومشاكلها في وقتها المناسب . ولم يكن عندها عقد الولاء لحلول سابقة وضعت في عصور ماضية لحالات مختلفة .

واليوم فان توحيد دول العالم ممكن بين تلك الاقطار التي ليس لها

مجد تاريخي في القرون القليلة الماضية .

ولو اصرت الدول الكبرى على التمسك بقوميتها - الفكرة التي قضى عليها الزمن - فان الشعوب التي لم تجدد فكرة القومية هي وحدها التي تستطيع ان تقدم للعالم الحل الجديد الذي يحتاج اليه . وانه ليجتاح اليه . وان الكنديين الفرنسيين والصينيين لسوف يكونون دعاة هذه الوحدة العالمية .

الوحدة العالمية

ولسوف تتحقق الوحدة العالمية وكل ما نأمله - على أي حال - ان تتحقق بالطرق السلمية الطوعية . اذ لو كانت الوحدة هي الغاية الاساسية مهما كان الثمن لقبلنا جهود هتلر لتوحيد اوربا بالقوة . أفنحن لسنا مستعدين ان نشترى الوحدة بأي ثمن . فالامبراطورية الرومانية قد حققت الوحدة في العالم القديم ولكن بثمن باهض . ولم تكن امثال هذه الوحدة من التي تدوم او تزدهر .

الاخوة الانسانية

نحن نريد الوحدة ولكن اخشى ما نخشاه ان تكون هذه الوحدة جسراً لاهداف عرضية غير شريفة . اذ أن الاخوة الانسانية هدف مثالي لا يمكن الوصول اليه الا بالاعتقاد بالله المتعال .

ان اسس حضارتنا العربية لم توضع من قبل اشخاص ارادوا تحقيق اهداف حقيرة مثل التقدم الاقتصادي او الوحدة السياسية . فلقد ظهرت هذه الاهداف انواتج عرضية لاقامة « ملكة الله في الأرض » في القرون الوسطى .

المرأة العصرية

لقد فشلت جميع جهودنا لحل مشاكلنا بوسائل مادية بحتة واصبحت مشاريعنا الجريئة موضع سخرية . اننا ندعي اننا خطونا خطوات كبيرة في استخدام المكانن وتوفير اليد العاملة وكان ذلك ما فعلناه حقاً ؛ ولكن احدى النتائج الغريبة لهذا التقدم هي تحميل المرأة فوق طاقتها من العمل وهذا ما لم نشهده من قبل . فالزوجات في امريكا لا يستطعن ان ينصرفن الى اعمال البيت كلية . فامرأة اليوم لها عملان كام وزوجة اولاً . وكعاملة الدوائر والمعامل ثانياً .

الحركة النسوية

كانت المرأة البريطانية في الحرب الأخيرة تقوم بعملها النسائي كام وكعاملة ولم نأمل الخير من عملها المرهق . اذ أثبت التاريخ ان عصور الانحطاط هي تلك التي تركت فيها المرأة بيتها . ففي القرن الخامس قبل الميلاد حين وصلت اليونان الى اوج حضارتها كانت المرأة منصرفة الى عملها في البيت . ولكن بعد مجيء الاسكندر الكبير وسقوط دول اليونان كانت هناك حركة نسوية شبيهة بالحركة التي نشهدها اليوم .

الحلول اللادينية

لقد نسوا الله حين وضعوا حلولاً لمعالجة الامراض الاجتماعية ؟ فادت الى امراض مستعصية ومأس كبرى . لقد اوجد لنا عصر الآلة نقصاً لم يسبق له مثيل عوضاً عن الوفرة التي أملنا ؟ كتنقص المساكن . وخلق لنا فترات متناوبة من البطالة مع نقص في اليد العاملة . وعوضاً عن الراحة نسمع عبارات الاقلال من ساعات العمل .

مراقبة الآلة

لقد سمحنا لانفسنا بان نخضع للآلة في جميع شؤوننا مع ظهور نتائج مفرغة ولكنه من الواضح جدا الآن اننا لازلنا احوج الى ارادة الانسان المعنوية من العصور البسيطة السابقة . هذا والتقدم الصناعي لم يصل بعد الى ذروته في مكننة كل مرافق الحياة . فكيف اذا ستكون النتيجة ان لم نسيطر على الآلة ونطورها لكي نوجهها لخير البشر .

ان القرارات العظيمة في التاريخ هي دائماً معنوية . ان الانجازات الصناعية يمكن استخدامها للخير او للشر والانسان هو الذي يقرر كيفية استخدام هذه الانجازات . ان مصر القديمة قد حلت مشاكل السيطرة على مياه النيل وتنظيم الزراعة والتربة . فعرفت مصر الرخاء واصبحت قوية وكان بالامكان جعل جميع الناس يعيشون احراراً لولا اختيار فراعنة مصر استغلال الرخاء الجديد في بناء الابداد الشخصية بالاهرامات . ولا نختلف نحن عن اولئك في اننا نسيء استغلال الامكانيات الجديدة .

فتاوى نعمة

مسائل متفرقة

اجاب عليها المرجع الديني الاعلى الاسلامي الحكيم
مد ظله العالی



توجه للمرجع الاسلامي الاعلى
السيد الحكيم مد ظله مسائل في
مختلف القضايا الحياتية من جميع
ارجاء العالم الاسلامي الكبير
وقد رأينا ان نختار منها لقراء
رسالة الاسلام ما يزيدهم تفقهاً
بدينهم وما هو موضع ابتلائهم
غالباً من المسائل التي لا توجد في
رسائله العملية .

- ١ - هل يجوز للرجال لبس الذهب في غير الصلاة ؟
- ج - لا يجوز للرجال لبس الذهب ولا التزين به في غير الصلاة
ايضاً وفاعل ذلك آثم .
- ٢ - ما رأيكم حول جعل الاسنان الذهبية في الفم وهل تصح الصلاة في ذلك ؟
- سبق وان قدمت هذه للسيد « رحمه الله » خلال حياته قائلين
ابقاها هنا كما هي .

ج - يشكل جعل مقدم الاسنان من الذهب لاحتعال صدق التزيين به فيكون حراماً وان صحت الصلاة فيه . نعم شد الاسنان به وجعل الاسنان الداخلة منه لا بأس به لعدم صدق التزيين بما لا يظهر للنظر .
٣ - هل يجب قضاء الصلاة على الولي اذا كان صبيّاً او مجنوناً ؟ .
ج - اذا كان الولي حال الموت صبيّاً او مجنوناً وجب عليه القضاء اذا بلغ او عقل .

٤ .. اذا جهر شخص في موضع الاخفات او أخفت في موضع الجهر هل تبطل صلاته ؟ .

ج - اذا جهر في موضع الاخفات أو أخفت في موضع الجهر عمداً بطلت صلاته واذا كان ناسياً او جاهلاً بالحكم من اصله او بمعنى الجهر والاخفات صحت صلاته .

حول العالم الإسلامي

عُمان

بقلم

عبدالله بن فيصل

ماجستير في الآداب (جغرافية)

الموقع والحدود

تقع إمارة عمان وسلطنة مسقط في القسم الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية ، تمتد من حدود شبه جزيرة قطر الى رأس مسندم عند مضيق هرمز ومنه الى رأس الحد على طول خليج عمان حتى حدود جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية .

وتمتد بين المملكة العربية السعودية (صحراء الربع الخالي) وجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية غرباً وخليج عمان شرقاً ، وبين البحر العربي جنوباً والخليج العربي وشبه جزيرة قطر شمالاً . وحدودها ليست مخططة على الارض ولم تثبت في معاهدات أو اتفاقيات دولية بل ترسم في بعض الخرائط بشكل يكاد يكون غامضاً .



كما انها تمتد بين خطي عرض ١٧ درجة شمالاً ويمر هذا الخط بالقرب من الأطراف الجنوبية لظفار و ٢٦ درجة شمالاً بالقرب من رأس مسندم في الشمال ، وبين خطي طول ٥٩،٧ درجة شرقاً عند رأس الحد ، وبين ٥١ درجة شرقاً قرب حدود قطر ، و ٥٣ درجة شرقاً في الأطراف الغربية لظفار .

ولموقع عمان اهمية استراتيجية ، فسواحلها تمتد لمسافة تزيد على ١٦٠٠ كيلو متر ، وهي تسيطر على مدخل الخليج العربي وتشرف على البحر العربي وتتصل ببلاد الهند وبسواحل افريقيا الشرقية ، مستغلة نظام الرياح الموسمية . وقد تمكن العمانيون بفضل هذا البحر وهذه الرياح من السيطرة على المحيط الهندي ، ونازلوا البرتغاليين وكونوا سلطة قوية في شواطئ افريقيا . وهي على هذا الاساس تعتبر المفتاح الذي يتيح لمن يسيطر عليها بسط نفوذه على البحر العربي والمحيط الهندي من جهة ، والسيطرة على مناطق الخليج حتى جنوب الجزيرة العربية الى مدخل البحر الاحمر من جهة اخرى .

المساحة والسكان

تبلغ مساحة امامة عمان وسلطنة مسقط ٤٠٠ ، ٢١٢ كم^٢ (٨٢٠٠٠٨ ميل^٢) بتقدير منظمة الامم المتحدة (١) ، و ٢٣٠ ، ٠٠٠ كم^٢

(1) W . H . Is . , " Muscat and Oman , " Encyclopaedia Britannica , Vol . 15 , P . 1013 .

ودول العالم (معجم مختصر سياسي اقتصادي) ، اصدار دار الادب السياسي ، موسكو ، ١٩٦٧ ، ص ١٨٦ . (الكتاب باللغة الروسية قام بترجمة الفقرات الخاصة بعمان الصديق علي العباسي) .

بتقدير الجامعة العربية (١) ومكتب دولة امامة عمان ببغداد (٢) .
وهناك تقديرات كثيرة وردت حول مساحة عمان (٣) .
أما السكان فاستناداً الى تقديرات ١٩٦٧ يبلغ العدد حوالي ٧٥٠,٠٠٠ نسمة (٤) ، نصفهم من المستقرين والنصف الآخر من المتنقلين . وغالبية السكان من العرب المسلمين ، وفيهم اقلية اجنبية من الهنود والاييرانيين والبلوجستانيين والزنج وغيرهم ، يقرب عددهم من ٣٠٠,٠٠٠ نسمة (٥) وفي تقدير آخر ١٢٠,٠٠٠ نسمة (٦) . وهناك عدد كبير من العمانيين يقيمون في البلاد العربية وتنجانيقا وزنجبار واماكن اخرى ، يقدرهم البعض بمليون نسمة (٧) .

(١) دول العالم ، ص ١٨٦ .

(٣) مكتب دولة امامة عمان ببغداد ، كفاح عمان ، مطبعة أسعد بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٢١ ، واسماعيل البوهلال ، المسألة العمانية ، اصدار مكتب امامة عمان ببغداد ، مطبعة الازهر ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ٢٧ .
(٢) من التقديرات الواردة حول مساحة امامة عمان وسلطنة مسقط نذكر : ١٥٠,٠٠٠ كم^٢ و ٢٠٠,٠٠٠ كم^٢ ، و ٢٠٧,٠٠٠ كم^٢ و ٢١٢,٠٠٠ كم^٢ و ٣٥٠,٠٠٠ كم^٢ و ٤١٨,٠٠٠ كم^٢ .

(٤) دول العالم ، م . س ، ص ١٨٦ ، وفديريكو دو اجوستيني ، الاطلس العربي ، ١٩٦٨ ، ص ٤ .

(٥) كفاح عمان ، م . س ، ص ٢١ .

(٦) المسألة العمانية ، م . س ، ص ٢٧ .

(٧) من التقديرات الواردة حول عدد السكان نذكر : ٣٠٠,٠٠٠ نسمة و ٥٠٠,٠٠٠ نسمة و ٥٥٠,٠٠٠ نسمة و ٥٦٥,٠٠٠ نسمة و ٦٠٠,٠٠٠ نسمة و ٨٠٠,٠٠٠ نسمة و ١,٦٠٠,٠٠٠ نسمة =

وبعضهم الآخر بمليون ونصف (١) .

ومما يجدر ذكره ان تقديرات كثيرة وردت حول عدد سكان عمان تراوحت بين نصف مليون وثلاثة ملايين نسمة (٢) . اما الكثافة الحسائية للسكان فتبلغ ٣٠٥ نسمة / كم^٢ .
وبسبب السيطرة الاستعمارية فان المجتمع العماني متأخر في مضمار التعليم والاقتصاد ، فليس فيها خطة للتنمية والصحة ، إذ ليس فيها سوى مستشفين .

المدن المهمة

(نزوى) : عاصمة امطنة عمان ، وهي مدينة داخلية تقع جنوب الجبل الاخضر ، عدد سكانها حوالي ٣٠٠٠ نسمة .
(مسقط) : وهي عاصمة سلطنة مسقط ، والميناء الرئيس في دولة عمان تقع على ساحل خليج عمان بالقرب من مدار السرطان . وموقعها على مفرق عدة خطوط بحرية تنصل بالهند وايران والبصرة وعدن وافريقية الشرقية . ولها مرفأ يقع في الجهة الشمالية ، وهو بين جبلين متوازيين يمتدان داخل البحر من الجنوب الى الشمال ، ويحيط به جبل ثالث من البر يمتد من الغرب الى الشرق وليس له إلا طريقين يتراوح عرض كل منهما بين ٤٠ - ٥٠ متراً . ويقع قصر السلطان في الناحية الغربية من احد هذين الطريقين . يقرب عدد سكانها من ٦٠ ٢٠٠ نسمة (تقدير عام ١٩٦٢) وفيها بعض الجاليات الاجنبية . وفي مسقط جوامع ومساجد

= و ٢٠ ٥٠٠ ٠٠٠ نسمة و ٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠ نسمة .

(١) المسألة العمانية ، م . س ، ص ٢١ .

بينها ثلاثة جوامع كبيرة . وماء الآبار فيها لا يصلح للشرب ، ولذلك
فإن الاهالي يجلبون مياه الشرب من موضع اسمه (الطوبان) يبعد عن
المدينة ثلاثة كيلومترات .

(مطرح) : تقع على ساحل خليج عمان غربي مسقط بمسافة
ثلاثة كيلومترات ، ويفصل المدينتين رأس جبل ، مرفأها جيد وسهل
المدخل . تتمركز معظم تجارتها بالجمالية الهندية كما هو الحال في مسقط
ومن آثارها قصر شيده البرتغاليون عند احتلالهم هذه البلاد . وكان بها
معامل نسيج . يقدر عدد سكانها بحوالي ١٤٠٠٠ نسمة (١) .
(السويق) : مدينة ساحلية تقع الى الغرب من مطرح بمسافة
٩٠ كيلومتراً .

(صحار) تقع الى الشمال الغربي من مسقط على مسافة ١٢٥ ميلاً . مساحتها
حوالي ميلين مربعين ، وهي ذات مرفأ ذو خليج صالح للملاحة وذو
حماية من الشمال والغرب ، برأس فرقة ، ومن الجنوب برأس سواره
عدد سكانها ٧٥٠٠ نسمة .

(شناص) : تقع الى الغرب من صحار وعلى مقربة من حدود
مشيخة الفجيرة ، فيها نخيل ومزارع للتبغ .
(صور) : تقع غربي رأس الحد على بعد ١٥٠ كيلو متراً من
جنوب شرقي مسقط .

(الاشخرة) : مرفأ صغير في القسم الشرقي من جعلان في
بلاد بني علي .

(ظفار) : تقع على ساحل بحر العرب ، وقد تسمت المنطقة كلها

(١) عمر رضا كحالة ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، المطبعة الهاشمية
دمشق ، ١٩٤٤ ، ص ٤٤٥ - ٦ .

باسمها . وتتكون المدينة من ثلاثة اقسام هي : وزات ، والدهاليز ، وسلالا
والأخيرة هي مركز الحكومة ، فيها مطار شيد خلال الحرب العالمية
الثانية لأغراض عسكرية .

(طاقه) : تقع على الساحل بين بلدة ظفار ومرباط وتكثر فيها
اشجار النخيل .

(مرباط) : بلدة صغيرة ، جميلة المنظر ، تقع على الساحل الى
الشمال الشرق من مدينة ظفار .

(خربة) : تقع على بعد ستة كيلو مترات من غربي ظفار على
قعة جبل يشكل قسمه الغربي اول حدود المهرة في حضرموت باليمن
الجنوبية .

(الرستاق) : تقع في الجبل الاخضر من الناحية المطلة على سهل
الباطنة ، ذات مناخ لطيف .

(فهود) : تقع في الداخل الى الجنوب من نزوى ، وهي غنية
بالبترول ، ومن المدن الاخرى : ازكى ، وتنوف ، وعبرى ، والسيب وغيرها

السطح

يمكن تقسيم سطح بلاد عمان الى قسمين رئيسين :

١ - السهول الساحلية :

تعد السهول الساحلية بامتداد خليج عمان والبحر العربي .
تختلف سعة هذه السهول بين منطقة واخرى ، وتمتدح بين منطقتي الشرق

وظفار حول خليجي مصيرة وصوقرة لاسيما في منطقة جدة الحواسيس
كذلك تتسع المنطقة الوسطى من سهل الباطنة بين مدينتي صحار ومطرح
وتضيق هذه السهول بين مسقط ورأس الحد وفي ساحل ظفار حول خليجي
كورياموريا وقمر .

وأهم سهولها « الباطنة » الذي يقع على ساحل خليج عمان ويبلغ
طوله من الشمال الى الجنوب حوالي ٢٥٠ كيلو متراً وعرضه بين ١٥ - ٢٥
كيلو متراً (١) . ويعتبر اخصب منطقة في الجزيرة العربية حيث يضم
اجمل بساتين النخيل ، ويكثر فيه الموز والرمان والسدر وكثير من
اشجار الفاكهة وتزرع فيه الحبوب والقطن والخضروات .

٢ - المرتفعات الداخلية :

تتكون من سلسلة جبلية التوائية تعتبر امتداداً لجبال زاكروس ،
ابرزها جبال الحجر وهي سلسلة طويلة تبدأ من رأس مسندم وتمتد
حول سهل الباطنة على شكل قوس حتى تقترب من رأس الحد ، وتنقسم
الى (حجر الغربية) و (حجر الشرقية) . ومن جبال هذا القسم
جبل فلوح الواقع بالقرب من رأس الحد ، وجبل فطلاح ويبلغ ارتفاعه
١٩٠٠ متر ، والجبل الحارم الواقع بالقرب من رأس مسندم ويبلغ
ارتفاعه ٢٠٥٧ متراً (٢) .

ويطلق على القسم الجنوبي من حجر الغربية اسم (الجبل الاخضر)

(١) عبد المنعم الغلامي ، جغرافية جزيرة العرب ، مطبعة دار
البصري ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ٧١ .

(٢) عمر رضا كحالة ، م.س ، ص ٤٤٠ .

وهو اعلى جبال هذه السلسلة واكثرها غنى وخصوبة ، يبلغ ارتفاعه في اجدى قممه المدعوة « شام » ١٩٤٠ ، ١٠ قدم (١٠٧٠ م) (١) .
وتغطي ذراه الثلوج في موسم الشتاء . وبسبب ارتفاعه يكثف ابخرة الرياح الهابة عليه فتسقط الأمطار التي تساعد على نمو النباتات مما دعا الى تسميته بالجبل الأخضر ، حيث تغطيه الغابات والاحراج ، وتكثر فيه بساتين الفواكه اضافة الى مزارع الحبوب والخضروات .

والمناطق الداخلية من عمان عبارة عن هضبة تنحدر نحو صحراء الربع الخالى ، وهي صحراء حصوية فيها تلال منخفضة وكثبان رملية . وتندرج المرتفعات في الانحدار نحو الغرب ، بينما يشتد انحدارها باتجاه الساحل .

وتتخلل الجبال أودية كثيرة ، تتجه نحو الساحل ونحو الداخل ، بعضها تتوافر فيه المياه مدة طويلة ، وبعضها يجف بسرعة لشدة الحرارة والتبخر وقوة التسرب في باطن الأرض . ولتعض هذه الأودية مخازن وسدود وآبار ، تسقي المزارع والحقول . والمياه في هذه المناطق على عمق قليل من سطح الارض ، مما يسهل ري الأرض . وبهذه المنطقة واحات خصبة ، تقع بين الجبال كالواحة الواقعة على طريق بني ابي علي ، الى نزوى . وتسقي الجداول هذه الواحات . ومن الأودية المتجهة نحو الداخل : وادي العين ، ووادي اسود ، ووادي العميري ، ووادي مسلم في حين ينتهي واديا عندم وحلفين بالسهول الساحلية .

وفي ظفار يعتمد جبل القراء الذي يبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠ قدم (٩٠٠ متر) وأعلى قمة فيه ٥٠٠٠ قدم (١٥٠٠ متر) (٢) . يحيط هذا

(1) Ency . Brit . Op . Cit . 2/169 .

(2) Ibid , 2/169 .

الجلبل بالسهل الساحلي على شكل هلال بالقرب من خط طول ٥٥ ق .
والرياح الموسمية الهابة من الجنوب الغربي اثر في وجود نباتات على
متحدرات هذه المناطق المرتفعة وخلفها صحراء قاحلة . وفي القسم الشرقي
من جبل القراء يوجد جبل سميان . وتنحدر وديان ، من هذه الجبال
تنتهي بالداخل مثل وادي انطور ، ووادي ركييات ، ووادي غودان حيث
تكون واد رئيس يعرف باسم « مجشين » .
ويمكن تقسيم بلاد عمان الى خمس مناطق طبيعية (١) :

١ - عمان الوسطى :

ويمثل القسم المهم من المنطقة الداخلية ، ويحاذي سهول الباطنة
من الشرق ، ويمتد حتى الربع الخالي الى الغرب . ويبدأ في الشمال
والشمال الغربي من منطقة الظاهرة ويصل الى منطقة الشرقية في الجنوب
والجنوب الشرقي ، ومركزه مدينة (نزوى) . ومن مدن هذا القسم :
تنوف ، وازكي ، وجيريت ، وبهلا ، وبركة الموز ، وبلادسيت ، وغافات
والحمراء ، وآدم ، ووادي سمايل وهو الوادي الذي يؤلف القسم المهم
من عمان الوسطى .

وفي هذا الجزء تمتد جبال عمان التي تبدأ من الشمال الى الجنوب
على امتداد خليج عمان . ويعتبر الجبل الأخضر من اكبر واشهر هذه
الجبال . ويعرفه البعض باسم (رضوى) وهو مصيف لطيف فيما لو
اعتني به ، وغني بكثير من الاشجار ، وحسن طبيعي لعمان ، اما بقية
الجبال فانها تنحدر نحو الداخل وتؤلف مناطق متباعدة .

(١) كفاح عمان ، م . س ، ص ٢٢ - ٢٤ .

٢ - منطقة الباطنة :

منطقة سهلية ضيقة تبدأ من مدينة مسقط الساحلية ، وتصل الى مدينة (خصب) عند رأس الشيخ مسعود المواجه لمضيق هرمز الى الشمال ، وتشرف على خليج عمان . وتختلف عن غيرها من المناطق لكونها منطقة مرافئ منها مرفأ مسقط ، ومطرح ، وسويق ، والخابورة ، وصحار . ومن مدنها المشهورة (السيب) التي وقعت فيها معاهدة السيب عام ١٩٢٠ .

٣ - منطقة الظاهرة :

تقع الى الشمال الغربي من عمان الوسطى ومركزها مدينة (عبري) ومن مدنها الاخرى ضنك ، والدريز ، وتقع فيها جبال (الحجر الغربي) .

٤ - منطقة الشرقية وظفار :

وهي الى الجنوب الشرقي من عمان الوسطى ، وتقع فيها جبال الحجر الشرقي ومركزها مدينة جعلان . ومن مدنها المعروفة ابرا وبديّة والمضيبي والمضيب . ومن مرافئها المشهورة منذ القدم صور وسويح ورأس الحد والأشخرة .

وتعتبر جعلان ، من المواقع السوقية المهمة ولذلك خصها الاستعمار البريطاني بنصيب كبير من العناية وركز فيها قسماً كبيراً من قواته واعتبرها قاعدة عسكرية لعملياته الحربية على الاقسام الأخرى من عمان .

وتقع ظفار على ساحل البحر العربي الجنوبي جعلان ، وطولها الى
مهرة في الجنوب نحو ٢٢٥ كيلومتراً وعرضها زهاء ٢٥ كيلومتراً وهي
منطقة قليلة السكان . مازال ينبت فيها شجر البخور على الطبيعة في
تلال منخفضة مسطحة . وتشتهر بالتبغ والكافور وقصب السكر والذرة
والبن وجوز الهند . ويقوم سلطان مسقط في مدينة « سلالا » مركز
اقليم ظفار ، وكانت هذه المدينة من اكبر مراكز الفينيقيين (١) ، ولم
يجرؤ السلطان ان يسكن في مسقط منذ ثورة ١٩٥٧ .

٥ - منطقة السواحل :

تمتد من حدود جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية حتى ساحل عمان
المهادن على الخليج العربي بمسافة ١٥٠٠ كم .

« الأنهار »

تجري عدة انهار في عمان ، ومن انهارها العذبة (دارس) وهو
اكبر الانهار ، ونهر (مضوت) وينبع النهران السابقان من الجبل الاخضر
ونهر (الفتق) المعروف باسم نهر (الحلاة) . وتتمر هذه الأنهار
الثلاثة بالعاصمة نزوى .

ومن الانهار الاخرى (فرق) ويمر ببلدة (فرق) الواقعة الى
الجنوب من نزوى ، ونهر (الميتا) الذي يمر بمدينة نهلا ، ونهري

(١) مجلة الكفاح العماني ، العدد ٢٨ ، ٢٨ ذي القعدة ١٣٨٨ هـ ،

شباط ١٩٦٩ ، ص ٦ .

(العين) و (المالح) اللذين يخترقان بلدة آدم ، ونهري (الخابورة)
و (المحدث) اللذين يخترقان مدينة عبري في منطقة الظاهرة (١) .

(المناخ)

يتميز مناخ عمان بشدة حرارته في السهول الساحلية والسهول
الداخلية صيفاً ، وباعتداله شتاء ، في حين تتصف الأقسام الجبلية
بانخفاض درجة حرارتها شتاء وباعتدالها صيفاً . أمطاره السنوية أكثر
كمية من الأمطار التي تنزل في أواسط الجزيرة العربية . وهي تهطل
بشتاء بين شهري تشرين الأول وأذار بمعدل ثلاثة أو أربعة أيام في الشهر .
وتتمتد بلاد عمان في خطوط عرض كثيرة . فمنها ما يقترب من خط
عرض ١٧ ش بالقرب من ساحل ظفار ومنها ما يصل إلى ٢٦ ش
في الشمال .

ويرى « كندرو » أن خط عرض ٢٠ ش هو الحد الجنوبي لتأثير
الانخفاضات الجوية التي تجتاح مناطق البحر المتوسط شتاء ، ولكن
الرياح التي تهب شتاء من الشمال عبر خليج عمان تصطدم بهذه الجبال
فتسقط الأمطار ويتراوح المتوسط السنوي للمطر في مرتفعات عمان بين
٣٥٠ و ٥٠٠ ملمتر ، وهي تغزر على المنحدرات الشمالية المواجهة
للرياح . أما السهول الضيقة المطلة على خليج عمان فأمطارها أقل من
(١٥٠) ملمتراً ، في حين يصل المطر السنوي في مسقط حوالي ١٠٠ ملمتر

(١) كفاح عمان ، م ، س ، ص ص ٢٤ - ٢٥ ، والمسألة العمانية

م . س ، ص ص ٣١ - ٣٢ .

ولذا تعتمد الزراعة على الرياح (١) .
وفي الصيف يشتد الجفاف وتشتد الحرارة فتصل في السهول الى
٣٧ م في المتوسط ، وتقل درجة الحرارة في المرتفعات . ويبلغ معدل
درجة الحرارة شتاء ١٤ م ، اما الرطوبة فتشتد على السواحل .

« الثروة الاقتصادية »

تعتبر الزراعة من الثروات الاقتصادية المهمة في البلاد ، وهي تعتمد
بالرغم من سقوط الأمطار ، على الري بواسطة قنوات بعضها قديم . وفي
عمان مناطق متباينة ، كل منطقة لها محاصيلها المعروفة ومن تلك المحاصيل
النخيل إذ تصل منتجات التمور الى حوالي (٧٠٠٠) (٢) . كما تزرع
الحبوب وقصب السكر والقطن الجيد والتبغ والكاكاو والبن والخضروات
ويعتبر العنب من المحاصيل المشهورة لا سيما في مسقط وقد أدخله
البرتغاليون الى عمان في القرن السادس عشر (٣) . وتشتهر أيضاً بالرمان
والشمش والخوخ والاجاص والتين والموز والعنب والبرتقال والليمون
ونباتات النيلة للصباغة .

وتوجد الغابات على منحدرات الجبل الأخضر ، واهم اشجارها
الاثل واللبان والصمغ . ومن الاشجار الاخرى النامية في عمان السدر

(١) فيليب رفل ، واحمد سامي مصطفى ، جغرافية الوطن العربي

ط ١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٣٦٧ .

(٢) دول العالم ، م . س . ص ١٨٧ .

(٣) جان جاك بيربي ، جزيرة العرب ، تعريب نجدة هاجر

وسعيد الغز ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٢٠٥ .

والصفصاف والبلوط وغيرها .

والسكان قبائل بدوية ترعى الاغنام والابل معتمدة على مياه الينابيع
المبعثرة على سفوح الجبال وعلى المراعي المعتمدة في نموها على سقوط
الامطار . ومن ثروات البلاد الحيوانية البقر والماعز والخيول الأصيلة
والبغال والحمير . وفيها أيضاً الغزلان والذئاب .

اما الثروة المعدنية فعمان غنية بها لا سيما البترول . ففي عام
١٩٢٥ منح السلطان « تيمور » شركة « دارسي » امتيازاً للتنقيب عن
البترول والغاز الطبيعي . ولكن الامتياز انتهى بعد مرور ثلاثة اعوام .
وفي سنة ١٩٣٧ منح « سعيد بن تيمور » الذي خلف أباه عام ١٩٣٢ م
امتيازاً جديداً لانتاج البترول ونقله لشركة « استثمار بترول عمان
وظفار المحدودة » وهي تابعة لشركة نفط العراق . وفي عام ١٩٥٧ ظهر
البترول في عمان ، ولكن لم تجرؤ الشركة على استخراجه واستثماره (١)
وفي عام ١٩٦٤ اكتشفت كميات اقتصادية من النفط خاصة في ظفار حيث
تستثمره شركة امريكية . كما تقوم عدة شركات انكليزية وامريكية
بالتنقيب عنه في انحاء البلاد .

ويقوم السكان بتعدين مناجم النحاس واستخراج الملح . ويحتل
وجود الحديد بالقرب من حدود جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ،
والفحم الحجري جوار مسقط وعلى حدود الربع الخالي ، والذهب
بالجبل الأخضر .

وكانت عمان في السابق بلاداً صناعية وقد اضمحلت تلك الصناعات

(١) المسألة العمانية ، م . س ، ص ٨٢ .

الآن واقتصرت على حياكة الاقمشة وصناعة السفن وشرعتها وصنع
الأسلحة وغيرها من الصناعات البسيطة .

ولا يزال عدد غفير من اهل عمان يعتمدون في معاشهم على استخراج
الملؤلؤ الذي يدر عليهم ارباحاً كافية ، فتعتاش من ذلك عوائل كثيرة .
وقد اخذت عملية استخراج الملؤلؤ الطبيعي بالاندثار بسبب ظهور
الملؤلؤ الصناعي .

ويتعاطى اهل السواحل صيد الأسماك ، فتصدر عمان منه مقادير
عظيمة وتجفف كميات كبيرة ، كما تقدم كميات كبيرة منه علفاً للحيوانات
او سماداً للمزارع .

ولبلاد عمان شأن كبير في التاريخ البحري في المحيط الهندي ،
فقد كانت هذه الجهات معروفة للعالم القديم ومخرت سفنها مياه البحر
الاحمر والبحر العربي والساحل الهندي حاملة الطيب والحرير والتوابل
ونفائس الهند والصين وفارس الى اسواق العالم . وكان اسطول عمان
التجاري يتولى عملية النقل بين الخليج العربي وعدد كبير من دول العالم
وكان التبادل التجاري اكثر ربحاً لأهل عمان . وكانت ظفار مركز
تجارة التمور والعطور والنباتات الطبية . ولعمان علاقة تجارية متينة
مع الهند والباكستان ومناطق الخليج العربي واندونيسيا وغيرها .

واستناداً الى احصاء ١٩٦٠ فقد صدرت الى المملكة المتحدة بقيمة
(٢٥٠ ، ١٥) جنيه استرليني . وابرز صادراتها السمك المجفف والتمر
والفواكه والخضروات والجلود والصمغ والملؤلؤ . واستوردت ما قيمته
(٤٧٩ ، ٦٦٤ ، ٢) جنيه استرليني . وتتكون وارداتها من الرز والقمح
والبن والسكر والمنسوجات القطنية والحريرية والمنتجات البترولية (١) .

(1) Encyclopaedia Britannica , Atlas International ,
P . 242 .

المواصلات

تعتمد المواصلات في عمان على طرق القوافل بالدرجة الاولى لاسيما في المنطقة الجبلية . وتأتي طرق السيارات بالدرجة الثانية وهي ليست منتشرة على نطاق واسع نظراً لقلة الطرق المعبدة . فليست هناك طرق صالحة لسير السيارات سوى طريق يمتد بموازية الساحل . والمواصلات الهاتفية فيها متأخرة وقليلة العدد إذ يبلغ عدد التلفونات (احصاء ١٩٦١) ٢٥٦ تلفون .

الجزر العمانية

اشهر هذه الجزر (مصيرة) الواقعة في البحر العربي مقابل الجزء الجنوبي من منطقة الشرقية التي تقطنها قبائل (الجنبة) المؤيدة للامام وقد ادرك الانكليز اهميتها السياسية والستراتيجية فاحتلوها بالقوة واقاموا فيها قاعدة عسكرية بحرية وجوية اثر الحرب العالمية الاولى ، ثم سمحوا لحلفائهم الامريكان باستخدامها ايضاً .

وجزائر (كوريا موريا) الواقعة في البحر العربي في الخليج المسمى باسمها . وقد انتزعها الانكليز من سلطان مسقط « سعيد بن سلطان » في أواخر ايامه في ٢٤ / ٧ / ١٨٥٤ حين اجبروه على التنازل عنها وتقديماً هدية الى الملكة فكتوريا في أحد أعياد ميلادها . وتحتوي هذه المجموعة على الجزر الآتية : حلانية . قرظوت (أو قارظوت) ، سودة

(أو سويدية) ، جبيلة ، حسيكة . (١) .
وتكاد تخلو جزيرة (حلانية) من النباتات حيث لا يوجد فيها
الا بعض شجيرات من الاثل والاشواك . واغلب مياهها ماء اجاج ، ويشرب
سكانها من الآبار . وترتفع ارضها في الداخل عن سطح البحر بـ (١٥١٠)
أقدام . وهي أهلة بالسكان ، وقل عددهم عن ذي قبل . أما جزيرة
(جبيلة) فتكاد تكون مجذبة وخالية من الماء ، وكانت مأهولة قديماً ،
ويشهد بذلك بعض قبورها . وأما اليوم فخالية من السكان إلا في بعض
واحاتها . وتقع جزيرة (حسيكة) في القسم الغربي من مجموعة الجزر
وتبعد عن الساحل بـ ٢٠ ميلاً ، ويقوم عليها جبلان بارتفاع ٤٠٠ قدم
وهي خالية من النبات والماء ، وفيها مجموعة من السكان (٢) .
وفي عمان عدة قلاع وحصون وأشهرها نزوى ، والحزم ، وجبرين
وعينين .

الأقسام السياسية

تقسم عمان الى اربعة اقسام سياسية :

١ - امامة عمان في الداخل :

وتشمل مناطق الظاهرة ، والجبل الأخضر ، والحجر الشرقي والحجر
الغربي والشرقية وجعلان ورأس الحد .

(١) كفاح عمان ، م . س . ص ص ٢٥ - ٢٦ والمسألة العمانية

م . س . ص ٢٦ .

(١) عمر رضا كحالة ، م . س . ص ٢٧٤ .

٢ - سلطنة مسقط :

وتشمل مسقط ومطرح وسهول الباطنة وشبه جزيرة روس الجبال التي تنتهي عند رأس مسندم . وتعتبر مدينة مسقط عاصمة السلطنة ، كما يلحق بها ظفار التي يقيم بها حاكم مسقط سلطان بن تيمور .

٣ - مشيخة الفجيرة :

وتقع الى الشمال من مسقط على ساحل خليج عمان ، وقد أوجدها الاستعمار الانكليزي لينافس بها سلطان مسقط من جهة ، وليزيد في تجرئة عمان من جهة اخرى ، وكان ذلك عام ١٩٥٢ .

٤ - مشيخات وامارات ساحل عمان (الساحل المهادن)

وتتكون من : ابو ظبي ودبي والشارقة وعجمان وام القيوين ورأس الخيمة .

عمان في التاريخ

لعبت عمان دوراً مهماً في التاريخ ، وحكمها عدد كبير من الولاة في مختلف الادوار التاريخية التي مرت بها . ففي زمن الرسول (ص) كان عمرو بن العاص والياً عليها ، ثم عين حذيفة القلعاني (وفي رواية

اخرى (الغلفاني) في زمن ابي بكر ، وبعده عباد بن عبد الجلمنداني الذي ظل عاملاً عليها في زمن عثمان والامام علي (ع) (١) .

وبعد الخلفاء أصبح الحكم بيد العمانيين حتى أيام عبد الملك بن مروان الذي عين الحجاج والياً على العراق ، وهذا بدوره أرسل الجيوش الى عمان . وبعد ثلاث معارك حامية تمكن من دخول البلاد وولى عليها (الخيار بن سبرة المجاشعي) (٢) .

وتعاقب الولاة عليها حتى ايام ولاية جعفر المنصور على العراق الذي عين فيها (جناح بن عباد بن قيس بن عمرو الهنائي) ، ثم عزله وولى بدلاً عنه ابنه محمد . وبعده عقد العمانيون الامامة (للجلمندي بن مسعود) عام ١٣١ هـ / ٧٥٤ م . من هذا يتبين ان تاريخ الامامة في عمان يرجع الى القرن الثاني الهجري (القرن الثامن الميلادي) . وتعتبر الامامة اعتداداً للخلافة الاسلامية الاولى . ولقد ظل حكم الامامة قائماً اكثر من الف عام دون اي انقطاع في سلسلة الأئمة المتلاحقين ، الى ان تم انتخاب الامام الحالي غالب بن علي عام ١٩٥٤ . وينتخب الامام على مستوى شعبي شوري ، يشترك فيه جميع افراد الشعب . والامامة على هذا الاساس بعيدة عن النظام الملكي الذي يستند على الوراثة في حكمه ، وهي أقرب ما تكون الى النظام الجمهوري .

المشكلة العمانية

اتجهت اطماع المستعمرين الى عمان عام ١٤٨٧ م . ففي خلال هذا

(١) المسألة العمانية ، م . س . ، صص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) ن . م . ، صص ٢٤ - ٢٥ .

العام قامت بعثة برتغالية بحرية للوقوف على أهمية هذه المنطقة ومعرفة مسالكها وطرقها البحرية ، ثم عادت الى البرتغال لتقدم تقريراً عما شاهدته . وفي ١٥٠٧ عادت بعثة عسكرية أخرى الى منطقة الخليج واحتلت مدينة هرمز ووضعت فيها حامية عسكرية . وفي عام ١٦٢٠ قام الامام (ناصر بن مرشد) بحملة كبيرة واشتبك مع البرتغاليين وانتصر عليهم واعطاهم مهلة لجلاء قواتهم لكنهم نقلوها سرّاً الى مسقط (١) .

وبعد ان مكث البرتغاليون حوالي ربع قرن من الزمن ، طردهم العرب سنة ١٦٥٠م إذ كانت اسرة (يوسف سعيد) (٢) ، ومنها احمد بن سعيد الذي توفي سنة ١٧٨٣ . هي صاحبة هذه القوة وامتدت بملكات (احمد) في شواطئ المحيط الهندي الافريقية وجزره ، وحكم اولاده زنجبار وشرقي افريقيا ، واصبحت سفنهم هي القوة الوحيدة في المحيط الهندي .

وفي سنة ١٦٢٠ ظهرت في ميساء الخليج العربي سفن استعمارية هولندية . وفي عام ١٦٢٥ أطل عهد جديد هو الاستعمار البريطاني الذي اتفق مع الهولنديين ضد البرتغاليين ، فقاومهم شعب عمان .

وفي ١٦٦٤ تسلل الى المنطقة الاستعمار الفرنسي وأصبح على شعب عمان أن يكافح الهولنديين والانكليز والفرنسيين . واستطاع العمانيون سنة ١٧١١ في عهد الامام (سيف بن سلطان اليعربي) ان يسدحروا الغزاة المستعمرين . وهكذا فقد أصبح (اليعربي) سيد البحار ، واضمح الاسطول العماني يجوب المياه بين هرمز وزنجبار دون منافس .

(١) المسألة العمانية ، م . س ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) من الأسر التي حكمت عمان وسبقت اسرة البوسعيد :

آل الجلندي ، وآل نهبان ، واليعاربة الذين لقب عصرهم بالذهبي .

ثم جدد الانكليز الحملة على عمان ، واملت بريطانيا على عميلها سلطان مسقط معاهدة تخل بسيادة عمان . وفي سنة ١٨٠٠ عقد السلطان معاهدة أخرى مع الانكليز سمح لهم بحق تعيين وكيل سياسي بريطاني يقيم في مسقط بصورة دائمة ، مما سبب ثورة العمانيين ضد السلطان فاستطاعوا أن يحدوا من نشاط البريطانيين .

وفي مطلع عام ١٨٩٥ جدد الشعب العماني ثورته على السلطان فاحتل عدداً من المناطق المحيطة بمسقط . وفي ١٩١٣ ثار مرة أخرى واستمرت الثورة ست سنوات حتى اذا جاء عام ١٩١٩ كانت قوات امام عمان مهيمنة على الموقف سيطرة تامة بحيث تمكنت من الزحف على مسقط لتحريرها من حكم اسرة ابن تيمور (١) .

وحينما استولت قوات الامام على مدينة الرستاق ، استعان السلطان بالانكليز فطلبت بريطانيا التفاوض بين السلطان وبين الامام بوساطة الانكليز . واستمرت المفاوضات بين الطرفين اربع سنوات وتوقفت . ثم جرت مفاوضات جديدة تمخضت عن عقد معاهدة « السيب » سنة ١٩٢٠ اعترفت بريطانيا بعوجيها باستقلال دولة امامة عمان ، وبعدم تدخل السلطان بشؤونها الداخلية .

وفي اعقاب العدوان الانكليزي على عمان سنة ١٩٥٥ نشبت معركة حامية بين الانكليز والعمانيين كان من نتيجتها احتلال المستعمرين للمدن العمانية المتحررة . وفي ١٨ تموز سنة ١٩٥٧ قام الشعب العماني بثورة عارمة ما يزال لحيبها يتصاعد حتى الآن .

(١) كفاح عمان ، م . س ، صص ٣٨ - ٤١ .

فتات مجرعة

ليسقط العالم كله وأعيش أنا !!!

وفي مقهى يسان ميشيل في باريس جلست فتاة امريكية حافية القدمين ترتدي فستاناً من الخيش كتبت على ظهوره : « ليسقط العالم كله - وأعيش أنا » وفي احصائية من امريكا ان عدد الهيبز وصل الى اكثر من تسعين الفاً من الشباب معظمهم فقدوا الذاكرة او نقلوا الى المستشفيات او ماتوا على قارعة الطريق كالكلاب الضالة . ورقم آخر هو ٣٥ الف دولار تدفعها مدينة سان فرانسيسكو في العالم لعلاج المدمنين من شباب الهيبز .

المصور

العدد ٢٣٧٢ ١٩ محرم ١٣٩٠ هـ

مارس ١٩٧٠ م

هذا هو الثمن الذي سيدفعه جيل العهل الالكتروني !!!

ان لدى كل اسرة في ضاحية (بريكاركوني) سيارتين للبر وزورقا للبحر ولكن يجتمع الادمغة الالكترونية هذا لا يعرف نسمة السعادة ولا اشراقة الهناء . لقد تكاثرت فيه حوادث الطلاق حتى فاق معدلها

اشعاف المعهود في المجتمعات الامريكية الاخرى وسجل الاطباء ازدياداً في اصابات القرحة والسرطان ، ولخص احد الباحثين الوضع بما معناه ان الدماغ الالكتروني كحامض كيميائي يأكل من المرء الجسم والروح هذا هو الثمن الذي سيدفعه جيل العهد الالكتروني .

الاسبوع العربي

العدد ٥٦٣ / ٢٣ / آذار / ١٩٧٠

الرجل مخلوق روثيني

الرجل مخلوق شغوف بالروتين لدرجة الجمود . بل ان هذا الروتين يصبح هواية له تبلغ احياناً درجة من السخف لا تصدق . هذا ليس تجنياً على الجنس الخشن . خذ مثلاً لباس الرجل واللباس عادة دليل على ذوق صاحبه وميوله ونفسيته . يصر الرجال على تثبيت صف من الازرار على اكمام ستراتهم . لماذا؟ فائدتها ؟ من اين جاءت هذه العادة ؟ حكايتها ان فردريك الكبير ملك بروسيا ضاق ذرعاً بجنوده الذين كانوا يشربون البيرة ثم يمسحون افواههم باكمام ستراتهم فامر بتركيب ازرار لكي تحتك بافواههم فيقلعوا عن تلك العادة القبيحة .

ثم اصبحت « موضة » . . « موضة » بلا فائدة ولا نفع . فمن هو الرجل الانيق الذي يسمح فمه بكم سترته اليوم ؟ وهناك ربطة العنق « الكرافات » قصتها انها كانت منديلاً ملوناً يلفه افراد فرقة عسكرية فرنسية حول اعناقهم فلما انتصرت هذه الفرقة على الاتراك في « كراوتيا » في البلقان قلد رجال فرنسا افراد هذه

الفرقة . . ومن اسم « كراوتيا » اتخذ المنديل اسم « كرافات » ثم تطور حتى صار على شكله الحالي وما يزال الرجل يحتفظ بهذه « الزائدة الدودية القماشية » البلهاء . .

وكذلك لا يزال هذا المخلوق الروتيني يحتفظ بشبهة رجلي بنطلونه وهي حركة عفوية انى بها الملك ادوارد السابع البريطاني عندما نزل مع بعض ضيوفه الى اسطبلاته للتفرج على الجياد خوفاً من اتساخ البنطلون فقلده مرافقوه ثم جميع الرجال

ومن هذا القبيل عروة السترة في أعلى الياقة . اصلها قصة غرامية اقدم عليها الامير البرن خطيب الملكة فكتوريا عندما قدمت اليه وردة فما كان منه الا أن اخذ مديدة ومزق بها ياقة سترته ليضع فيها الوردة . . . فاعجب لهذا المخلوق الروتيني المدهش . . . الرجل !

اعتذار

حصل التباس في العدد السابق حيث نشر في حقل الفلسفة من المجلة مقال (الوجود والماهية) باسم الشيخ محمد مهدي الأصفي اشتباهاً ، والمقال ليس له . فمعذرة الى القراء الكرام والى الكاتب المحترم .



مكتبة المجلة

طبعة تمهيدية لموضوعات الموسوعة الفقهية

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت
- العدد ١ ، ٢ وهو مشروع الموسوعة الفقهية تمهيداً لطبعها على شكل
موسوعة إسلامية على ضوء المذاهب الإسلامية .

• • • • •

(تاريخ الإمامية واسلافهم من الشيعة)

منذ نشأة التشيع حتى مطلع القرن الرابع الهجري

تأليف : الدكتور عبد الله فياض

الكتاب من القطع المتوسط في ٢٢٢ صفحة - تناول الكتاب تاريخ
طائفة من الشيعة من الرواد الاول للتشيع وواضعي بذرته في عهد
الرسول (ص) .

• • • • •

(رحلة الى الاندلس)

تأليف : الاستاذ ناجي جواد

دار الاندلس - بيروت - من القطع الوزيري في ١٦٧ صفحة .
معلومات وافية عن الطبيعة الجغرافية والتاريخية والأدبية
للاندلس .

• • • • •

« المسلم »

مجلة العشيرة المحمدية - صحيفة اسلامية تصدر في القاهرة .

• • • • •

« البلاغ »

العدد ١ السنة الثالثة

مجلة فكرية جامعة تصدرها الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية .

• • • • •

« من حكم واحكام أهل البيت (ع) »

تأليف : الحاج محمد حسن الشيخ علي الكتبي
الكتاب من القطع المتوسط في ٢٤٣ صفحة . تناول الكتاب مقتطفات
من حكم الأنعة (ع) الماثورة اسهاماً منه في نشر أحاديث النبي (ص)
وبعثاً للتراث النفيس .
ع . ع . م ٢٥ / صفر / ١٣٩٠ هـ

قال رسول الله (ص) :

« من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً الى الجنة
وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا به ، وأنه ليستغفر لطالب
العلم من في السماء ومن في الأرض ، حتى الخوت في البحر ، وفضل
العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر ، وأن العلماء
ورثة الانبياء . . . »

« أصول الكافي : ١ / ٣٤ »

اجازة علمية

العلامة الشيخ محسن المعروف باقا بزرك الطهراني

اجازة لطلاب كلية اصول الدين - ببغداد -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نقي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين ، واشرف
الخلائق اجمعين وعلى اوصيائه المعصومين ، الاثني عشر ، من الآن الى
يوم المحشر .

وبعد ، فان ولدنا الروحي الدكتور حسين بن الشيخ علي بن الشيخ
محمد الجواد بن الشيخ موسى بن الشيخ حسين بن الشيخ علي آل محفوظ
الاسدي ، الكاظمي - اسعده الله في الدارين ، وارشده الى الاصول من
كل امرين - قد استجازني قبل نحو ثلاثين عاماً في روايته عني عن
كافة مشايخي . فنزلت على رغبته ، لما وجدته اهلاً له - يومذاك - .

واليوم هو استاذ علوم الحديث ، والدراية والرجال - في كلية
اصول الدين ، المؤسسة في بغداد قبل عامين . فسألني ان اكتب اجازة
عامة في الرواية عني عن مشايخي لجميع تلاميذه ، الذين قرأوا عليه

نلك العلوم ، ولكل من يقرؤها عليه في المستقبل ، ولكل من يقرأ العلوم الدينية في هذه الكلية . فرأيت ان صلة الخلف بالسلف بما جرت بها سيرة السلف - رضوان الله عليهم - فكانوا يفتخرون بها ، ويتحملون مشاق الاسفار ، في تحصيل علو الاسناد ، والاستجازه من المشايخ لانفسهم وللاولاد . وتحقيق بنا الالتزام بتلك السيرة لو لم نقل بلزومه ، لما تراء عيوننا من التقهر في هذا السبيل للدواء . فلذلك بادرت الى اجابة مسأله ، واستغرت الله - جل جلاله - لنفسي ولهم ، واجزت لكل واحد من افراد الكلية المذكورة ، ان يروي عني جميع ما صحت لي روايته ، عن كافة مشايخي الاعلام الذين منوا علي بالاجازة والسماع والقراءة في العراق والقاهرة والحرمين الشريفين اجازة عامة ، لرواية كل كتاب دونه علماء الاسلام - قدس الله اسرارهم - بجميع طرقهم واسانيدهم المسطورة في اجازاتهم لي ، اخص منها بالذكر - الاوثق والأعلى سنداً - وهو ما ارويه عن اول مشايخي ، خاتمة المجتهدين والمحدثين . مولانا الحاج الميرزا حسين النوري ، النجفي الخاتمة ، المتوفي بها (١٣٢٠ هـ) بطرقه الخمسة التي سطرها في خاتمة كتابه (مستدرک الوسائل) وشجرها في (مواقع النجوم) (٥) .

(٥) ومنها روايته عن الشيخ مرتضى الانصاري ، عن الشيخ احمد ابن محمد مهدي التراقي ، عن السيد محمد مهدي بحر العلوم ، عن الاغا محمد باقر الوحيد البهبهاني ، عن والده محمد اكمل ، عن محمد باقر المجلسي ، عن والده محمد تقي بن مقصود علي المجلسي ، عن الشيخ بهاء الدين محمد العاملي عن والده الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي عن الشهيد الثاني ، عن الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي الميسي ، عن الشيخ شمس الدين محمد بن المؤذن الجزيني ، عن الشيخ ضياء الدين علي =

فلير وكل واحد من ذكرتهم ، عفي ، عنه ، بتلك الطرق ، لكل من شاء واحب ، بشرط مراعاة التقوى والاحتياط ، ومراقبة المولى - جل جلاله - في غالب الاوقات ، والدعاء لي من مظان الاجابة - بالغفران - حرره بيده المرتعشة - في مكتبته العامة ، في النجف الاشرف - في الاربعاء ، العشرين من جمادي الثانية : التي كان في مثلها ميلاد سيدة النساء - صلوات الله عليها ، وعلى ابيها وبعلمها ، وبنيتها - وذلك من عام ستة وثمانين وثلاثمائة والاف هجرية .

الفاني الشهيد بأغا بزرگ الطهراني

- عفا الله عنه ، وعن والديه -

= عن والده شمس الدين محمد بن مكّي الشهيد الاول ، عن الشيخ فخر الدين ابي طالب محمد عن والده الحسن بن يوسف بن المطهر العلامة الحلي ، عن الشيخ المحقق نجم الدين ابي القسم جعفر بن الحسن بن يحيى ابن سعيد ، عن السيد شمس الدين فخر بن معد الموسوي ، عن الشيخ ابي الفضل شاذان بن جبرئيل القمي ، عن الشيخ ابي جعفر محمد بن ابي القسم الطبري ، عن الشيخ الجليل ابي علي الحسن ، عن والده ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، شيخ الطائفة صاحب « تهذيب الاحكام » و « الاستبصار فيما اختلف من الاخبار » عن الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ، عن الشيخ ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه عن الشيخ ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني ، صاحب « الكافي » ، وبالاِسناد عن الشيخ المفيد عن الشيخ الصدوق ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن بابويه القمي ، صاحب « من لا يحضره الفقيه » .

سُورَةُ الْجُمُعَةِ ..

وافقت وزارة التربية على فتح الدورات الصيفية لمدارسنا في بغداد وكان نجاح الدورات يدل على الأهمية الكبيرة والسمعة الحسنة التي تنالها المدارس بالإضافة الى المستوى العلمي الرفيع والتربية الدينية المعطاءة .

أخبار الكلية :

تخرجت الدورة الثالثة لطلبة الكلية للعام الدراسي ١٩٧٠ / ٦٩ م فكان عدد الطلبة (٥٦) طالباً ونجح منهم (٤٧) طالباً . وقد حاز الطالب فاضل كاظم الياسري بالمرتبة الأولى على هذه الدورة والطالب الياسري من الطلاب المجدين خلال السنوات الثلاث المنصرمة وقد كافأته الكلية على تفوقه واجتهاده بان أعفته من الاجور الدراسية كلية كما انها ترحو أن يعمل على مواصلة دراسته وتتبعه كي يتسنى له ان يستفيد من مواهبه ويقيد بجمعته ويوفق لخدمة الدين الحنيف .

كما نال ترتيب الاول في الصفوف غير المنتهية كل من :

١ - سلام محمد علي البياتي - الصف الثالث .

٢ - صبيح حمود التميمي - الصف الثاني .

٣ - عبد الكريم جواد كاظم - الصف الأول .

رسائل الخريجين :

سيراً على منهاج الكلية على اداء رسالتها في نشر العلم والعرفان فقد دأبت على تكليف المتخرجين باعداد رسائل علمية في مواضيع مختلفة ضمن مجال اختصاصهم ، وقدمت للكلية ثمرات ناضجة تدعو لبعث السرور والامل بمستقبل زاهر ومن اشهر هذه الرسائل التي قدمت :

١ - رسالة الطالب جبار حمودي علي بعنوان « القراءات القرآنية »
ومسألة القراءات ليست حديثة العهد وانما هي مسألة اثرت في عصور متقدمة وشغلت كثيراً من آراء العلماء واجتهاداتهم بحيث لا يعدم الباحث ان يجد في كتب التفسير والقراءات وكتب الغريب والنحو من هذا الباب شيئاً كثيراً على اختلاف انواعها . فقد تناولت الرسالة ثلاثة فصول لاثبات حقيقة مهمة وهي قراءة ما في دفتي القرآن مستمداً ذلك من امضاء اهل البيت (ع) بعد مناقشة مختلف الآراء والمذاهب المتعددة لاقرار هذه الحقيقة .

وقد اخترنا فصلاً من الرسالة المذكورة فنشرناه في هذا العدد وسنواصل الحديث عن رسائل الخريجين في اعداد قادمة ان شاء الله تعالى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

انا لله وانا اليه راجعون



قد فقدناك زعيماً ناهضاً

يرهب الله ولا يخشى العباد

فاذربي يا عين وأسعر يا فؤاد

قد قضى من كان ذخراً للجهاد

انتقل الى رحمة الله ورضوانه سماحة

آية الله العظمى والمرجع الديني الأعلى

فقيه العصر الامام المجاهد السيد محسن

الحكيم رحمه الله وانزله فسيح جناته واسكنه

مساكن النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين وحسن اولئك رفيقاً .

وكان انتقاله صدمة قوية لجماهير الامة ، علمائها وارباب الفكر

والاصلاح فيها وعامة المسلمين وكيف لا وقد فقدت في موت فقيدتها بطلاً

من ابطال الاسلام ورائداً من رواد الاصلاح ومرشداً خط للمرجعية

والاجتهاد مساراً واعياً سوف يبقى مدى الدهر العلامة الفارقة للقيادة الحققة

كان فقيدنا العظيم كما هو شأنه مبادراً الى العمل الجهادي الذي

يحقق مصلحة الاسلام والامة الاسلامية اينما حل لا تأخذه في الله لومة

لائم ولا نجهم متجهم .

واسرة تحرير مجلة رسالة الاسلام ترفع تعازيها الحارة الى العلماء

الاعلام والامة الاسلامية جميعها داعية الله سبحانه وتعالى ان يأخذ

بايدي ابنائها من اجل الحفاظ على بيضة الاسلام واعلاء شأنه والسير به

نحو تحقيق اهدافها في الخير والصلاح .

(اسرة التحرير) انه نعم المولى ونعم النصير

لمحات عن الرجل العظيم الامام الحكيم

ولد الامام الحكيم في غرة شوال سنة ١٣٠٦ هـ في النجف الأشرف من أبوين كريمين ، ونشأ في حمى جده الوصي (ع) في ظلال الهدى والصلاح . وما أن بلغ السادسة من عمره او كاد حتى أصيب بفقد والده المغفور له حجة الاسلام السيد مهدي الحكيم الذي كان يمارس مهامه الدينية في لبنان علماً هادياً واماماً مصلحاً وزعيماً كريماً - ولئن قدر له ان يحرم من حنان تلك الأبوة الصالحة فقد كان لليتم أثره البالغ في اصفاء عناصر الجلد والصمود والقدرة على مواجهة المحن والصعاب على شخصية الفقيد الراحل مسهماً في صياغتها على نحو فريد رائع . وهو - قدس الله سره - حسني النسب ، يتصاعد في سلسلة ذهبية مباركة - وبثلاثين واسطة - الى جده امير المؤمنين (ع) .

كانت ملامح الذكاء والفطنة ظاهرة عليه منذ الصغر ، مما أتاح له فرصة الابتداء بدراسته العلمية في وقت مبكر ، فقد أتقن القراءة والكتابة في سنته الثامنة ، ولم يمر بعد ذلك الا سنة حتى لبس العمة منخرطاً في سلك المشتغلين بعلوم الدين وقد كان في تلك الفترة محاطاً برعاية اخيه الاكبر المرحوم العلامة السيد محمود الحكيم كما انه درس عليه قسماً من مقدماته وسطوحه ، وفي سنة ١٣٢٦ هـ فرغ من دراسة سطوحه .

حضر الابحاث العالية فقهاً وأصولاً على أساطين العلم وأعظم الاساتذة فقد حضر سنة ١٣٢٧ هـ ابحاث الاخوند الملا محمد كاظم الخراساني قدس سره في دورته الاصولية الاخيرة كما أنه حضر عليه في

تلك السنة أبحاثه الفقهية .

ثم واصل حضوره على ثلثة من فحول الاساتذة الاعلام كالمحقق العراقي والميرزا النائيني رحمهما الله .

وكان خلال تلك المسيرة العلمية المباركة مشهوداً له بالفضل والبراعة العلمية فأحتل مكانة مرموقة في الحوزة العلمية في النجف الاشرف . وفي سنة ١٣٣٣ هـ شرع في تدريس السطح العالي كالكفاية والرسائل ثم استقل بعد مدة بتدريس الخارج واصبح من اساتذة الحوزة الاعلام الذين امتازوا بالعمق والتحقيق وتنمية قدرات طلابهم العلمية بأسلوب في البحث رائع وبمنهج تربوي سديد .

ويكفي ان نقول ان طبقات من العلماء والفضلاء قد تخرجت على يديه وانتقلت من ينبوع علمه الغزير .

كان للامام الحكيم دور بطولي رائع في الحركات الجهادية ابان الغزو العسكري الانكليزي في العراق فقد اشترك في قتال المستعمرين الانكليز ، وكان معتمد السيد الجبوي في الشؤون الادارية لما تميز به من حكمة وتدبير فأناط به مهمة الاتصال بالمعشائر المجاهدة .

كانت بداية مرجعيته بعد وفاة المرحوم الميرزا النائيني ثم تألق نجمه وثبت له الوسادة واصبح المرجع الاكبر للطائفة الشيعية .

كان لمواقفه الخالدة من قضية فلسطين آثارها الايجابية العميقة وخصوصاً فيما يتعلق بالعمل الفدائي فقد استند ورعاه وجوز اعطاء الزكاة الى منظمة (فتح) .

امتاز باهتماماته الكبيرة بشؤون المسلمين مما أدى الى ازدهار البلاد روحياً وثقافياً في عهده .

فقد ارسل العلماء لينبشوا في الافاق مرشدين وهادين وأسس المراكز

الارشادية ، وشجع المؤلفين والكتاب واهتم اهتماماً بالغاً بتشجيع المساجد
والحسينيات والمكتبات العامة داخل العراق وخارجه حتى بلغ مجموع
الفروع (ثلاثة وسبعون) فرعاً .

وكانت عطاياهم ومساعداته للفقراء جارية فقد كان أب الأرامل
واليتامى والمساكين .

مكتبته العامة في النجف الأشرف من اعظم المكتبات الاسلامية
وقد اشاد لها بناية ضخمة - وصرف عليها بسخاء حتى اصبحت تضم
نفائس الكتب المطبوعة والمخطوطة ومختلف المصادر في جميع حقول المعرفة
وقد تأسست سنة ١٣٧٧ هـ .

أنشأ المدارس لطلاب العلوم الدينية ورعاهم رعاية أب عطوف
وأجرى لهم الرواتب الشهرية وكان يمدهم في سائر أنحاء العالم في
أعقاب وفاة السيد الاصفهانى .

وقد انعطفت نحوه قلوب الملايين ، ودانت له الامة بالولاء المطلق
لأنه (ره) كان قد وهب حياته للإسلام فعاشه بكل ذرة من ذرات
وجوده وتفاعل معه في آماله والامه وتطلعاته وضى بكل ما يملك
في سبيله .

وكان يدير دقة الأمور بحكمة وسداد ، يمارس الفتيا والاستنباط
في جانب ويتفاعل مع الامة والأحداث في جانب آخر ، وقد كان نهجه
امتداداً أصيلاً لنهج اجداده الأئمة الطاهرين (ع) ، وهو في كل ذلك
يواجه الأحداث بما تتطلبه من صلاية ، وشموخ ، وتدبير ، فما وهن
له عزم ، وما شطت به قدم ، ولا ناء له متن .

وبهذا يكون - رحمه الله - قد حدد للمرجعية ابعاداً ومعالم ستبقى
هي الأبعاد الرائدة عبر امتداد الزمن .

وقد عرفته الأمة خلال مرجعيته القائد الحكيم والرعيص المصلح
والأب الحاني الذي قلما يوجد الدهر بمثله .

قارع الضلال والانحراف ومواقفه في ذلك معروفة مشهورة ولن
تنسى الأمة ما أحدثته فتواه التاريخية ابان الطغيان الأحمر المجموم .
كان المفزع الذي يلجأ اليه الناس في المحن ، ولم يكن الشيعة
وحدهم يفرعون اليه في الملمات بل حتى أبناء الطوائف الأخرى .
بالمساعدات المادية والمعنوية .

ولعل مدرسته الكبرى في (فضوة المشرق) اهم المدارس سعة وتنسيقا
كما أنه اسس مدرسة للعلوم الاسلامية تعتبر النواة لدراسات
منهجية تربط القديم بالحديث وتعد الطلاب اعداداً رائعا في كل ما يحتاجون
اليه في مقام التبليغ .

اهتم بالعبات المقدسة وامر بتشيد ضريح العباس (ع) وانفق
عليه فجاء في غاية الروعة والجودة .

خلف آثاراً علمية مهمة نذكر منها :

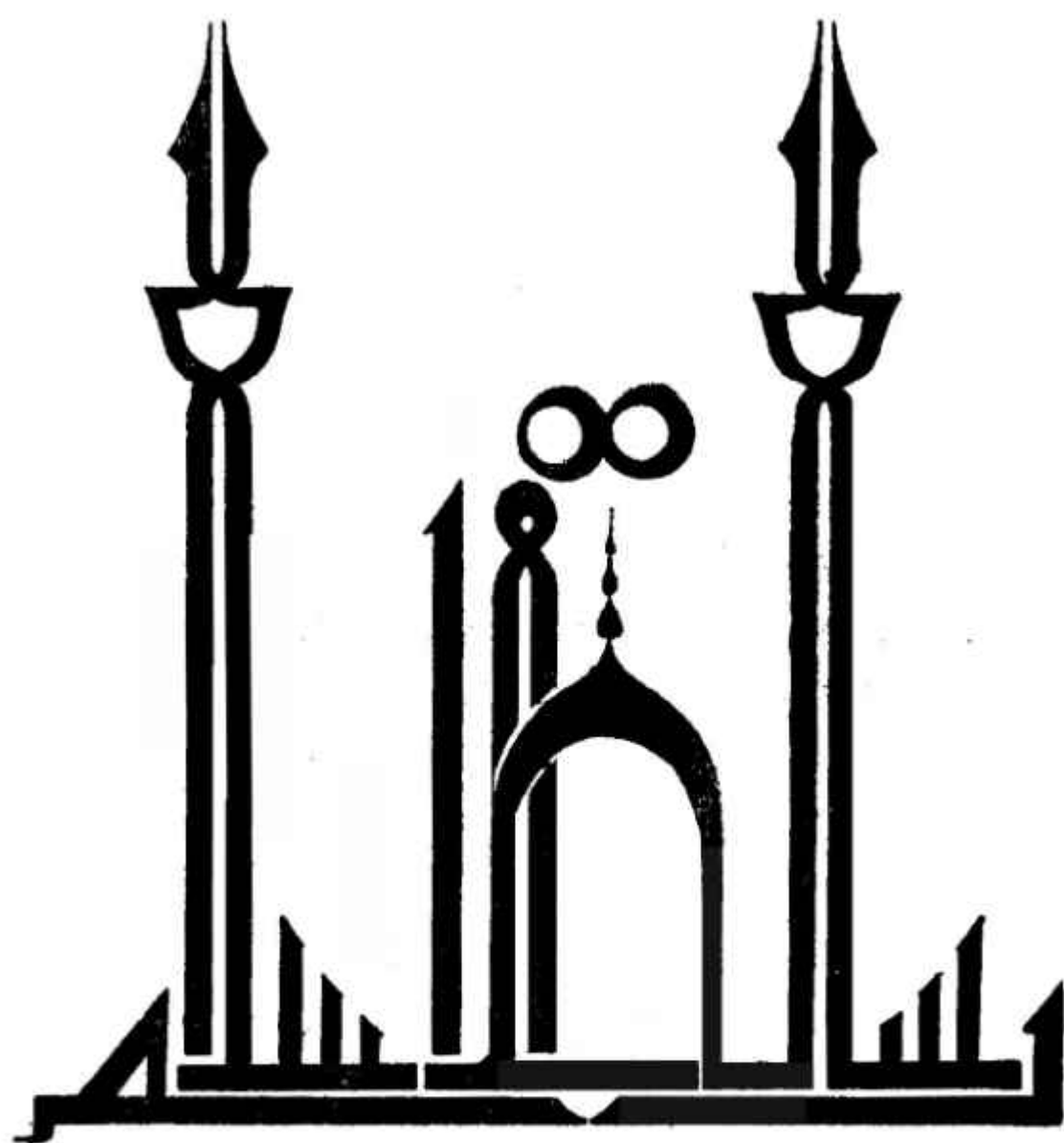
١ - مستمسك العروة الوثقى : وهو شرح استدلاي للعروة الوثقى
يقع في ثلاثة عشر مجلداً .

٢ - حقائق الأصول وهو شرح لكفاية الاصول للآخوند الملا محمد
كاظم الخراساني (ره) يقع في جزئين طبع سنة ١٣٧٢ .

٣ - نهج الفقاهة وهو تعليقة على مكاسب الشيخ الانصاري (ره)
يقع في جزئين .

٤ - تعليقة على العروة الوثقى .

٥ - منهاج الصالحين ويقع في جزئين الأول في العبادات والثاني
في المعاملات .



۱۹۷۰ - ۱۳۹۰

أخي :

أخي المشترك ، أخي الكاتب ، أخي القارئ،

ان رسالة الاسلام رسالتك ، مداد قلمك ، حروف درسك
ومحادثتك : تشككي اليك من حقها ذلك فاصغ يا اخي الى شكايتها ،
تريدك ، ناصرا ، لها دائما كما عهدتك . كن عونها على تذليل
مشكلاتها المالية ، وتسديد بدلات الاشتراك فيها وكن لها ، قلبا ،
يخنو ولسانا يدعو ونفسا يصعد كما انت وكما كنت وكما تكون
« ان بعد العصر يسرا » ، ان بعد العصر يسرا » .

رسالة الاسلام

مجلة شهرية تصدرها الغيبة والاعلان

تصدر عن

كلية اصول الدين

بغداد

رئيس التحرير

محمد عبد الحميد

سكرتير الادارة

جناب الدين (العسكري)

المجلات المالية

باسم المحاسب:

عبد مناف محمد الشيخ عباس .

بدل الاشتراك

داخل العراق : دينار واحد

خارج العراق : دينار ونصف

للمراسلات الرسمية : ديناران

تلفون ٩٤٥٢٢

٩

رسالتنا : الثبات في ارض

المعركة

كلمة التحرير : هجرة ولكن

الى الله

جمع القرآن

من دروس التفسير - النظام

الطبيعة وتحقيق المقاصد

والاهداف القرآنية

جنينة الشعر : يا دمي

ثمار السخط

أبناء

من دروس المناقشة : اسرائيل

المعرفة والسلوك

مع العلماء والمفكرين الاسلاميين

كتب جديدة في الميزان : صراع

ملاحم الوعي في خطى الامام

الحكيم (قد)

ملتقى الآراء . نحن والفرو

الفكري

فتاوى تهكم

حول العالم الاسلامي : سقطرة

اشتات مجموعة

نافذة على الحضارة الغربية .

القراء يسألون

نعم الاميني

مكتبة المجلة

شؤون الجمعية

كتاب المجلة

١٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الباب في أرض المعركة

(وما رميت اذ رميت ولكن الله المعارك والحروب ، واقتراف ابشع رمى ، وليبلي المؤمنين منه بلاءا الجرائم الانسانية في هذه الحروب . حسنا ان الله سميع عليم)

فالجانب الذاتي لا يقل اهمية عن الجانب الموضوعي في المعركة ، واذا كان الجانب الموضوعي في المعركة يكون للجندى فكرة عن أرض المعركة وما يجب ان يعد له من قوة وسلاح وتدريب ... فان الجانب الذاتي والرسالي من المعركة يرفع من قيمة العمل الذي يقدم عليه الجندى المسلم في المعركة والمجاهدون المسلمون فيما يخوضونه من صراع ضد الجاهلية من مناعب ومعاكسات على امتداد التاريخ .

ولا يقتصر بعد اثر هذا الجانب على تكوين قيمة ذاتية للعمل وانما ينعكس على الجانب الموضوعي من المعركة ايضا .

فان الجندى المسلم حين يخوض المعركة عن ايمان وعقيدة وفهم لطبيعة هذه المشاكل التي تثيرها الجاهلية في وجه رسالات الله يكتسب

الى جانب الاهتمام بالجانب الموضوعي من الصراع الدائر بين الاسلام والجاهلية والاعداد المادي للمعركة ، وبالمستوى الذي تتطلبه المعركة ، وما تتمخض عنه من نصر او هزيمة ...

... من المهم جدا ان تبلى فكرة واضحة لدى المجاهدين عن طبيعة هذا الصراع وما يتمخض عنه من نصر او هزيمة ، ليكتسب عمل الجنود المجاهدين قيمة ذاتية ، الى جانب الاهتمام الفنى والعسكري بالمعركة ومتطلباتها .

فلو افتقد المجاهدون في سبيل اعلاء كلمة الله هذه القيمة الذاتية لجهادهم لاصبح هذا العمل لا يمتاز في بواعثه النفسية عما يقدم عليه القادة العسكريون الذين يدفعهم الشرف وحب الذات والانانية الى خوض

معنوية عالية ، وهذه المعنوية تمنح الجندي قوة هائلة وإرادة صلبة ، وجسارة وشجاعة في خوض المعركة تؤثر تأثيرا بالغا في نتيجة المعركة .

ان جوهر هذا الصراع هو معاكسة رسالة الله وعرقلة مسيرة هذه الرسالة وارغام الانسان على الانحراف والتخضوع للاصنام والطواغيت التي ترفعها الجاهلية في قبال كلمة الله ورسالته ، فالصراع يستهدف في جوهره رسالة الله وشريعته وكلمته بالذات .

وبناء على ذلك فان عملية التدريب العسكري لساحات القتال يجب ان تقتزن بعملية أخرى في تربية الجندي وتكوين ذهنية عقائدية واهتمامات رسالية لديه ، وما يقال عن ساحات القتال وعن ضرورة اعداد جنود عقائدين بمستوى المعركة عقيدة وتدريباً يقال عن ساحات الحياة عامة ، لان الجاهلية لا تهدأ في حال عن معاكسة اصحاب الرسالة الالهية وعرقلة مسيرتهم ، واثارة المتاعب والمشاكل في طريقهم في كل مجالات الحياة ، وفي الحرب والسلام معا .

والمؤمنون بهذه الرسالة يعيشون في صراع مستمر مع الجاهلية ، وهذا الصراع يتطلب كثيرا من الاعداد والجهد والعمل ، كما يتطلب فهما واعيا لطبيعة هذا الصراع ، وطبيعة الدور الذي يقوم به المسلمون المجاهدون في هذا المعترك الكبير ، وهذا ما يدعونا الى ان نطرح سؤالا عن طبيعة هذا الصراع وعن طبيعة الدور الذي يقوم به المسلمون من حملة هذه الرسالة .

والسؤال الاول عن طبيعة هذا الصراع - في مختلف وجوهه -

الصراع بالذات والمتاعب التي يسببها لجملة هذه الرسالة والمؤمنين بها .

والسؤال الذي نود طرحه هنا لماذا لا يقضي الله على هذه المعارضة من جنورها ليرجع عباده المؤمنين من كل هذه المتاعب التي تخلقها الجاهلية ؟ اوليس الله بقادر على ذلك ؟ ام ان الله يحب ارهاق هذه الأمة المؤمنة من عباده في صراع طويل مع الكافرين ؟

والجواب عن كل من هذين السؤالين واضح ، فلا ينقص قدرة الله شيئا ، وقد تعالى عن العجز علوا كبيرا ، ولا يحب اذى لعباده ، وهو الرحيم اللطيف بعباده ، اذن فهناك سبب آخر - في حكمة الله - يدعو الى امداد هذه الفئات المنحرفة بالطغيان والتمرد على سلطان الله ورسالته ، ويسبب للمؤمنين به ولجملة رسالته كل هذه المتاعب والمشاكل ، ويجيب القرآن الكريم على ذلك بوضوح كاف :

(وليبلي المؤمنين منه بلاءا حسنا ان الله سميع عليم)
وكثيرا من المتاعب في حياته تحتل العقيدة كل اهتماماته وكل شخصيته .

انما يمد الله هؤلاء في غيهم وطفانهم ولا يسلبهم امكانية الحركة وقوة المعارضة ، والتمرد حتى يلبلي المؤمنين بلاءا حسنا ، وحتى تتحول هذه العقيدة في نفوس المؤمنين الى حركة وقوة وصمود .

ان العقيدة حينما تركز للراحة ، وتخفي عن وجه الاحداث وتتجنب الاصطدام تدبّل وتصبح هزيلة ، وتفقد فاعليتها وقوتها ، وتضمير بشكل متوال حتى تنقلب الى عادة او تقليد ، وبعبارة ذلك فان الجهاد يكسب العقيدة قوة هائلة وفاعلية وحركة ، ويبعث الحياة فيها ويحولها من عقيدة ضحلة الى ايمان راسخ في اعماق النفس .

فان المتاعب والابتلاءات التي يتحملها الانسان المسلم في سبيل عقيدته ورسالته تؤدي بصورة لا شعورية الى تأكيد هذه العقيدة وترسيخها في النفس ، وتختلف درجة اهتمام الناس بالعقيدة وقوة هذه العقيدة في نفوسهم بما يتحملون فالانسان الذي لم تكلفه عقيدته ورسالته جهدا في حياته لا تحتل العقيدة غير جزء صغير من اهتماماته وشخصيته ، بينما الانسان الذي كلفته العقيدة كثيرا من الجهد

واما هذه الحياة الخاملة البعيدة عن الاهتمامات الرسالية التي يعيشها الخاملون من الناس فلا تبعث في النفس عقيدة راسخة ، ولا تتغلغل العقيدة بقوة وحركة ، ولا تمنح الشخصية اهتمامات وغايات عالية في الحياة ، فهذا الصراع اذن من البلاء الحسن الذي يبلي به الله رسالته ، وان كان يكلفهم كثيرا من الجهد والعناء .

والسؤال الآخر الذي نود طرحه ، ونستوحي جوابه من الآية الكريمة هو دور الانسان المسلم في المعركة وقيمة هذا الدور واستقلاليته .
ان دور المسلم في المعركة القائمة

بين الاسلام والجاهلية لا يتجاوز ان يكون انقيادا لارادة الله سبحانه وتعالى ومشيتته .

والجندي المسلم في أرض المعركة ليس الا أداة لهذه الارادة الالهية ، فكلما يحرزه من نصر وما يقدم عليه من عمل انما هو فضل من الله وتأييد منه سبحانه وتعالى ، ولا يرى لنفسه في المعركة أي شبح أو ظل أو وزن ، فهو أداة لمشيئة الله تسوقه حيث يريد من النصر والفتح ، ولا يحجبه هذا النصر الذي يحرزه في المعركة وهذا الجهد الذي يبذله في مقاومة العدو من ان يرى السبب الحقيقي لذلك كله من امداد الله تعالى له بالقوة والنصر ، ولا يملأ نفسه الانتصار على العدو بهذا الزهو والاعتداد بالنفس الذي يحجبه عن رؤية فضل الله ورحمته في ذلك كله (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) .

فهو على كل حال أداة لتنفيذ مشيئة الله ، وليس له أي فضل أو ظل في ذلك .

وحينما يتأكد هذا الشعور والتفاني في ذات الله ورسالته في نفس الانسان المسلم يتناسى ذاته وتلاشى الانانية في نفسه ، وتحتل العقيدة والاخلاص لها محل ذلك كله ، وتتميع هذه الامجاد التي يصطنعها الفارغون من الناس ، فيما أحرزوا من نصر وما كسبوا من مجد ،

وما يشير ذلك في حياة الفارغين من الناس من حديث واعجاب ولعظ . . في الايمان بالرسالة والاخلاص للعقيدة ، ويحتل الاهتمام بالرسالة ذاتها محل الاهتمام بالذات وامجادها وينصرف الانسان عن الاهتمام بنفسه الى الاهتمام برسالته وعقيدته ، وهي قفزة جبارة من (الذات) وامجاده وشؤونه الى (الرسالة) واهتماماتها الغالية .

كما يكتسب العمل في هذه الحالة قيمة تختلف كثيرا عما لو كان الجندي يشعر بانه كل شيء في هذه المعركة ، وان ليس من ورائه سبب آخر فيما أحرزه من نصر وكسب من مجد .

فان الجندي يوحى الى نفسه انه أداة لتنفيذ مشيئة الله يشعر في أعماق نفسه بان العدو مهما كان من القوة ومن السلطان لا يمكن ان يقهره بحال ، ولا يمكن ان تتمخض المعركة عن انتصار العدو ما دام هو يشعر بانه أداة لهذه المشيئة الالهية التي لا تقهر والتي لا يعلوه سلطان .

فلا يمكن ان تقهر قوة بشرية منحرفة ، مهما أوتيت من سلطان ارادة الله ومشيتته والاداة المنفذة لهذه المشيئة الالهية العليا ، فليس سواء ارادة الله ومشيتته التي لا تقهر وارادة الانسان ومشيتته ، وليس سواء الاداة الخاضعة لتنفيذ ارادة

والاداة التي تخضع لارادة الطاغوت ومشيتته ، ولا يمكن ان يتخطى النصر الارادة الالهية بحال .

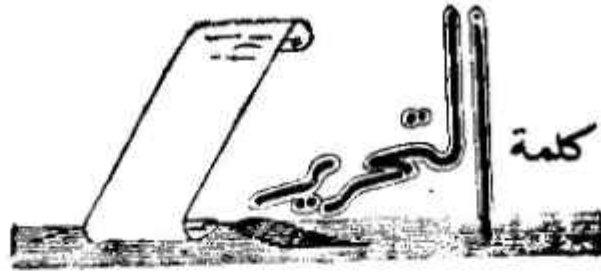
وحتى اذا ما اقتضت حكمة الله ومشيتته ان ينتصر العدو في شوط من المعركة ، فلا يعني ذلك ان العدو يربح المعركة كلها ، فان ارادة الله هي القاهرة ، وهذا الانسان الهزيل الذي تحدثه نفسه بمعاكسة رسالة الله وسلطانه هو المهزوم أخيرا .

وثمة ايحاء نفسي آخر في هذه

التربية لا تقل أهمية عما تقدم ، فان الانسان المسلم حينما يشعر بان الله تعالى شرفه في هذه الدنيا فجعله اداة لتنفيذ ارادته ومشيتته دون هؤلاء الناس كلهم لا يمكن ان يقترب من جريمة او يرتكب موبقة في حياته ، فان الاداة التي شرفها الله تعالى واناط بها خلافته وتنفيذ اوامره لا واناط بها خلافته وتنفيذ ارادته لا

فان الجريمة في هذه الحالة ليست فقط في مخالفة امر الله وارتكاب جريمة ، وانما هناك جريمة أخرى لا تقل عن هذه وهي تدنيس هذه الاداة التي شرفها الله تعالى واناط بها خلافته وتنفيذ اوامره .





هجرة

ولكن

الى الله

محمد عبد الساعدي

- ١ -

كانت الهجرة « امتحانا عمليا » لانصار محمد (ص) المؤمنين بالدعوة
الفتية ، امتحانا لثبات ايمانهم على وعي المسار ، وثبوت حس الفداء لديهم
على مدى المسير ...

كما كانت « اختبارا اجتماعيا » لتثبيت شوكة القاعدة المفتوحة
لِلرسالة المتمثلة (بالمهاجرين) من المسلمين وتأكيدا لسلطان الطاعة
والانقياد للقيادة المعصومة لموكب الرسالة المتمثلة برسول الله محمد (ص)
خصوصا وانها تأتي في اعقاب مؤامرة جاهلية ، اعتمدتها قريش متوسلة
فيها باخلاقية الجاهلية الحانقة ، وشعاراتها الوضيعة في مواجهة تنامي
القاعدة الجديدة واحتضانها للرسالة والرسول .

« ليثبتوك » أو « يقتلوك » أو « يخرجوك » .

كان الامر الذي تمخضت عنه اجتماعات « دار الندوة » في مقدور اهل
القوة والشوكة ، واسياد الجاهلية ، وادوات واقفها فكان الامتحان هو
الرد ، وكان الرد ، هو الهجرة .

« ويمكرون ، ويمكر الله والله خير الماكرين »

- ١٠ -

ولم تكن الهجرة هذه ، هروبا من سطوة طواغيب أو فرارا من اذى جبارين ، اذن لانحدث حادثات ذلك اليوم غير ما اتخذته في الحياة العامة ، لانسان الرسالة ، وعيا ، وتثبيتا ، وتجديدا !

كانت الهجرة (ردا) ولكن ليس في مقابل « تعذيب » أو « تشريد » أو « سطوة » وان بلغت هذه ذروتها من هذا القبيل .

فلقد استعذب انصار الاسلام العذاب في سبيل الله ، واستمروا الحياة في جذب من نظامه واقتدار الى هديه ، وبايعوا الله والرسول على الطاعة في جنب الله ، والشهادة في سبيل اظهار ذلك على الدين كله ولو كره الجاهلون .

انما كانت في تخطيط الله للرسالة وضمن حركة مسار الدعوة المنفذة - وهي تتوسل بالاسباب الاجتماعية والاساليب البشرية التي تتوسل بها الدعوات الاجتماعية اعتياديا - جزءا غير منفصل عن نداء القرآن الكريم بتخطي مرحلة « بناء القاعدة الاولى » والتستر عليها « يا ايها المدثر ، قم فالدر ، والرجس فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر » .

ولكن كان جزءا قويا في مدا ليله ، عميقا في آثاره ، فاعلا في نتائجه .

هجران للرجس ، وفرار الى الله ، وتوسل باسباب جديدة ... هجران واقع ، لا يسمح بعد ، للدعوة والدعاة ، بالحركة ، كما لا تجد الدعوة او يجد الدعاة على ارضه وضمن شروطه العامة مناخا يملا آذانهم بالأذان ، ويفتح عقولهم على اشراط الايمان ، ويمسح عن قلوبهم ما ورنوه من ادران ...

ثم ماذا ؟

التفاف عليه ، بعد ذلك ، من مركز « قوة » بفتح قريب ، ونصر من عند الله .

اسباب للنصر والحركة احببت شروطها عنهم ، وسبل للعمل والنشاط ، اوصدت دونها الابواب ، ومستلزمات « العلن » في الدعوة ، « والظهور » على الدين والفكر كله ... لم تعد لها بعد الآن دار « مكة » مكانا ، ولا للعمل وفق شروطها المعاشة ، محلا ولا مجالا ، في حين ، تهيات

لهم ولدعوتهم المنقذة ، مراكز أقوى ، ومواثيق نصرية وولاء مع اخوان
« انصار » اجتحموا العقبة مبايعين ، والتحموا مع الرسالة مؤمنين ...

كانت البداية ، للرحلة الجديدة .

كيان - في المدينة - يشاد للدعوة ليحمي فكرتها ، وينشر رسالتها ،
كانت هناك دولة محمد (ص) .

انتقلت بها الدعوة ، الى مرحلة فاعلة ، وقوة طلائعية ، الى اداة تبليغ ،
وتحمي ، وتنفذ حيث تهيات للدين الجديد اسباب تطبيقه ، كعقيدة ونظام
ومعسكر يدعو سائر المعسكرات المتصارعة الى كلمة سواء :

« تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، الا نعبد الا الله ، ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » .

ومعسكر يدعو - سائر المعسكرات ، سائر الحكام والملوك - ان
ينضوا تحت سلطانه وان يدخلوا في سلمه وكيانه ليتبها لشعوبهم ،
والضعفاء منهم خاصة - ان يتفيوا وشعوبهم ظلال خيره ويمنه .

« اسلموا تسلموا ، والا فان عليكم اثم الاريسين »

دخل المسلمون والدعوة الجديدة بالهجرة تأريخا جديدا يحمل
معطيات البناء الشامخ للكيان الذي عز المؤمنون به بعد ان كانوا اذلة ،
وكبروا بعد ان كانوا لغيرهم صاغرين ، وتسلموا امامة العالم وزعامته بعد
ان كانوا يضيئون بالكلمة الجامعة ، والتجمع العرقي .

ومن هنا كان هذا اليوم عبدا ، للتاريخ الاسلامي ، واساسا
« لتشخيص » عمرنا الحضاري ، كما كان الاساس « لتسجيل » عمرنا
الزماني .

- ٤ -

وامتنا اليوم التي وجدت في التاريخ الهجري نقطة البداية الرائعة في
مسيرة الامة « الوسط » والرسول « الشاهد » واليوم « الهجرة » الذي
انفتح به تاريخ جديد ، لامة جديدة ، لا يمكن - الا ان تكون في احتضانها
لهذا اليوم واعتماده كمقياس للزمن وتاريخ للافعال والاحداث - عند
واجبها الحضاري وقدرها الرسالي سيما في عصر تواجدت فيه لوعي ذاتها ،
وتوجهت فيه لتسويد مقولات حضارتها .

- ١٢ -

من هنا ندعو سائر المسلمين ان يكتبوا لليوم تاريخا هجريا الى جانب التاريخ الميلادي فان ذلك ادعى لربط حاضرمهم بماضيهم وايقوى لتأكيد ذاتية الفعل التاريخي على مدى الايام .

ذلك ان دلالة تاريخ هذا التاريخ في (مذكرات) يومنا الذي نعيشه استعطافا للذكريات اليوم الذي عاشه اهل هذا التاريخ ، وصانعوه في امسنا .

وان من دلالات هذا اليوم في وعينا ، حيث يرتبط اليوم الحاضر فيه بالبداية التي كانت وراء « الأمس الفابر » منه ، يثر في وعينا حاسية التحرك لاستئناف مسيرة الصانعين الاوائل ، التي قاد فيلقها محمد بن عبدالله (ص) مع رغيل « مهاجر » الى الله ، هجر الجاهلية ، وهجر مصالحتها ، وبايع الله واستهدى قرآنه .

وان من دلالات هذا اليوم في عقيدتنا حيث لا يكون تاريخا « درسته » الايام يتسل به السامرون على موائد التراثية واروقة المكتبات والمتاحف . بل من اجل ان يكون تاريخا « يدرسه » الصانع والقاتحون على مائدة « الإيمان » و « العمل الصالح » لتحكي :-

ان لا مكان للساعة ، واليوم ، والظهر ، والعصر ، والزمان ، لا مكان لها ، من تقديس الامة واحترامها ، ما لم يكن وراءها عمل صالح للذين آمنوا ، ومصابرة منهم في مواجهة تحديات الحياة في ذلك اليوم ، وتواصل منهم - فيه - في ساعته وزمنيته وهو يمر عليهم مسرعا ، ليسلمهم الى يوم آخر - تواصل منهم بالحق وتواصل منهم بالصبر (والعصر ان الانسان لمي حسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصلوا بالحق وتواصلوا بالصبر) .

لتتحرر الفكرة من أسار اليوم والعصر ، وليبق فعلها - ليبق فعلها : على مر العصور ، هو فعل مفاهيمها وهو إيمان الصانعين لها الذين يهاجرون اليها والى الله ويبايعون الله عليها ويهجرون غيرها .

« ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطنًا يفيظ الكفار ولا ينالون من عدوهم نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع أجر المحسنين » (١) .

صدق الله العلي العظيم

(١) التوبة : ١٢٢ .

جمع القرآن

محمد باقر الحكيم

الاستاذ المساعد في علوم القرآن

عرفنا في بحث ثبوت النص القرآني ان القرآن الكريم قد تم جمعه
من الرسول الاعظم (ص) ولكن الرأي السائد في ابحاث علوم القرآن
ان جمعه قد تم في عهد الشيخين وقد عرفنا أيضا سلامة النص القرآني
من دون فرق بين الفرضية الاولى والثانية واشترنا الى بعض الشبهات التي
اثيرت حول الجمع بناء على الفرضية الثانية وناقشناها .

وهناك بعض الشبهات الاخرى تثار حول فرضية الجمع في عهد
الشيخين أيضا نذكر منهما الشبهتين التاليتين . ولعل من الجدير بالذكر
ان هاتين الشبهتين قد اثيرت في الابحاث الاسلامية فضلا عن ابحاث
المستشرقين ومقلديهم من الباحثين .

الشبهة الاولى :

ان بعض النصوص التاريخية المروية عن أهل البيت (ع) وغيرهم

(١) اعتمدنا بصورة رئيسية في هذا البحث على ما كتبه آية الله السيد
الخوئي في البيان ص ١٧٢/١٨١ .

نذكر وجود مصحف خاص لعلي بن أبي طالب (ع) يختلف عن المصحف الموجود المتداول بين المسلمين في الوقت الحاضر . ويشتمل هذا المصحف على زيادات وموضوعات ليست موجودة في المصحف المعروف .

وتحدث هذه النصوص عن مجيء علي بن أبي طالب (ع) بهذا المصحف الى الخليفة الاول ابي بكر بقصد أن يأخذ المصحف المذكور مكانه من التقيّد بين المسلمين . ولكن ابا بكر لم يقبل بذلك ورفض هذا المصحف .

ولما كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة علما ودينا والتزاما بالاسلام وحفاظا عليه . فمن الواضح حينئذ ان يكون المصحف الموجود فعلا قد دخل عليه التحريف والنقصان نتيجة للطريقة الخاطئة التي اتبعت في جمعه والتي عرفنا بعض تفاصيلها .

ومن اجل ايضاح هذه الشبهة يورد انصارها بعض هذه النصوص التاريخية وهي :

- النص الذي جاء في احتجاج علي على جماعة من المهاجرين والانصار : فقال له علي (ع) يا طلحه ان كل آية انزلها الله جل وعلا على محمد عندي باملاء رسول الله وخط يدي . وتأويل كل آية انزلها الله على محمد وكل حرام وحلال أو حد أو حكم أو شيء تحتاج اليه الامة الى يوم القيامة مكتوب باملاء رسول الله (ص) وخط يدي حتى ارش الخدش (٢) .

٢ - النص الذي يتحدث عن احتجاج علي (ع) على الزنديق والذي جاء فيه : انه اتى بالكتاب على الملاء مشتملا على التأويل والتنزيل والمحكم والنشابه والناسخ والمنسوخ لم يسقط منه حرف الف ولا لام فلم

(٢) احتجاج الطبرسي : ٢٢٣/١ .

يقبلوا منه (٣) .

٣ - النص الذي رواه محمد بن يعقوب الكليني في الكافي عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال : ما يستطيع احد ان يدعى ان عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الاوصياء (٤) .

٤ - النص الذي رواه محمد بن يعقوب الكليني أيضا في الكافي عن الباقر (ع) ما ادعى احد من الناس انه جمع القرآن كله كما انزل الأكذاب وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى الا علي بن أبي طالب (ع) والائمة من بعده (ع) .

وتناقض هذه الشبهة : انه قد لا نشك في وجود مصحف لعلي (ع) يختلف مع المصحف الموجود فعلاً من حيث الترتيب بل قد يختلف عنه أيضا لوجود اضافات أخرى فيه .

ولكن الشك في حقيقة هذه الزيادة . اذ لا دليل على انها زيادات قرآنية وانما تفسير هذه الزيادات على انها تأويلات للنص القرآني بمعنى ما يؤول اليه النبي . أو انها تنزيلات من الوحي الالهي نزلت على صدر رسول الله (ص) في تفسير وشرح القرآن وعلمها اخاه علي بن أبي طالب .

ولست كلمتا التأويل والتنزيل تعنيان في ذلك الوقت ما يراد منهما في اصطلاح علماء القرآن ، حيث يقصد من التأويل حمل اللفظ على غير ظاهره والتنزيل خصوص النص القرآني وانما يراد منهما المعنى اللغوي الذي هو في الكلمة الاولى ما يؤول اليه النبي . ومصادقه الخارجي . وفي الثانية ما انزله الله وحيا على نبيه سواء كان قرآنا أو شيئاً آخر .

(٣) تفسير الصافي المقدمة السادسة ص ١١ .

(٤) أصول الكافي ١/ ٢٢٨ .

وعلى أساس هذا التفسير العام للموقف تتضح كثير من الجوانب الأخرى حيث يمكن ان تحمل الروايات التي اشارت لها التشبه على معنى ينسجم مع هذا الموقف أيضا كما فعل العلامة الطباطبائي ذلك في بعض هذه الروايات^(٥) .

وبالإضافة الى ذلك نجد بعض هذه الروايات ضعيفة السند لا يصح الاحتجاج أو الاعتماد عليها في قبال ثبوت النص القرآني .

التشبه الثانية :

ان مجموعة كبيرة من الروايات الواردة من طريق أهل البيت (ع) دلت على وقوع التحريف في القرآن الكريم الأمر الذي يجعلنا نعتقد ان ذلك كان نتيجة للطريقة التي تم بها جمع القرآن الكريم أو لاسباب طارئة أخرى أدت الى هذا التحريف .

وتناقش هذه التشبه : بان الموقف تجاه هذه الروايات المتعددة يتخذ أسلوبين رئيسيين :

الاول : مناقشة امانيه وطرق هذه الروايات فان الكثير منها قد تم أخذه من كتاب أحمد بن محمد الباري الذي تم الاتفاق بين علماء الرجال على فساد مذهبه وانحرافه^(٦) وكتاب علي بن أحمد الكوفي الذي رماه علماء الرجال بالكذب^(٧) .

وبعض هذه الروايات وان كان صحيح السند الا انه لا يشكل قيمة كبيرة وان كان مجموع هذه الروايات قد يوجب حصول الاطمئنان كما يقول السيد الخوئي . يصدر بعضها عن الامام (ع) .

(٥) ن ٢٢٨/١ م ٥٠

(٦) جامع الرواة ٦٧/١

(٧) ن ٥٥٣/١ م ٥٠

الثاني : مناقشة دلالتها على وقوع التحريف في القرآن بمعنى وقوع الزيادة أو النقص فيه .

ومن أجل ان يتضح الأسلوب الثاني من المناقشة يجدر بنا ان نقسم هذه النصوص الى اقسام أربعة تبعاً لاختلافها في المضمون وما تطرحه من دعاوى واحكام .

القسم الاول :

النصوص التي جاء التصريح فيها بوقوع التحريف في القرآن الكريم عن طريق استعمال كلمة التحريف فيها ووصف القرآن بها . ومن هذه النصوص الروايات التالية :

١ - عن ابي ذر قال : لما نزلت هذه الآية (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال رسول الله (ص) : ترد امتي على يوم القيامة على خمس رايات ... ثم ذكر ان رسول الله (ص) يسأل الرايات عما فعلوا بالثقلين فتقول الراية الاولى : اما الاكبر فحرفناه ونبدناه وراه ظهورنا . واما الاصغر فعاديناه وابغضناه وظلمناه . وتقول الرواية الثانية اما الاكبر فحرفناه ومزقناه وخالفناه واما الاصغر فعاديناه وقاتلناه ..

٢ - عن جابر الجعفي عن ابي جعفر (ع) قال : دعا رسول الله (ص) بمنى فقال : ايها الناس اني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسككم بهما لن تضلوا ، كتاب الله وعترتي والكعبة والبيت الحرام ثم قال أبو جعفر (ع) اما كتاب الله فحرفوا ، واما الكعبة فهدموا واما العتره فقتلوا ، وكل ودائع الله قد نبذوا ومنها قد تبرؤا .

٣ - عن علي بن سويد قال كتبت الى ابي الحسن موسى (ع) وهو في الحبس كتابا ... الى ان ذكر جوابه (ع) بتمامه وفيه قوله (ع) :

أوتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه •

٤ - عن عبد الأعلى قال : قال أبو عبدالله (ع) : أصحاب العربية يحرفون كلام الله عز وجل عن مواضعه •

ولا دلالة في هذه الروايات جميعها على وقوع التحريف في القرآن بمعنى الزيادة والنقصان وإنما تدل على وقوع التحريف فيه بمعنى حمل بعض الفاظه على غير معانيها المقصودة لله سبحانه •

ونحن في الوقت الذي لا نشك بوقوع مثل هذا التحريف في القرآن الكريم نظرنا لاختلاف التفسير وتباينها • لا ترى فيه ما يضر عظمة القرآن ويغيد في تأييد هذه الشبهة •

وقد يدل بعضها على تحريف بعض الكلمات القرآنية بمعنى قراءتها بشكل يختلف عن القراءة التي انزلت على صدر رسول الله • وهذا ينسجم مع الرأي الذي ينكر تواتر القراءات السبعة ويرى انها نتيجة لاختلاف الرواية أو الاجتهاد •

القسم الثاني :

الروايات التي تدل على ان القرآن الكريم قد صرح بذكر بعض أسماء أئمة أهل البيت (ع) أو تحدث عن خلافتهم بشكل واضح ومنها النصوص التالية :

١ - عن محمد بن الفضيل عن الحسن (ع) قال : ولاية علي بن أبي طالب مكتوب في جميع صحف الانبياء ولن يبعث رسولا الا بشوة محمد وولاية وصيه صلى الله عليهما وآلهما •

٢ - رواية العياشي عن الصادق (ع) لو قرأ القرآن كما انزل لالفينا مسلمين •

٣ - رواية الكافي والعياشي عن الأصبع بن نباته قال : قال أمير المؤمنين (ع) القرآن نزل على أربعة أرباع : ربع فينا وربع في عدونا ، وربع سنن وامثال ، وربع فرائض واحكام ولنا كرائم القرآن •

والموقف اتجاه هذا القسم من النصوص يتخذ أشكالا ثلاثة :

الاول : اتنا قد ذكرنا سابقا ان بعض التنزيل ليس من القرآن الكريم وانما هو مما اوحى على النبي (ص) ولعل هذا هو المقصود من هذه الروايات حيث جاء ذكرهم في التنزيل تفسيراً لبعض الآيات القرآنية لا جزءاً من القرآن الكريم نفسه •

الثاني : اتنا نكون مضطرين لرفض هذه الروايات ان لم نوفق لتفسيرها بطريقة تسجم مع القول بصيانة القرآن الكريم من التحريف للسببين التاليين :

أ - مخالفة هذه الروايات للمكتاب الكريم • وقد وردت نصوص عديدة من طريق أهل البيت تدل على ضرورة عرض أخبار أهل البيت على القرآن الكريم قبل الاخذ بمضمونها •

ب - مخالفة هذه الروايات للأدلة المتعددة التي تحدثنا عنها في بحث ثبوت النص القرآني •

الثالث : ان هناك نصوص وقرائن تاريخية تدل على عدم ورود أسماء الائمة في القرآن الكريم بشكل صريح •

ومن هذه القرائن حديث الغدير حيث نعرف منه ان الظروف التي أحاطت بقضية الغدير تنفي ان يكون هناك تصريح من القرآن باسم علي (ع) والا فلماذا يحتاج النبي الى التأكيد على بيعة علي ، وحشد هذا الجمع الكبير من المسلمين من أجل ذلك بل لماذا يخشى الرسول الناس في اظهار هذه البيعة بعد ان صرح القرآن بتسميته ومدحه الامر الذي أدى الى ان

يؤكد القرآن الكريم عصمة الله له من الناس ؟ •

ومن هذه القرائن أيضا : ان التاريخ لم يحدثنا ان عليا أو احدا من أصحابه احتج لامامته بذكر القرآن لاسمه •• مع انهم احتجوا على ذلك بأدلة مختلفة • ولا يمكن ان تصور اهمال هذا الدليل لو كان موجودا •

(عن ابي بصير قال سألت أبا عبدالله (ع) عن قول الله عز وجل (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم) فقال : نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين (ع) فقلت له : ان الناس يقولون : فما له لم يسم عليا واهل بيته (ع) في كتاب الله عز وجل ؟ قال : فقال : قولوا لهم : ان رسول الله (ص) نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثا واربعاً حتى كان رسول الله (ص) هو الذي فسر ذلك لهم ، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهما درهم •• الحديث (٨) •

وهذا الحديث يكون موضحاً للمعنى المراد من الاحاديث التي ساقناها الشبهة لانه يقف منها موقف المفسر وينظر الى موضوعها ويوضح عدم ذكر القرآن لاسماء الائمة صريحا •

القسم الثالث :

الروايات التي تدل على وقوع الزيادة والتقصان معا في القرآن الكريم وان طريقة جمع القرآن أدت الى وضع بعض الكلمات الغريبة من القرآن مكان بعض الكلمات القرآنية الاخرى بالنصين التاليين :

١ - عن حريز عن ابي عبدالله (ع) (صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين) •

٢ - عن هشام بن سالم قال سألت أبا عبدالله (ع) عن قوله تعالى : (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران) • قال : هو آل ابراهيم

(٨) الكافي : ٢٨٦/١ - ٢٨٧ •

وآل محمد على العالمين فوضعوا اسما مكان اسم .

وينافس هذا القسم من الروايات بالمنافستين التاليتين :

الاول : ان الامة الاسلامية بمذاهبها المختلفة اجمعت على عدم وقوع التحريف في القرآن الكريم بالزيادة . بالإضافة الى وجود النصوص الكثيرة الدالة على عدم وجود مثل هذا التحريف .

الثانية : ان هذا القسم يتنافى مع الكتاب نفسه . وقد أمر الائمة من أهل البيت (ع) بلزوم عرض أحاديثهم على الكتاب الكريم وان ما خالف الكتاب فيضرب عرض الجدار .

القسم الرابع :

الروايات التي دلت على ان القرآن الكريم قد تعرض للنقصان فقط . مثل ما رواه الكليني في الكافي عن أحمد بن محمد أبي نصر : (قال دفع الى أبي الحسن (ع) مصحفا وقال لا تنظر فيه ففتحه وقرأت فيه لم يكن الدين كفروا ...) فوجدت فيها اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم . قال فبعث الي : ابعت الي بالمصحف^(٩) .

وينافس هذا القسم بان الزيادة الموجودة في مصحف أبي الحسن (ع) أو غيره تحمل على ما سبقت الإشارة اليه من انها في مقام تفسير بعض الآيات . وفي المورد الذي لا يمكن ان يتم فيه مثل هذا الحمل والتفسير لابد من طرح الرواية تمسكا بالكتاب الكريم الذي أمرنا أهل البيت بعرض أحاديثهم عليه قبل الأخذ بمضمونها .

(٩) المصدر السابق : ٦٣١/٢ .

مِنْ دُرُوسِ التَّفْسِيرِ

النظام

محمد بحر العلوم

العصر الثالث ما يتألف منه المجتمع الانساني هو النظام ، وهو الذي يكفل ضبط افراده ، وتسير دفة الحياة فيه من حيث المصالح والمفاسد والمقتضيات النظامية التي تتطلبها مجريات الحركة - الاجتماعية .

والاسلام عالج هذا الجانب كما عالج الجانبين الآخرين : الانسان والمال ، ووضع احكاما وقوانين ، وتشريعات تضمن حقوق الفرد والجماعة في هذا المجتمع ، وتطويره نحو الاحسن ، بحيث يوفر العدالة الاجتماعية ، وكل مبررات الاستمرارية والبقاء .

والله الاحكام هو الله :

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما » .

الآية : ١٠٥

انما امتاز الاسلام بأحكامه على سائر المبادي ذلك لانه واضع أحكامه هو الله سبحانه وهو اعرف بقدرة عباده وامكاناتهم المتوبة وطاقتهم العملية ، فشرع احكاما عادلة لحفظ الكيان البشري ، لم يشاركه في وضعها أحد غيره .

وقال سبحانه عن اختصاصه بالتشريع : ان الحكم الا لله ، أمر الا بعدوا الا اياه .

« ويترتب على كون الحكم لله نتيجتان هامتان :

الاولى : ثبات القوانين الشرعية واستمرارها ، ولو تغير الحكم ،

وليس الامر كذلك في القوانين الوضعية التي يضعها الحكام لحماية المبادئ التي يعتقونها ، وخدمة الانظمة التي يقيمونها ، وهي حين نضع القوانين بين حين وآخر يؤدي الى عدم احترام القانون والثقة به .

والثانية - احترام القوانين الشرعية ، والثقة بها ، لانها من عند الله وهذا الاعتقاد بالذات يحمل على طاعة القوانين الشرعية ، لان الطاعة تقرب من الله ، ولان العصيان يؤدي الى عقوبة الله الدنيوية ، والاخروية - كما قرر القرآن ذلك في مواضع كثيرة فيه - وكل شريعة في العالم تقدر قيمتها بقدر ما لها في نفوس الافراد من طاعة ، واحترام وثقة .

وظاهر الآية الكريمة يشير الى ان القرآن هو الدستور الخالد ليحكم الرسول الاعظم على ضوئه بين الناس في مخاصماتهم ، ومنازعاتهم ، ما يرجع الى الامور القضائية ، ورفع الاختلافات بالحكم .

فاذن ان الله سبحانه مصدر التشريع ، وواضع الاحكام .

النظام الاسلامي قاعدة الحكم الحر :

« يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ، واطيعوا الرسول ، وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » .

الآية : ٥٩

تقرر هذه الآية الشريفة قاعدة النظام الاساسي للحكم في الاسلام ومصدر السلطة والتشريع .

ونستفيد منها أوامر ثلاثة :

أولا - الله سبحانه وتعالى : « اطيعوا الله » وهو أمر بالاطاعة ، لانه سبحانه هو الحاكم المطلق على عباده ، كونهم ، وقدر لهم ، حياتهم ، ووضع

لهم شريعة ، اودعها كتابه المجيد ، اذ هو المصدر الاول للتشريع ، لا يعدل عنه . فان من خصائصه ان يسن الشريعة ، وان يفرض عليهم ما يصلح لشؤون دينهم وآخرتهم .

ثانيا - الرسول الاعظم (ص) : فهو المبلغ للرسالة ، والمبين للامّة احكام الشريعة ومقاصدها التي وردت مجملة في القرآن ، ولهذا فان بيانه ، وفعله ، وتقريره جزء من الشريعة ، واجب الاطاعة والتففيذ ، فهو لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى .

ثالثا - اولى الامر : اي من المؤمنين . الذين يتحقق فيهم شرط الايمان وحد الاسلام . فهؤلاء طاعتهم مفروضة تبعا لطاعة الله ورسوله ، والرجوع اليهم فيما تختلف فيه الامة مما لا نص فيه .

ان الآية تقرر ان احكام المسلمين ، وتشريعاتهم مردودة الى هذه المصادر الثلاثة .

وبهذا يجعل الاسلام كل فرد آمينا على شريعة الله ، وسنة رسوله . آمينا على ايمانه ودينه . آمينا على نفسه وعقله . آمينا على مصيره في الدنيا والآخرة . ولا يجعله في القطيع ، تزجر من هنا أو من هنا فتسمع وتطيع ، فلمنهج واضح ، وحدود الطاعة واضحة والشريعة التي تطاع ، والسنة التي تتبع واحدة لا تعدد ، ولا يتب فيها الفرد بين الظنون .

كل ذلك اذا كان فيه نص صريح . اما اذا لم يكن فيه نص صريح ، وهي كثرة تبعا لمتطلبات الحاجة والمشكلة ، وما اختلفت فيه الاراء والافهام ، وعلى مدى الايام والازمان فالمصدر الذي يلي هذه المصادر هو الاجتهاد .

من هم اولى الامر ؟

قررت الآية الكريمة وجوب طاعة الله ورسوله ، واولى الامر ، واعتبرتهم مصدر التشريع والتقرير ، ومن أجل ان تقف واقفا على المقصود

(بأولي الامر) وتحديد هذا المفهوم ، سوف تعرض لأقوال المفسرين ،
ونضع بعد ذلك المسائل الطبيعية على ما نستنتج من ذلك .

أولا - رأي الرازي :

قال : « اعلم أن قوله (وأولي الامر منكم) يدل عندنا على أن اجتماع
الامة حجة ، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الامر على
سبيل الجزم في هذه الآية ، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع
لا بد وأن يكون معصوما عن الخطأ . إذ لو لم يكن معصوما عن الخطأ كان
بتقدير أقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته ، فيكون ذلك أمرا بفعل
ذلك الخطأ ، والخطأ لكونه خطأ نهى عنه ، فهذا يفضي الى اجتماع الامر
والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد . وانه محال . . فثبت أن الله تعالى
أمر بطاعة أولي الامر على سبيل الجزم ، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته
على سبيل الجزم ، وجب أن يكون معصوما عن الخطأ ، فثبت قطعا أن أولى
الامر المذكور في هذه الآية لا بد وأن يكون معصوما .

ثم نقول : ذلك المعصوم اما مجموع الامة أو بعض الامة ، لا جائز
أن يكون بعض الامة لأننا بينا أن الله تعالى أوجب طاعة أولي الامر في هذه
الآية قطعا ، وإيجاب طاعتهم قطعا مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على
الوصول اليهم ، والاستفادة منهم ، ونحن تعلم بالضرورة أننا في زماننا هذا
عاجزون عن معرفة الامام المعصوم ، عاجزون عن الوصول اليهم عاجزون
عن استفادة الدين والعلم منهم ، وإذا كان الامر كذلك علمنا أن المعصوم
الذي أمر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضا من أبعاد الامة ، ولا طائفة من
طوائفهم ولما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله
(أولي الامر) اهل البعل والعقد من الامة وذلك يوجب القطع بأن اجتماع
الامة حجة ، (١) .

(١) تفسير الرازي : ١٠/١٤٤ .

لانيا - رأي الشيخ محمد عبده :

قال : « ان المراد بأولى الامر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين ، وهم الامراء والحكام ، والعلماء ، ورؤساء الجند ، وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع اليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة فهؤلاء اذا انفقوا على أمر أو حكم وجب ان يطاعوا فيه بشرط ان يكونوا منا ، وان لا يخالفوا أمر الله ، ولا سنة رسوله (ص) التي عرفت بالتواتر ، وأن يكونوا مختارين في بحثهم في الامر واتفاقهم عليه ، وأن يكون ما يتفقوا عليه من المصالح العامة ، وهو ما لأولي الامر سلطة فيه ، ووقوف عليه » (٢) .

لالتا - رأي الشيخ الطوسي :

• روى أصحابنا عن أبي جعفر ، وأبي عبدالله (ع) ان المقصود بأولي الامر هم الائمة من آل محمد (ص) فلذلك أوجب الله تعالى طاعتهم بالأطلاق ، كما أوجب طاعة رسوله ، وطاعة نفسه كذلك - ولا يجوز ايجاب طاعة أحد مطلقا الا من كان معصوما مأموما منه السهو والغلط وليس فلك بحاصل في الامراء والعلماء ، وانما هو واجب في الائمة الذين دلت الأدلة على عصمتهم وطهارتهم » (٣) .

(٢) المنار : ٥/١٨١ .

(٣) التبيان : ٣/٢٣٦ .

وقال الشيخ الطوسي : (فاما من قال المراد به العلماء فقط ، فقوله بعيد ، لان قوله : « وأولي الامر » معناه اطيعوا من له الامر ، وليس ذلك للعلماء ، فان قالوا : يجب علينا طاعتهم اذا كانوا محقين فاذا عدلوا عن الحق فلا طاعة لهم علينا .

قلنا : هذا تخصيص لعموم ايجاب الطاعة لم يدل عليه دليل . وحمل الآية على العموم فيمن يصح ذلك فيه أول من تخصيص الطاعة بشيء دون شيء ، كما لا يجوز تخصيص وجوب طاعة الرسول وطاعة الله في شيء دون شيء . راجع : (التبيان : ٣/٢٣٦) .

رابعاً - رأي السيد الطباطبائي ؛

لا ينبغي ان يرتاب في ان الله سبحانه لا يريد باطاعته الا اطاعة في ما يوحيه البنا من طريق رسوله من المعارف والشرائع . واما رسوله فله حيثان .

احدهما : حيثية التشريع بما يوحيه اليه ربه من غير كتاب ، وهو ما يبينه للناس من تفاصيل ما يشتمل على الكتاب ، وما يتعلق ويرتبط بها ، كما قال تعالى :

« وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » (٤) .

ثانيهما - ما يراه من صواب الرأي ، وهو الذي يرتبط بولايته : الحكومة والقضاء قال تعالى : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيماً » (٥) .

واذا كان كذلك فان اطاعة الله ، واطاعة الرسول واحدة في الحقيقة ، لان الله هو المشرع لوجوب اطاعته ، كما قال : « وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله » (٦) وصريح الآية يقرر على الناس ان يطيعوا الرسول فيما يبينه بالوحي ، وفيما يراه من الوحي .

وأما اولوا الامر فهم لا نصيب لهم من الوحي ، وانما شأنهم الرأي الذي يستصوبونه ، فلهم افتراض الطاعة نظير ما للرسول في رأيهم وقولهم ، بدليل قوله تعالى - عند التنازع الرد الى الله والرسول ، ولم يكن هناك قسم ثالث - « فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » .

(٤) النحل : ٤٤ .

(٥) النساء : ١٠٥ - ١٢٢ .

(٦) الاحزاب : ٣٦ .

ومن هذه الفقرة الكريمة يظهر أن ليس لأولي الأمر ، ان يضعوا حكما جديدا ، ولا ينسخوا حكما ثانيا في الكتاب والسنة ، والا لم يكن لوجوب ارجاع موارد التنازع الى الكتاب والسنة ، والرد الى الله والرسول معنى . وقد نص الكتاب الكريم على ذلك صريحا بقوله تعالى : (وما كان يؤمن ، ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلّالا مبينا)^(٧) .

واذا لم يكن لأولي الأمر الخيرة في التشريع ، ولا الاستقلال في الحكم لم يذكرهم الله سبحانه ثانيا عند ذكر الرد بقوله : (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) الى ان لله تعالى (اطاعة واحدة ، وللرسول ، وأولي الأمر اطاعة واحدة) .

ولا ينبغي الارتياح في ان هذه الاطاعة المأمور بها في قوله : اطيعوا الله واطيعوا الرسول ، اطاعة مطلقة غير مشروطة بشرط ، ولا مقيدة بقيد ، وهو الدليل على أن الرسول لا يأمر بشئ يخالف حكم الله في الواقعة ، والا كان فرض طاعته تناقضا منه تعالى ، وتعالى الله عن ذلك ، ولذا فلا يتم الأمر فيه الا بقطعه .

واذا تم لدينا ضرورة عصمة الرسول ، فلا بد ان يكون الأمر كذلك في أولي الأولى ، لأن الآية الشريفة فرضت طاعتهم ، جمعتها مع طاعة الرسول ، ولا يجوز على الرسول ان يأمر بمعصية أو يفلط في حكم ، فلو جاز شئ من ذلك على أولي الأمر لم يسمح الله سبحانه الا ان يذكر القيد الوارد عليهم فلا مناص من أخذ الآية مطلقة من غير قيد ولازمه اعتبار العصمة في جانب أولي الأمر ، كما اعتبر في جانب الرسول (ص) من غير فرق^(٨) .

(٧) الاحزاب : ٣٦ .

(٨) بتلخيص الميزان ٤١٢ - ٤١٧ / ١ .

الموازنة :

بعد عرض هذه الآراء تنتهي الى ما يلي :

أولاً - ان (أولي الامر) اشترط فيهم العصمة ، حتى يمكن عطفهم على الرسول الاعظم في الاطاعة فلا يجوز منهم حكم ، ولا ينفذ لهم قول (اذا لم يكونوا معصومين . لقول الرسول عليه الصلاة والسلام « لا طاعة لخلق في معصية خالق » ^(٩) .

ثانياً - ان الرازي قد اشترط في تحديده لأولي الامر العصمة أيضاً ، ولكن ادعى العجز عن الوصول الى المعصومين لانهم ليسوا بعضاً من ابعاض الامة ، ولا طائفة من طوائفهم ، ولما بطل هذا وجب ان يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله : وأولي الامر أهل الحل والعقد من الامة . وذلك يوجب القطع بان اجماع الامة حجة .

ونقاشنا مع الرازي ينحصر بما يلي :-

أولاً - العجز عن الوصول الى معرفة آراء المعصومين . وهذا ما يكذبه الوجدان فان الادلة متوفرة على معرفتهم ، وامكان الوصول الى ما يأتون به من أحكام بواسطة روايتهم الموثوقين .

ثانياً - ان اجماع أهل الحل والعقد هو نفسه مما يحتاج الى معرفة ، وربما كانت معرفته أشق من معرفة فرد أو أفراد لاحتياجها الى استيعاب جميع المجتهدين ، وليس من السهل استقراؤهم جميعاً ، والاطلاع على آرائهم ، وعلى مناه يلزم تقييد وجوب الاطاعة بمعرفتهم ، ويعسر تحصيل هذا الشرط .

ثالثاً - ان استفادة الاجماع من كلمة (أولي الامر) مبنية على ارادة

(٩) نفس المصدر : ٤/٤١٥ .

العموم المجموعي منها ، وحملها على ذلك خلاف الظاهر ، لان الظاهر من هذا النوع من العموميات هو العموم الاستغراقي المنحل في واقعة الى أحكام متعددة بتعدد افرادة ، ومن استعرض احكام الشارع التي استعمل فيها العموميات الاستغرافية ، يجدها مستوعبة لاكثر احكامه وما كان منها من قبيل العموم المجموعي نادراً نسبياً ، فاقول الشارع : اعطوا زكواتكم الاولى الفقير والمسكنة - مثلاً - فهل معنى ذلك لزوم اعطائهم لهم مجتمعين ، واعطاء الزكوات مجتمعة ام ماذا ؟ وعلى هذا فحمل (أولوا الامر) في الآية على العموم المجموعي حمل على الفرد النادر من دون قرينة ملزمة ، وما ذكره من القرينة لا تصلح لذلك ما دام أهل الاجماع انفسهم مما يحتاجون الى المعرفة كالائمة ، ومعرفة واحد ، أو آحاد أيسر بكثير من معرفة مجموع المجتهدين ، وبخاصة بعد توفر وسائل معرفتهم ، واخذ الاحكام عنهم (١٠) .

ثالثاً - ان ما ذهب اليه الشيخ محمد عبده من استعراض الطاعة للعلماء ، وامراء السرايا والحكام ، والزعماء ، وأمثالهم لا دليل يدل عليه ، ولو كان سبحانه وتعالى مراده ذلك لنبه عليه ، ولو بالاشارة ، في حين ان الاعم يؤكدون على ان اولى الامر لا بد ان يكونوا معصومين . بالاضافة الى ان هؤلاء فيهم الظالم والفاسق ، والمسرف وغير ذلك والقرآن الكريم مملوء من النهي عن طاعة الظالمين ، والمسرفين ، والكافرين ، ومن امثالهم ومن المحال ان يأمر الله بطاعتهم ، وهم على هذا الحال ، ثم يزيد على ذلك فيقرن طاعتهم بطاعة نفسه ورسوله ، ولو فرض كون هذه الطاعة تقية ، لعبع عنها ، وذكرها بلون من ألوان البيان كما قال تعالى : « الا أن تقوا منهم تقاة » (١١) لا الامر بطاعتهم صريحاً حتى يستلزم المحاذير ، والمشاكل

(١٠) لزيادة الاطلاع يراجع كتاب (الاصول العامة للفقه المقارن

- لاستاذنا الحجة محمد تقى الحكيم : ١٥٩ - ١٧٤ .

(١١) آل عمران : ٢٨ .

المثربة على ذلك •

رابعا - روى شيخنا الطوسي ان المقصود بأولي الامر هم ائمتنا من آل البيت عليهم السلام ، لعصمتهم عن الخطأ والجهل دليلنا على ذلك :

١ - من الكتاب :

لقد استدل القائلون بعصمة آل البيت (ع) من الكتاب الكريم بآية التطهير ، قوله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)^(١) •

وتقريب الاستدلال بها على عصمة أهل البيت ما ورد فيها من حصر ارادة اذهاب الرجس - أي الذنوب - عنهم بكلمة (انما) وهي من أقوى أدوات الحصر ، واستحالة تخلف المرام عن الارادة بالنسبة له تعالى من البديهيات ، لمن آمن بالله عز وجل (انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون)^(٢) ومعنى العصمة استحالة صدور الذنب عن صاحبها عادة •

ثم نتساءل من المقصود بال البيت (ع) ؟

« أخرج الترمذي ، وصححه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والحاكم وصححه وابن مردويه ، واليهقي في سننه من طرق عن ام سلمة (رض) قالت : في بيتي نزلت (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وفي البيت فاطمة ، وعلي ، والحسن ، والحسين فجعلهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه ، ثم قال : (هؤلاء أهل بيتي ، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)^(٣) •

(١) الاحزاب : ٣٣ •

(٢) يسن : ٨٣ •

(٣) تفسير الدر المنثور - للسيوطي : ٥/١٩٨ •

وفي رواية أم سلمة الأخرى ، وهي صحيحة كما يرى البخاري :
 في بيتي نزلت : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) فأرسل
 رسول الله الى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال : هؤلاء أهل
 بيتي ^(١) .

وروت عائشة قالت : (خرج النبي (ص) غداة وعليه مرط مطر
 من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ،
 ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال : (انما يريد الله
 ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) ^(٢) .

ولقد اثبت حول هذه الآية شبهة بان المراد من أهل البيت ، هم
 نساء النبي ، روى يحيى بن واضح ، قال : أخبرنا الأصمعي ، عن علقمة ،
 عن عكرمة في قوله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
 البيت - قال : ليس الذين يذهبون اليه انما هي أزواج النبي عليه الصلاة
 والسلام : قال : وكان عكرمة ينادي هذا في السوق ^(٣) .

ولم يكف عكرمة بالمناداة في السوق بان هذه الآية نزلت في أزواج
 النبي بل كان يعلن ذلك في كل مناسبة قوله : (من شاء بهلته انما نزلت
 في أزواج النبي (ص) ^(٤) .

ومرة أخرى يرد على غيره في هذا الشأن (ليس بالذي تذهبون اليه
 انما هو نساء النبي (ص) ^(٥) .

ولا بد ان تتسلط عن دوافع عكرمة لهذه الحملة في تركيز نزول

(١) المستدرک - للحاكم النيسابوري : ٣/١٤٦ .

(٢) صحيح مسلم : ٧/١٣٠ .

(٣) أسباب النزول - للواحدي : ٢٠٤ .

(٤) الدر المنثور : ٥/١٩٨ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

هذه الآية في حق أزواج النبي (ص) ، وليس في حق علي (ع) وفاطمة ،
والحسين (ع) . وإبعادهما عنهم .

أولا - من رجع الى ترجمة عكرمة يراها تنص على انه اعتنق مذهب
الخوارج وخاصة رأي نجدة الحروري^(١) (وموقف الخوارج من الامام
علي (ع) وأهل بيته معروف فهو يختلف من الامام علي (ع) عقائديا ، واذا
وافق والتزم بان هذه الآية نزلت في حق علي وأهل بيته ، لكان عليه القول
بعصمته ، ولاهار على نفسه أسس عقيدته التي سوغت لهم الخروج عليه
ومقاتلته ، وبورت لهم قلة^(٢) .

ثانيا - ان مصادر الجرح والتعديل تصف عكرمة بالكذب
والوضع ، منها :

آ - عن عبدالله بن الحارث قال : دخلت على علي بن عبدالله بن
العباس فاذا عكرمة في وثاق فقلت : ألا تتقي الله ؟ فقال : ان هذا الخبيث
يكذب على ابي ونقل مثل هذا عن علي بن عبدالله بن مسعود .

ب - عن سعيد بن المسيب : انه قال لمولى له اسمه برد : لا تكذب
علي كما كذب عكرمة على ابن عباس .

ج - وعن ابن عمر انه قال ذلك أيضا لمولاه نافع .

د - وقال أحمد بن حنبل : ما علمت ان مالكا حدث بشيء لعكرمة .
ثالثا - وهناك روايات تدل على سقوط عكرمة .

آ - روى الفضل السيناني عن رجل ، قال : رأيت عكرمة قد أقيم

(١) وفيات الاعيان : ١/٣٢٠ .

(٢) راجع الاقوال في الادعاء بان حن الوارج . ميزان الاعتدال
للذهبي : ٩٥ - ٣/٩٦ ووفيات الاعيان - لابن خلكان : ١/٣٢٠ ومعجم
الادباء - لياقوت : ١٨٣ - ١٢/١٩٠ .

قالنا في لعب الرد •

ب - روى يزيد بن هارون ، قدم عكرمة البصرة ، فأتاه أيوب ويونس وسليمان التيمي فسمع صوت غناء ، فقال : اسكتوا ، ثم قال : قاتله الله ، لقد اجاد • فاما يونس وسليمان فما عادا اليه^(١) •

وهناك أحاديث كثيرة كلها تدل على سقوط عكرمة ، وعدم الأخذ بقوله للملابسات التي تحيطه •

ولقد أخرج الامام أحمد عن انس بن مالك ، ان النبي (ص) كان يمر بيت فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى الفجر : الصلاة يا أهل البيت ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا^(٢) واخرجه الحاكم وصححه والترمذي وحسنه وابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والطبراني وغيرهم^(٣) •

وفي رواية ابن عباس ، قال : شهدنا رسول الله تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب (ع) عند وقت كل صلاة ، فيقول : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ، (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)^(٤) •

واذا وازنا بين ادعاء عكرمة الخارجي العقيدة والكذاب بانها نزلت في نساء النبي وبين رواية ابن عباس ، وانس بن مالك وغيرهما في انها نزلت في حق علي وأهل بيته ، فلمن سيكون الرجحان يا ترى ؟

(١) راجع هذه الاحداث وغيرها : ميزان الاعتدال ٩٣ - ٩٧/٣

ووفيات الاعيان : ١/٣٣٠ ومعجم الادباء : ١٨٣ - ١٢/١٩٠ •

(٢) مسند الامام أحمد : ٣/٢٥٩ •

(٣) الكلمة الغراء - للمرحوم شرف الدين : ٢٠٩/هامش ١٦ طبع

مع الفصول المهمة - للمؤلف نفسه / ط النجف •

(٤) الدر المنثور : ٥/١٩٩ •

من هذا كله ننتهي ان الرسول الاعظم (ص) في محاولته هذه يقصد اثبات العصمة لعلي وولديه ، وما يلزم ذلك من لزوم الرجوع اليهم ، والتأثر والتأسي بهم في أخذ الاحكام^(١) .

٢ - من السنة :

كما استدل القائلون بعصمة أهل البيت (ع) بحديث الثقلين ، وهو : في رواية ابي سعيد الخدري : قال رسول الله (ص) : « اني اوشك ان ادعى فأجيب ، واني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عز وجل ، وعترتي ، كتاب الله جبل معدود من السماء الى الارض ، وعترتي أهل بيتي ، وان اللطيف أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما »^(٢) .

وقد نستفيد من هذا الحديث عدة أمور فمعرضها بإيجاز :

١ - دلالة على عصمة أهل البيت :

أ - لافترائهم بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، وتصريحه بعدم افتراقهم عنه ، ومن البديهي ان صدور آية مخالفة للشرعية سواء كانت عن عمد ام سهو ، ام غفلة ، تعتبر افتراقا عن القرآن في هذا المجال .

ب - ولانه اعتبر التمسك بهم عاصمة عن الضلالة دائما وأبدا ، كما هو مقتضى ما تفيد كلمة لن التأبدية .

ج - على ان تجوز الافتراق عليهم بمخالفة الكتاب ، وصدور الذنب

(١) الاصول العامة : ١٥٩ .

(٢) أصدرت دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في مصر رسالة ضافية اسمتها (حديث الثقلين) تتضمن أسانيد الحديث هذا المعتبرة في الكتب المعتمدة لدى أهل السنة .

منهم تجوز للكذب على الرسول (ص) الذي أخبر عن الله عز وجل بعدم وقوع افتراقهما ، وتجوز الكذب عليه متعمدا في مقام التبليغ ، والاخبار عن الله في الأحكام ، وما يرجع اليها من موضوعاتها وعللها مناف لافتراض العصية في التبليغ ، وهي مما أجمعت عليها كلمة المسلمين على الإطلاق ، حتى نفاة العصية عنه بقول مطلق .

٢ - لزوم التمسك بهما معا لا بواحد منهما معا من الضلالة ، لقوله (ص) فيه ، ما ان تمسكن بهما لن تضلوا ، وبقوله ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما . . . وبالطبع ان معنى التمسك بالقرآن ، هو الاخذ بتعاليمه ، والسير على وفقها ، وهو نفسه معنى التمسك بأهل البيت عدل القرآن .

٣ - بقاء العترة الى جنب الكتاب الى يوم القيامة ، أي لا يخلو منهما زمان من الازمنة ما دام ان يفرقا حتى يرثا عليه الحوض ، وهي كناية عن بقائهما الى يوم القيامة يقول ابن حجر : (وفي أحاديث الحديث على التمسك بأهل البيت اشارة على عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به الى يوم القيامة ، كما ان الكتاب العزيز كذلك ، ولهذا كانوا ائمة لاهل الارض كما يأتي ، ويشهد لذلك الخبر السابق ، في كل خلف من أمي عدول من أهل بيتي)^(١) .

٤ - دلالة على تميزهم بالعلم بكل ما يتصل بالشرعية وغيره كما يدل على ذلك اقترانهم بالكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ولقوله (ص) : ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم . يقول ابن حجر : سمي رسول الله (ص) القرآن وعثرته - الاهل والنسل ، والرهط الادنون الثقيل لان الثقل كل نفس خطير مصون ، وهذان كذلك اذ كل منهما معدن العلوم الدنية ، والاسرار والحكم العلية ، والاحكام الشرعية .

(١) الصواعق المحرقة : ١٤٩ .

ولذا حث (ص) على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم ، وقال :
الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت (١١) .

واخيرا ما عدد ائمة آل البيت ؟

ان حديث الثقلين نستفيد منه قرن أهل بيت النبي بالكتاب الكريم ،
وجعلهم عدلا ، ويفيدنا ابن حجر بان الرسول الاعظم قال في مرض
موته : (ايها الناس يوشك ان اقبض قبضا سريعا فينطلق بي ، وقد قدمت
اليكم القول معذرة اليكم ، الا اني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل ،
وعترتي أهل بيتي ، ثم أخذ بيد علي فرفعها ، فقال : هذا علي مع القرآن ،
والقرآن مع علي ، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألهما ما خلفت
فيهما) (١٢) .

• وروى البخاري : عن جابر بن سمرة ، قال : سمعت النبي (ص)
يقول : يكون اثنا عشر اميرا ، فقال كلمة لم اسمعها ، فقال أبي : انه قال :
كلهم من قريش (١٣) .

وفي صحيح مسلم بسنده عن النبي (ص) : لا يزال الدين قائما حتى
تقوم الساعة ويكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش (١٤) .
• وروى أحمد بن مسروق ، قال : كنا جلوسا عند عبدالله بن مسعود ،
وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول
الله (ص) كم يملك هذه الامة من خليفة ؟ فقال عبدالله : ما سألتني عنها أحد
منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم ، ولقد سألتنا رسول الله ، فقال :
اثني عشر كعدة نقيب بني اسرائيل (١٥) .

(١) لزيادة الاطلاع راجع الاصول العامة : ١٦٤ - ١٧٤ .

(٢) مستدرک الحاكم : ٣/١٠٩ .

(٣) البخاري : ٩/٨١ .

(٤) صحيح مسلم : ٣ - ٦/٤ .

(٥) دلائل الصدق : ٢/٣١٦ عن مسند أحمد وغيره .

ومثل هذه الأحاديث كثيرة في سنن أبي داود ، وصحيح مسلم ،
ومستند أحمد وغيرهم وإذا استقينا من هذه الأحاديث القول بأن عدد الخلفاء
اثنا عشر ، فهذا لا يتم إلا على رأي الإمامية في عدد الأئمة وبقائهم وكونهم
من المنصوص عليهم من قبله (ص) وهي منسجمة جدا مع حديث الثقلين
وبقائهما حتى يرثاهما عليه الحوض^(١) .

« فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول » .

وهذا تفريع على الاطاعة . فمعنى الرد الى الله هو الى الكتاب ، والرد
الى رسوله هو الى السنة والرد الى الأئمة يجري مجرى الرد على الرسول ،
ولذلك قل سبحانه في آية أخرى : (ولو ردوه الى الرسول وإلى أولى
الأمر منهم لعلمه)^(٢) .

« ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر .. »

تشديد في الحكم ، وإشارة الى أن مخالفته انما تنشأ من فساد في
مرحلة الايمان ، فالحكم يرتبط به ارتباطا ، والمخالفة تكشف عن التظاهر
بصفة الايمان بالله وبرسالته واستبطان للكفر ، وهو النفاق .. ولهذا
فسبحانه يصارحهم بأن يردوا الاحكام الى الله والرسول ان كانوا مؤمنين
معتقدين بالله ، والحساب ، واليوم الآخر .

« ذلك خير وأحسن تأويلا .. »

إشارة الى ان الرد الى الله والى الرسول ، أحسن من تأويل الانسان
من غير رد الى كتاب الله وسنة رسوله ، والأئمة المعصومين . فان تأويل
الانسان لا يستند الى حجة ، في حين ان هؤلاء في انفسهم حجة .

(١) لزيادة الاطلاع راجع الاصول العامة : ١٧٤ - ١٨٧ .

(٢) النساء : ٨٢ .

الطبعة وحقيق
المقاصد والأهداف القرآنية
كامل الزبيدي

مدرس اللغة العربية في كليتي
الشريعة والتربية بمكة المكرمة سابقا

اثبات الخالق :

وعبرون عن ذلك احيانا « بآيات الصانع » أو « الدلالة على الصانع » وهذا ما درج عليه أكثر المفسرين ، وبخاصة الفخر الرازي في تفسيره الكبير ، اذ هو يكثر من ترديد لفظة « الصانع » .

وقد اهم المفسرين ربط الآيات القرآنية التي تصف الطبيعة ، بمسألة « وجود الخالق » سبحانه ، كما اهمهم ربطها ببقية المقاصد والاعراض القرآنية . فهم يرون ان القرآن انزل لمثل هذه المقاصد والاعراض . وقد اشار الى ذلك الرازي بقوله : « ومن الناس من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث ، وكل محدث فله محدث . فحصل له بهذا الطريق ، اثبات الصانع تعالى ، وصار من زمرة المستدلين ومنهم من ضم الى تلك الدرجة ، البحث عن أحوال العالم العلوي والعالم السفلي ، على سبيل التفصيل ، فيظهر له في كل نوع من أنواع هذا العالم حكمة بالغة ، وأسرار عجيبة ، فيصير ذلك جاريا مجرى البراهين المتواترة ، والدلائل المتوالية على عقله . فلا يزال يتقل كل لحظة ولمحة ، من برهان الى آخر ، ومن دليل الى دليل آخر ، فلكثرة الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين . وإزالة الشبهات . فاذا كان الامر كذلك ، ظهر انه تعالى انما انزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والاسرار ، لا لتكثير النحو الغريب والاشتقاقات المخالفة من

الفوائد والحكايات الفاسدة ، (١) .

وهكذا نرى ان الرازي رحمه الله ، كان يرى ان القرآن ، انما انزل لاغراض سامية ومقاصد عالية ، في جعلها اثبات الخالق سبحانه ، وانه كان يعمى على اولئك المفسرين الذين يعنون بمسائل النحو والصرف حسب ، غفلتهم عن هذه الاغراض القرآنية الخطيرة .

وقال الاستاذ الامام محمد عبده : « للاسلام في الحقيقة دعوتان - دعوة الى الاعتقاد بوجود الخالق وتوحيده ، ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فاما الدعوة الاولى فلم يعول فيها الا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه الى النظر في الكون ، واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ما حواه الكون من النظام والترتيب وتعاقب الاسباب والمسببات ، ليصل بذلك الى ان للكون صناعا واجب الوجود ، علما حكيما قادرا ، وان ذلك الصانع واحد لوحدة النظام في الكون واطلق للعقل البشري ان يعجز في سبيله الذي سته له الفطرة بدون تقييد .

فنبهه الى ان خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ، وتحريك الرياح على وجه يتيسر للبشر ان يستعملها في تسخير الفلك لمنافعه ... كل ذلك من آيات الله ، عليه ان يتدبر فيها ليصل الى معرفته ، (٢) .

والواقع ان الاستدلال بعناصر الطبيعة وظواهرها ، على وجود الخالق سبحانه ، لم يكن لهذا الغرض حسب ، وانما كان يقترن ببيان النعم الالهية في الطبيعة ، وجدواها لبني الانسان . ذلك ان هذه العناصر ، كما انها

(١) الرازي : مفاتيح الغيب : ٢٣٠/٤ .

(٢) محمد عبده : الاسلام والنصرانية بين العلم والمدنية . ص ٤٩

ط ٣ . مطبعة المنار .

دلائل اثبات الحقائق الالهية ، وغيرها من الحقائق القرآنية ، فهي أيضا دلائل على الانعام الرباني ، والرزق الالهي .

وقد قسم الرازي الاستدلال على الخلق في كتاب الله ، الى أقسام ثلاثة :

الاول : الاستدلال بإمكان الصفات « كخلق السموات والارض » .

الثاني : الاستدلال بحدوث الاجسام كقول ابراهيم عليه السلام « لا أحب الآفلين » في ابطال الوهية الكواكب ، وتوجيه الفكر الى الخالق الواحد ، وقد بيناه في الباب الاول .

الثالث : الاستدلال بحدوث الاعراض ، وجعلها محصورة في أمرين : دلائل الانفس ، ودلائل الآفاق (٣) .

(١) فاذا قرأنا القرآن الكريم ، تبين لنا ان الاحتجاج بخلق السموات والارض على اثبات الخالق يتكرر في مواضع عديدة منه ، فالقرآن يصد الى تبيين الحواس ، واحياء المشاعر ، وفتح العيون والقلوب الى ما في هذا الكون العظيم من غرائب ، تلك التي افقدتها الالفه غرابتها . فالقرآن اذ يلفت النظر الى السموات والارض وتكوينهما ، فانما يوجه الحس والفكر الى أضخم ما يترامى في هذا الكون العريض . فهو يلفت النظر الى السموات بنجومها وكواكبها وأفلاكها ، وإلى هذا التناسق العجيب الذي يربطها جميعا ، ويلفها جميعا ، وإلى هذا الفضاء الهائل الذي تسبح فيه تلك العناصر الضخمة ، من غير ان يصيبها اختلال ، أو يعتورها انحلال .

هذه الضخامة الحسية ، وهذا التناسق الاخاذ ، ينبغي ان يلفتنا الانسان ويدعوا الى التأمل الشفاف الواعي ، الى ما وراءهما من قدرة كامنة وعظمة مستترة . هذه المشاهد التي في السموات والارض كادت الالفه ان تذهب

(٣) الرازي : مفاتيح الغيب .

برونقها في النفوس ، وان تزيل تأثيرها في العقول ، لولا ان القرآن راح يعرضها مرات عديدة ، على تلك النفوس والعقول ، بذلك الاسلوب الاخاذ ، والبيان الناصع ، ليحمل الانسان على التأمل فيها من جديد ، وليعيد طراوتها في الاذهان ، فكأنها ترى لأول وهلة .

وهو أيضا يلفت النظر الى هذه الارض الممتدة الفسيحة ، التي هي - مع تكويرها في الحقيقة - تبدو منبسطة أمام العين ، وقد ازدحمت بالنعم المتوافرة ، من أنهار جارية ، وأشجار مثمرة وزروع نضرة ، وجبال شامخة راسية ، وبحار واسعة مترامية ، ورفق في اجوائها طيور مفردة ، وداعب النسيم ما عليها من زينة ، فبدت كأنها عروس تختال في حللها ليلة زفافها . هذه وتلك آيات من آيات الله المنظورة ، المعروضة على الحس والفكر ، وعلى الوجدان والعقل .

فالقرآن يقول : الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ^(٤) .

قل الرازي : . . . اعلم ان المقصود من هذه الآية : ذكر الدلالة على وجود الصانع وتقريره ، ان اجرام السموات والارض تقدرت في أمور مخصوصة ، بمقادير مخصوصة ، وذلك لا يمكن حصوله الا بتخصيص الفاعل المختار ^(٥) . ثم بين بعد ذلك وجوها في دلالة ما في السموات والارض على وجود الله سبحانه ، اظهرها :

(١) تقدير هذه الاجرام بمقادير معينة ، لا زيادة فيها ولا نقصان .

(٢) ترتيب اجزائها ترتيبا معينا ، بحيث لا يكون الداخل منها خارجا ، والخارج منها داخلا .

(٤) الانعام : ١ .

(٥) الرازي : مفاتيح الغيب ، ٦/٤ .

- (٣) اختصاص الجسم الفلكي بالحركة دون السكون .
- (٤) تقدير حركتها تقديرا خاصا لا تزيد عليه ولا تنقص .
- (٥) توجيه حركتها توجيها معينا ، دون سائر الجهات .
- (٦) وقوع كل منها في حيز معين من الفضاء^(٦) .

وكان أبو الشيخ قد اخرج عن مجاهد أن « قوله تعالى ، خلق السموات والارض » رد على الذين زعموا ان الظلمة والنور هما المديران^(٧) .

وقد بين القرآن ، اثباتا لوجود الله ، ان خلق السموات والارض لم يكن لهما ولما ، وانما كان خلقهما وايجادهما ملتبسا بالحق الذي ينبغي ان يوحى بوجود الله ، وبقدرته التي تكمن في هذا الخلق الضخم العجيب .
فالقرآن يقول : « حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما انذروا معرضون »^(٨) .

قال البيضاوي : « الا خلقا ملتبسا بالحق ، وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة ، وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم ، والبعث للمجازاة ، على ما قرناه مرارا »^(٩) .

وقد كرر القرآن الحديث عن خلق السموات والارض ، والحق الذي قارن خلقهما ، قين في بعض آياته ، ان ما في السموات والارض من آيات وبيئات ، كاف للانباء بوجود اله قادر حكيم ، وان التأمل في هذه

(٦) الرازي : مفاتيح الغيب ٦/٤ - ٧ .

(٧) تفسير المنار : ٢٩٥/٧ ط ١ .

(٨) الاحقاف : ١-٣ .

(٩) تفسير البيضاوي : ٤٢٦/٢ ط سنة ١٢٨٥ هـ .

الآيات عن ادراك ووعي ، ليقود الانسان ، الى الايمان بالله ، ويوحى له بوجوده .

وهو اذ اظهر هذه الحقيقة ، فقد جعلها مسألة في غاية السمو
الفكري ، والتبسط النفسي فيبين ان في خلق هذه الاجرام البعيدة الضخمة ،
المتناثرة في أجواء السماء ، لعلامات لاولي الالباب ، اولئك الذين لا يقفون
من الطبيعة وعناصرها موقفا سلبيا لا حياة فيه ولا روح ، وانما هم يستجيبون
لداعيتها الذي يسحر القلوب ، وينسجمون واياها في تأمل واسع وديع ،
فيستقبلون مؤثراتها استقبالا حماسيا ، يوحى بمقدار ما في نفوسهم من
حياة ، وما في عقولهم من ادراك . ثم انهم اذ يتأملون في خلق السموات
والارض ، لا يكتفون بالنظر المعبر حسب ، وانما يعبرون عن احساساتهم
بالحق الذي لابسهما - في خشوع العابدين ، وترتيل المرتلين بالفاظ تنبي
عن رهافة أحاسيسهم وتيقظ مشاعرهم .

فالقرآن يقول :

« ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لأولي
الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فحقنا عذاب النار » (١٠) .
والسباق بعد ذلك يصور مشهد الحركة النفسية التي يحدثها التأمل
في خلق السموات والارض وما فيها من آيات وبنات اعجبت اولي الالباب ،
حتى صاروا يرونها دليلا على الاله الخالق العظيم (١١) .

ان تعبيرهم « ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه » ينبي عن الحق
الذي عرفوه في خلقها والخالق الذي اطمأنوا الى وجوده من ورائها .

(١٠) آل عمران : ١٩٠ - ١٩١ .

(١١) وانظر في ظلال القرآن : لسيد قطب .

ولعلمهم ادركوا في هذا التأمل الخاشع ما في خلق هذه العناصر من التناسق
الاخاذ ، والنظام البديع ، فصاروا يرددون دعاءهم الخاشع ذاك . والحقيقة
هي ان الانسان هو المخلوق الوحيد الذي اوتى قدرة في تركيب أعضائه
تمكّنه من التفكير والتأمل في صفحة السماء . فكان في ذلك ايحاء له
بمزاولة هذه العبادة الفكرية السامية ، التي عدّتها الحيوان وبقية المخلوقات
الحية .

ويقول الدكتور أحمد زكي : « فالذي صمم جسم الحيوان وركب
هيكله ، كأنه لم يرد من هذا التصميم ان يتمكن الحيوان من النظر الى
السماء ، وذلك لاسباب عدة ، من اظهرها انه مع عقله العاجز لا يستفيد
من هذا النظر شيئاً ، وعلى غير هذا الطراز صمم المصمم جسم الانسان ،
وركب هيكله فالانسان عقله واع كثير الوعي ، وهو قادر كثير القدرة ،
فهو يستفيد من النظر الى السماء أكبر استفادة ويلقى في سبيل هذا النظر
بعض المشقة ، ولكنها مشقة تهون في هذا السبيل الذي هو فيه ^(١٢) .

ولقد حث القرآن على النظر الى ما في السموات والارض من آيات
بينات ، ودلائل واضحات على وجود الاله القادر الحكيم . ولذلك فانه
يوجه الخطاب الى النبي صلى الله عليه وسلم كي يلفت اولئك المعرضين عن
صفحة الكون الجميلة ، ويحثهم على التأمل في ما خلق الله في السموات
والارض من تلك البينات ، ويجعل منها مفتاحاً للايمان بالله ومعرفته ،
والاعتراف بربوبيته ، ثم هو يبين ان اولئك الذين لا يعقلون اهمية هذه
الآيات ووجودها ، وما لها من تأثير في الفكر والوجدان ، داعية الى الاعتقاد
والايمان ، لا يؤمنون . ذلك لانهم لا يتأملون ولا يفكرون ولا يفقهون
العبرة من هذه الآيات التي امتلأت بها الآفاق ما بين الارض والسماء .

فالقرآن يقول : « ولو شاء ربك لآمن من في الارض جميعاً . أفأنت

(١٢) الدكتور أحمد زكي : مع الله في السماء : ص ٢٢ .

تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله
وجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموات والارض
وما تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (١٣) .

قال الزمخشري : « ماذا في السموات والارض » من الآيات والعبر
« وما تنفى الآيات والنذر » والرسائل المنذرون أو الانذارات . « عن قوم
لا يؤمنون » لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون (١٤) .

وقد أورد القرآن بأولئك المعرضين عن هذه الآيات التي في السموات
والارض ، اذ يمرون عليها معرضين ، ويتجاوزونها متجافين . طاووس عنها
كشعاً ، كأنها غير ماثلة أمامهم . فهو يقول : « وكأين من آية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ، وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم
متركون » (١٥) .

قال البيضاوي : « وكأين من آية » وكم من آية . والمعنى . وكأي
قدرة شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع ، وحكمته ، وكمال
قدرته ، وتوحيده . « في السموات والارض يمرون عليها » على الآيات
ويشاهدونها . وهم عنها معرضون . لا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها . .
« وما يؤمن أكثرهم بالله » في اقرارهم بوجوده وخالقته ، الا وهم مشركون
بعبادة غيره (١٦) .

(٢) وكما لفت القرآن الناس الى آيات الله الدالة على الخالق ، في
السموات والارض ، لفتهم الى آياته في الارض خاصة . وجعل تلك
الآيات للموقنين .

(١٣) يونس : ٩٩ - ١٠١ .

(١٤) الزمخشري : الكشف ٨٨/٢ فوق .

(١٥) يوسف : ١٠٥ - ١٠٦ .

(١٦) التفسير البيضاوي : ٦١١/١ - ٦١٢ طبعة سنة ١٢٨٥ هـ .

والارض أقرب للانسان من السماء ، والاستدلال بها ، استدلال بما هو أقرب الى النفس . والانسان نشأ في احضان الارض ، وربى عليها ، والفها هذه الألفة الطويلة ، فقيها قراره وسكناء ، وفيها معاشه ومسعاء ، وفيها هذه النعم الكثيرة المتباينة المتفرقة في أرجائها وبين جنباتها فالاستدلال بالارض اذاً على وجود الخالق القادر الحكيم ، انما هو استدلال بما هو الصق بحياة الانسان من عناصر الطبيعة ، وبما هو اظهر للمقدرة والنعمة منها .

والقرآن لا يكتفي بالاستدلال بالارض التي هي قريبة من وجود الانسان ، وانما يستدل معها بالانفس أيضاً . تلك التي لا يضارعاها في القرب من الانسان شيء .

فالقرآن يقول : « ... وفي الارض آيات للموقنين . وفي انفسكم أفلا تبصرون » (١٧) .

قال البيضاوي : « وفي الارض آيات للموقنين » أي فيها دلائل من أنواع المعادن والحيوان أو وجوه دلالات من الدحو والسكون ، وارتفاع بعضها عن الماء ، واختلاف أجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع ، تدل على وجود الصانع وعلمه وإرادته ووحدته وفرط رحمته « وفي انفسكم » أي وفي انفسكم آيات ، اذ ما في العالَم شيء الا وفي الانسان نظير يدل دلالاته ، مع ما انفرد به من الهيئات النافعة ، والمناظر البهية ، والتركيبات العجيبة ، والتمكن من الأفعال الغريبة ، واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة « أفلا تبصرون » تنظرون نظراً معبراً (١٨) . ونحن نلاحظ في الاستفهام التوبيخي في قوله « أفلا تبصرون » ازراء بأولئك

(١٧) الذاريات : ٢٠ - ٢١ .

(١٨) تفسير البيضاوي : ٤٦٣/٢ . طبعة سنة ١٢٨٥ هـ .

الذين يصدون عن هذه الآيات المنتشرة في أرجاء الأرض ، وحثا لهم على انظر اليها ، وتأملها تأملا فكريا موجيا دالا .

(٣) والقرآن يحدثنا ان الاستدلال بإيجاد السموات والأرض وخلقهما وفطرهما ، على الخالق الحكيم قديم ، ويتضح من آياته البينات ان ذلك كان ديدن الرسل عليهم السلام ، اذ يحاجون اقوامهم ، فهم يلجأون الى الاستدلال بأضخم ظواهر الطبيعة تأثيراً في الحسن ، لهدوهم الى الحق ، وليثبتوا لهم ان وراءها خالقاً قادراً ، ورباً حكيماً ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى : « قالت لهم رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدهوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى .. » (١٩) .

قال الزمخشري : « أفي الله شك » ادخلت الهمزة للانكار على الطرف ، لان الكلام ليس في الشك ، وانما في المشكوك فيه (يعني الله سبحانه) ، وانه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه ، (٢٠) .

وقد نقل لنا القرآن محاجة موسى عليه السلام لفرعون : « اذ انكر فرعون ان يكون في العالم اله غيره . وكيف انه عليه السلام استدل على الخالق الذي يدعو اليه ، وهو الله سبحانه ، بخلق السموات والأرض وما بينهما ، وذلك في قوله : « رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين » (٢١) . فقد جمع في جوابه الاستدلال بظهور ما يرى في الكون مجعلاً ، وهو : السموات ، والأرض ، وما بينهما من عناصر الطبيعة وظواهرها ، تاركا بيان الجزئيات والتفصيلات ، وهو جواب ضخم ، ضخامة الحديث الذي دار بينهما وخطورته .

قال الفيضاني مفسفا قوله :

(١٩) ابراهيم : ١٠ .

(٢٠) الزمخشري : الكشف : ١٧٣/٢ .

(٢١) الشعراء : ٢٤ .

« عرفة بأظهر خواصه وآثاره ، لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال ، واليه اشار بقوله : « ان كنتم موقنين » أي ان كنتم موقنين الاشياء ، محققين لها ، علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة ، لتركيبها وتعددتها وتغير احوالها ، فلها مبدى واجب لذاته . وذلك المبدى لابد أن (*) يكون مبدئا لسائر الممكنات ، ما يمكن ان يحسن بها ، وما لا يمكن . والا لزم تعدد الواجب أو استثناء بعض الممكنات عنه ، وكلاهما محال . ثم ان ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه ، وبما هو داخل فيه ، لاستحالة التركيب في ذاته . (٢٢) »

وهكذا نجد ان القرآن يلون الاستدلال بالضمخ من المحسوسات . على الخالق القادر ، فيجمله مرة بالسموات والارض ، ومرة بالارض وحدها ، ومرة بالسموات والارض وما بينهما من عناصر الطبيعة .

(٤) وقد يتفرع الحديث عن خلق السموات والارض من اجل اثبات الخالق سبحانه ، الى ما في العالم العلوي من آيات بينات دالة على ذلك . فالشمس بضيائها الوهاج ، والقمر بتوره الفضي الاخاذ آيتان من آيات الله التي يقع عليها الحس كثيرا . فلو تأمل فيهما الانسان تأمل المتبر ، لعلم انهما لم يخلقا عبثا ، ولم يقما صدفة ، وانهما ، وهما بهذا السخيف والنظام العجيب ، لابد لهما من موجد اوجدهما ، ومسخر سخرهما بهذه الكيفية التي تلفت الانفجار ، فكما ان الشمس ضياء ونعمة ، فالقمر نور ورحمة ، وفوق ذلك هو علامة لمعرفة الايام ، وآية لحساب الازمان . لوقوع منازل متباينة في أوقات مختلفة فالشمس والقمر اذا من آيات الله التي لا تكرر ، ودلالاته التي ينبغي الا تكفر ، ولو تأمل فيهما

(٢٢) تفسير البضاوي : ٢٥٥/٣ . مطبعة مصطفى محمد علي .

(*) في الاصل « وان » وهو خطأ شائع . ويعتقد ان ابن خلدون هو الذي اوقع الكتاب فيه .

الانسان بشفافية وتفاعل ، لعلم ان وراءهما قوة قادرة ، وحكمة بالغة .

والقرآن لا يكفي بيان منافع هذين الثمرين للناس ، وانما يقرن ايجادهما وهما بهذا التكوين الفريد ، بالحق ، ويبين انهما لم يخلقا لهما وعنا . كل ذلك ليحمل الناس على التأمل والاستدلال والتفكير والاعتبار ، وليبعد عن الازهان ، ما تدبرين عليها ، من تصور الصدفة في قيام ذلك النظام وذلك التسخير :

(هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) (٢٣) .

قال الرازي : في الآية مسائل : (المسألة الاولى) اعلم انه تعالى لما ذكر الدلائل الدالة على الالهية ، ثم فرع عليها صحة القول بالخشس والنشر ، عاد مرة أخرى الى ذكر الدلائل الدالة على الالهية . واعلم ان الدلالة المتقدمة (يعنى المتقدمة على هذه الآية الكريمة) في اثبات التوحيد والالهية ، هي التمسك بخلق السموات والارض ، وهذا النوع اشارة الى التمسك بأحوال الشمس والقمر (٢٤) .

وقال أبو حيان : (لما ذكر الدلائل الدالة على ربوبية من ايجاد هذا العالم العلوي والسفلي ، ذكر ما اودع في هذا العالم العلوي من هذين الجوهرين الثمرين المشرقين فجعل الشمس ضياء ، أي ذات ضياء ، أو مضيئة ... والقمر نورا ، أي ذا نور أو منورا ...) (٢٥) .

(٥) والسنن الطبيعية التي تلازم الشمس والقمر ، دليل على ان

(٢٣) يونس : ٥٥ .

(٢٤) الرازي : مفاتيح الغيب ٥٣٩/٤ .

(٢٥) أبو حيان : البحر المحيط ١٢٥/٥ .

ورأى قوّة مدبرة ، هي التي تسيّرهما وفق ناموسها الحكيم ، وقانونها المنظم ، وقد ظهر ذلك بجلاء في محاجة ابراهيم عليه السلام لعمروود الطاغية ، فحين بين أبو الانبياء ان ربه يحيي ويميت ، ادعى عمروود انه يعمل ذلك أيضا ، فما كان من النبي الكريم ، وقد رأى مغالطته ، الا ان يفجأ بتلك السنة الحكيمة ، وذلك القانون المطرد ، الذي يراه الناس كل حين ، متجليا في شروق الشمس من المشرق ، وغروبها من المغرب ، واذا به يتحداه في ثبات وعزم ، ان يغير هذا الناموس الذي وضعه رب ابراهيم ان كان هو ربا كما يزعم ، فما كان من ذلك الطاغية ، ازاء هذه الحجة الدامغة ، الا ان يهت بعد ان عدم الدليل ، واستقط في يده ، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الدليل بقوله :

« ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك (*) ، اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين (٢٦) » .

قال الطبري في تفسير هذه الآية : (قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم : فان الله الذي هو ربي يأتي بالشمس من مشرقها ، فأأت بها - ان كنت صادقا انك اله - من مغربها ، قال الله تعالى ذكره : (فبهت الذي كفر) يعني انقطع ، وبطلت حجته (٢٧) » .

وقد التفت السيد رشيد رضا رحمه الله ، الى ما في كلام ابي الانبياء

(*) الضمير في (آتاه) يعود الى عمروود . اي لان آتاه الله الملك ، والمعنى آتاه الله الملك فبطل .
(٢٦) البقرة : ٢٥٨ .

(**) في الاصل (فات) وهو جائز في الخط القرآني دون سواه .
(٢٧) تفسير الطبري ٤٣٢/٥ تحقيق محمد شاكر .

عليه السلام ، من استدلال على وجود الله ، بسنة الله في الطبيعة ، فقال :

(قال : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) ..
والمعنى ان ربي الذي يعطي الحياة ويسلبها بقدرته وحكمته ، هو الذي
يطلع الشمس من المشرق أي هو المكون لهذه الكائنات ، بهذا النظام
والسنن الحكيمة التي نشاهدها عليها ، فإن كنت تفعل كما يفعل ، فغير نظام
طلوع الشمس وأت بها من الجهة المقابلة للجهة التي جرت سنته تعالى
بظهورها منها) (٢٨) .

ثم قال : (فهم ان مراد ابراهيم ، ان هذا النظام في سير الشمس
لا بد له من فاعل حكيم ، اذ لا يكون مثله بالمصادفة والاتفاق ، وان ربي
الذي اعبد هو ذلك الفاعل الحكيم الذي قصت حكمته بأن تكون الشمس
على ما نرى) (٢٩) .

* * *

(٦) ولم يكنف القرآن الكريم ، من اجل اثبات الخالق سبحانه ،
بالاحتجاج بخلق السموات وتسخير الشمس والقمر ، وانما راح يعرض
مثلا آخر من تلك الآيات والبيّنات في الارض والسماء ، فهو يلفت نظر
الرسول (ص) في استفهام تقريرى ، الى الماء الذي ينزل من السماء فإذا به
سابع وعيونا وأنهارا ، تفجر هنا وهناك ، وتسيل في مسالكها متقلبة من
مكان الى مكان . ثم اذا بهذا الماء يحيي الارض بعد همود وركود ، واذا
بها تهتز بالنبات الناضر الجميل المختلف الاشكال والالوان والاصناف ، ثم
اذا بذلك الزرع ، يتم جفافه فيصفر ، فيغدو بعد ذلك حطاما ، كأن لم يكن
زينة لها بالأمس .

(٢٨) تفسير المنار ٤٦/٣ الطبعة الاولى .

(٢٩) المصدر نفسه : والمكان نفسه .

والقرآن اذ يعرض ذلك على نظر الرسول (ص) ، فانه يعرضه أيضا على أنظار الناس جميعا ، فهو يجعل من هذه التغيرات التي تصحب هذه العناصر الطبيعية ، فتقلها من حل الى حال ، ومن طور الى طور ، دليلا حسيا على وجود قوة حكيمة تسبب ذلك ، وتلك القوة هي الله .

فالقرآن يقول :

« ألم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يهريج به زراعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لأولي الاباب » (٣٠) .

قال الزمخشري : (انزل من السماء ماء) هو المطر ، وقيل كل ما في الارض فهو من السماء ينزل منها ... ثم يقسمه الله . (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينابيع في الارض) عيون ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد . (مختلفا ألوانه) هيئاته . من تخضرة وحمرة وصفرة وبياض ، وغير ذلك ، أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها (يهيج) يتم جفافه ، عن الاصمى . لانه اذا تم جفافه ، حان له ان يتور عن منابته ويذهب (حطاما) فناثا ودريثا .

(ان في ذلك) لتذكيرا وتنبها ، على انه لا بد له من صانع حكيم ، وان ذلك عن تقدير وتدبير لا عن تعقيل واهمال (٣١) .

ولا حاجة بنا الى ما ذكره الزمخشري من ان الماء ينزل الى (الصخرة) ثم يقسمه الله (٣٢) اذ ليس لدينا دليل على وجود هذه الصخرة ، ولعله أراد طبقة قوية من طبقات الارض لا يتغذ منها الماء ، الى

(٣٠) الزمر : ٢١ .

(٣١) الزمخشري : الكشف ٢٩/٣ .

(٣٢) المصدر نفسه : المكان نفسه .

باطن الارض ، فان كان قصده ذلك فهو مقبول ، والا فلا .

وقال البيضاوي : (ان في ذلك لذكرى) لذكيرا بانه لا بد له من صانع حكيم ، دبره وسواه ، وبانه مثل الحياء الدنيا ، فلا تقتر بها . (لأولي الالباب) اذ لا يتذكر به غيرهم (٢٣) . ولا يتعارض مع مفهوم الآية ، ما اثبتته العلم الحديث من ان الماء يتولد من السحاب المتراكم المؤلف من ذرات البخار المتصاعدة من الارض . ذلك ان القضية لا تغير ولا تبدل من واقع هذا المفهوم شيئا . فان لهذا التبخر والتجمع أسبابا وموجد هذه الاسباب هو الله ، ذلك ان الاسباب جميعها تنتهي الى السبب الاول ، وهو الله سبحانه . وقد اشرنا الى ذلك في مواضع سابقة .

وشبه بهذا في بيان نعمة الماء المنزل من السماء ، واخراج النبات به ، وما يصحبه من تغير وتبدل ، يوحي بوجود الصانع القادر ، وينفي الصدفة والاتفاق ، ما ورد في سورة الانعام ، فهو حديث عن انزال الماء من السماء أيضا واخراج كل صنف من اصناف النبات به فعلى الرغم من ان الماء شيء واحد ، الا انه تسبب في أشياء كثيرة ، وهذه تكون على اصناف متباينة : فمنها السبل المنتصب في الفضاء بشموخ ، وقد تحلى بشماره الذهبية البديعة ، متراكبا بعضه فوق بعض ، ومنها النخل الذي تدلت عذوقه جنية مغرية بالقطف ، ومنها البساتين والاعناب الشهيية ، التي تزيت بمناقيد أعنابها ، تزين الحسناء بما هو ثمين من العقود ، ومنها الزيتون والرمان الشهي الناضر ، كل ذلك يرى متشابهة ومختلفة . ثم يأتي بعد ذلك موضع للاستدلال آخر ، وهو النظر الى ثمره في بدايته ونهايته ، كيف يبدو أول أمره ضعيفا ، غير رائق للناظرين ، وكيف يغدو في النهاية زاهرا يسر الناظرين . والقرآن يأخذ هاتين الناحيتين من حياة الانمار : البداية والنهاية ، ويضع عليهما الآلة المكبرة ، ليجعل منهما نقطة حرية بالتأمل

(٢٣) تفسير البيضاوي ٢/٣٥٧ فوق طبعة سنة ١٢٨٥ هـ .

والاستبصار فهذا التباين الواضح ، بين البداية الضعيفة الخاملة ، والنهاية
القوية الزاهرة ، في حياة تلك الانعام ، انما هو دليل حي ، وبرهان ساطع ،
على ان وراثة الهياكل حكيما قادرا . وانها لا يمكن ان تكون قد تدرجت هذا
التدرج المعجيب ، وآلت الى هذا المال الغريب ، من غير ان تعني بها قدرة
حكيمة ، ولا قوة رحيمة .

ولكن هذا الذي بينه القرآن ، ليس بآية لكل الناظرين ، ولكنه
آية للمؤمنين ، اولئك الذين يتجاوزون الحواس الى الوجدانات ، ويتخطون
العيون الى العقول فيتأملون بالفكر قبل ان يتأملوا بالبصر ، وما اوهن البصر
وما اكسده في سوق الحياة ، اذا جف عنه معين الفكر ، وانقطع عنه رجاء
العقل ، فلتنظر في هذه الآيات البينات :

(وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا
منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات
من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه أنظروا الى ثمره اذا اثمر
وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (٣٤) .

قال الزمخشري : (انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه) اذا اخرج
ثمره . كيف يخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات
من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه أنظروا الى ثمره اذا اثمر
وينعه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ ، نظر اعتبار واستبصار واستدلال
على قدرة مقدرة ومديرة ، نافلة من حال الى حال (٣٥) .

وقال الطبرسي : (انظروا الى ثمره اذا اثمر) أي انظروا الى خروج
الثمار نظر الاعتبار (وينعه) أي نضجه ، ومعناه : أنظروا من ابتداء
خروجه اذا اثمر ، الى انتهائه اذا أينع وادرك ، كيف تنتقل عليه الاحوال
في العلم واللون والرائحة والصغر والكبر ، ليستدلوا بذلك على ان له

(٣٤) الانعام : ٩٩ .

(٣٥) الزمخشري : الكشاف ١/ ٥٢٠ .

صائعا مدبرا (ان في ذلكم آيات) أي ان خلق هذه الثمار والزرع ، مع انقار جواهرها أجناسا مختلفة لا يشبه بعضها بعضا ، لدلالات على ان لها خالقا قصد على التمييز بينها قبل خلقها ، على علم بها ، وانها تكونت بخلقه وتدييره . (لقوم يؤمنون) لانهم بها يستدلون وبمعرفة مدلولاتها يستفهمون (٣٦) .

وقد عد الرازي اختلاف الثمار بداية ونهاية ، هو موضع الاستدلال في الآية الكريمة ، على الخالق القادر الحكيم . وفصل القول في ذلك بروح الاديب والفيلسوف فقال :

(البحث الثالث ، قوله . أنظروا الى ثمره اذا أثمر) أمر بالنظر في حال الثمر في أول حدوثها ، وقوله : (وينم) أمر بالنظر في حالها عند تمامها . وكمالها ، وهذا هو موضع الاستدلال والحجة التي هي تمام المقصود من هذه الآية . ذلك لان هذه الثمار والازهار ، تولدت في أول حدوثها على صفات مخصوصة ، وعند تمامها وكمالها لا تبقى على أحوالها الاولى ، بل تنتقل الى أحوال مضادة الى الاحوال السابقة ، مثل انها كانت موصوفة بلون الخضرة ، فتصير ملونة بلون السواد أو بلون الحمرة . وكانت موصوفة بالحموضة فتصير موصوفة بالحلاوة ... فحصول هذه التبدلات والتغيرات لا بد له من سبب ، وذلك السبب ليس هو تأثير الطبايع والفصول والانجم والافلاك لأن نسبة هذه الاحوال بأسرها الى جميع هذه الاجسام المتباينة متساوية ومثابته والنسب المتشابهة لا يمكن ان تكون أسبابا لحدوث الحوادث المختلفة ، ولما بطل اسناد حدوث هذه الحوادث الى الطبايع والانجم والافلاك ، وجب اسنادها الى القادر المختار الحكيم الرحيم المدبر لهذا العالم على وفق الرحمة والمصلحة والحكمة . ولما تبه سبحانه على ما في هذا الوجه اللطيف من الدلالة ، قال : ان في ذلك لآيات

(٣٦) الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ١٤٧/٧ .

لقوم يؤمنون (٣٧) .

والظاهر ان اهتمام القرآن الكريم بالتدليل على الخالق سبحانه بالنعم الالهية في الطبيعة ، هو الذي حدا بجعل هذه الآية مقدمة على الآية التي استدل بها على الاذن في الانتفاع بتلك النعم ، تلك الآية التي تشابهت النعم فيها ونعم هذه الآية ، من حيث أنواعها وأجناسها ، فقدمت آية الاستدلال على الخالق ، على آية الاذن بالانتفاع بالنعم الطبيعية ، اظهارا لاهمية ذلك الاستدلال ، وتيسيرا لخطورته ، فنفع هذه النعم الروحي الديني ، مقدم على نعمها الحسي الدنيوي .

قال الرازي في تفسير قوله (وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا آكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) ... ثم ذكر في الآية المقدمة ، أنظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ، فأمر تعالى هناك بالنظر في أحوالها والاستدلال بها على وجود الصانع الحكيم ، وذكر في هذه الآية كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ، فأذن في الانتفاع بها ، وأمر بصرف جزء منها الى الفقراء ، فالذي حصل به الامتياز بين الاثنين ، ان هناك أمرا بالاستدلال بها على الصانع الحكيم ، وهنا اذن في الانتفاع بها ، وذلك تيسره على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم ، مقدم على الاذن في الانتفاع بها ، لان الحاصل من الانتفاع بهذه ، سعادة جسمانية (*) ، سريعة الانقضاء ، والاول اولى بالتقدم ، فلهذا السبب قدم الله تعالى الامر بالاستدلال على الاذن بالانتفاع بها ... (٣٨) .

(٣٧) الرازي : مفاتيح الغيب ١٠٧/٤ .

(*) كذا وردت في الاصل وقد ابقيناها لاننا نرى انها من تعبير

الرازي نفسه ، وذلك مألوف في زمانه .

(٣٨) الرازي : مفاتيح الغيب ١٥٨/٤ .

(٧) وفي موضع آخر جمع القرآن بين عشرة أنواع من النعم الطبيعية ، ليستدل بها على وجود الخالق الحكيم ، وقد قدم خلق السموات والأرض على الأدلة جميعها ، لما فيهما من ضخامة حسية تلفت الانظار ، ثم عدد بقية النعم متمثلة بالماء المنهمر من السماء والانمار المخرجة به ، والفلك المسخرة في البحر ، والانهار المسخرة ، والشمس والقمر المسخرين ، والليل والنهار المسخرين أيضا .

ويتجلى ذلك في قوله تعالى :

(الله الذي خلق السموات والأرض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلولم كفار) (٣٩) .

قال أبو حيان في تفسيره : (... ولما اطل الله تعالى الكلام في وصف أحوال السعداء ، والاشقياء ، وكان حصول السعادة بمعرفة الله وصفاته ، والشقاوة بالجهل بذلك ختم وصفه بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته . فقال : الله الذي خلق السموات والأرض . وذكر عشرة أنواع من الدلائل ، فذكر أولا ابداعه وانشاء السموات والأرض ، ثم اعقب بياقي الدلائل وبرزها في جمل مستقلة ، ليدل وينبه على ان كل جملة منها مستقلة في الدلالة ، ولم يجعل متعلقاتها معطوفات عطفت المفرد على المفرد ... (٤٠) .

(٨) وكان استدلال القرآن على الخالق القادر الحكيم بأحوال الجماد

(٣٩) ابراهيم : ٣٢ - ٣٤ .

(٤٠) أبو حيان : البحر المحيط ٤٢٧/٥ .

والنبات ، فانه استدل أيضا على ذلك ، بأحوال الطير مسبحه ربها في جو السماء ، داعية اياه ، مبتهلة اليه ، والوجه القائل بأن تسييح الجمادات والاحياء ما عدا الانسان ، اذا ورد في القرآن فانما يقصد منه دلالة صور تلك المخلوقات وأحوالها ، على الخالق القادر ، مناسب في هذا المقام مناسبة طيبة ، فتسيح هذه المخلوقات ، ان لم يكن تسييحاً حقيقياً ولكن لا نفقهه ، فهو تسييح معنوي ينزه الله سبحانه ان يكون غيره موجدا لها ، أو ان تكون قد وجدت صدفة واتفاقا .

وقد جعل القرآن ذكر أحوال الطير ، مسبحات ربهن في السماء ، ضمن مجموعة من آيات الله في السماء ، متجلية في السحاب المسخر المتطور من حال الى حال : مشتتا لا يلوى على شيء ، ومجموعا مؤلفا بينه ومركوما كالقطة الواحدة التي نسجت نسجا دقيقا ، وفي ما يؤول اليه بعد ذلك ، من نزول الماء طاهرا نقياً ، هو رحمة ونعمة للاحياء وفي نزول البرد متكاثرا متجمعا يصيب به الله من يشاء من عباده ، ويذهب به بعيدا عن يشاء منهم ، ذلك السحاب الذي يكاد برقه اللماع ان يذهب بالابصار ذهابا سريعا مفاجئا ، شبه بالاختطاف . ثم هو يستدل بأحوال الليل والنهار وما فيهما من تفاوت وتطور ، طولا وقصرا ، وذهابا وإيابا ، وحلقة وبياضا ، على الخالق المدبر فهو اذاً يجمع بين دلائل متباينات ، بعضها حي في السماء وهو الطير ، وبعضها صامت فيها وهو السحاب ، وبعضها مشترك بين السماء والارض وهو الليل ، ليكمل ذلك كله وما فيه من اختلاف وتباين ، دليلا حسيبا مرثيا ، على ما هو غير حسي ولا مرثي وهو الله سبحانه . فانقرآن يقول :

(ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون والله ملك السموات والارض والى الله المعير ألم تر أن الله يزرع سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من

برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب
بالابصار • يقلب الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار (١١) •

قال الزمخشري : (وهذا من تعديد الدلائل على ربوبية وظهور
امره ، حيث ذكر تسييح من في السموات والارض وكل ما يطير بين
السماء والارض ، ودعاهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير
الذي وصفه ، وما يحدث فيه من افعاله ، حتى ينزل المطر منه ، وانه يقسم
رحمته بين خلقه ويقبضها ويسطرها على ما تقتضيه حكمته ، ويربهم البرق
في السحاب الذي يكاد يخطف الابصار ليعتبروا ويحذروا ، ويعاقب بين
الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر ، وما هذه الا براهين في غاية
الوضوح في وجوده وثباته ، ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر ،
وبصر وتدبر (١٢) •

ومع اجلالنا لفضل الزمخشري وعلمه ، فانا لا نوافقه في تفسير قوله
تعالى : (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) بانه (يخلق الله في
السماء جبال برد ، كما خلق في الارض جبال حجر) (١٣) ، اذ ان هذا
التصور بعيد ، ومناف لما هو ثابت اليوم من ان البرد انما هو قطرات الماء
المتجمدة في الفضاء ، النازلة الى الارض ، فليس مصدرها بجبال برد في
السماء ، كما ذكر رحمه الله ، بل مصدرها السحاب كما هو معلوم • وقد
كان يكفي ان يذكر الوجه الثاني الذي بينه في تفسير الآية وهو (ان
يراد الكثرة بذكر الجبال ، كما يقول فلان يملك جبلا من ذهب) (١٤) •
فهذا الوجه اقرب الى المعقول والى اسلوب القرآن في التعبير ، اذ هو على

(٤١) النور : ٤١ - ٤٤ •

(٤٢) الزمخشري : الكشف ٣٩١/٧ •

(٤٣) الزمخشري : الكشف ٣٩٢/٢ •

(٤٤) المصدر نفسه : المكان نفسه •

هذا التفسير من المجاز ، والمجاز سائغ في كتاب الله ، كما هو سائغ في كل كلام ، وبخاصة الكلام العربي ، ولا يمكن انكاره البتة .

(٩) واستدلال القرآن بأحوال النحل ، صنف آخر من أصناف الاستدلال على الخالق سبحانه ، بالطبيعة الحية ، فأحوال هذا المخلوق العجيب ، الصغير بجسمه ، الكبير بهمته ونظام حياته لما يثير التأمل ، ويستدعي التفكير ، فمن ذا الذي جبل في هذه المخلوقات الصغيرة الشبيطة الدابة الحركة ، غريزة التجمع المفيد ؟ من ذا الذي ألهمها هذا النظام الدقيق الذي تعيش به جماعاتها ، وتنظم فيه أسرابها ؟ ، حتى غدت تتخذ من الجبال اكثانا لها ، وتضع فيها عسلها الذي فيه شفاء للناس ، على حين (لا يقدر على مثلها احد) على حد تعبير الطبرسي^(٤٥) . وفوق ذلك فهي تتخذ من الشجر ومما يعرش الناس مكانا لها (ولولا إلهام الله إياها ما كانت تأوى الى ما بنى لها من بيوتها) ، كما هو تعبير الطبرسي أيضا^(٤٦) . أليس ذلك كله يدل على ان وراءها قوة قادرة حكيمة ألهمت هذه القدرات ، واودعت فيها هذه الطاقات ؟ .

وقد التفت الجاحظ قديما الى هذا النظام الدقيق ، الذي تعيش فيه جماعات النحل ، وما بينها من تقسيم للأعمال عجيب فقال :

(والنحل تجتمع فتقسم الأعمال بينها ، فبعضها يعمل الشمع ، وبعضها يعمل العسل ، وبعضها يبنى البيوت ، وبعضها يستقى الماء ويصبه في الثقب ويلطخه بالعسل ومنه ما يكر في العمل ، ومن النحل ما يكفه^(*) ، حتى اذا نهضت واحدة طارت كلها ، يقال : (بكر بكور العسوب) يريد أمير النحل ، لانها تتبعه غدوة الى عملها ، ومنها ما ينقل العسل من اطراف الشجر ، ومنها ما ينقل الشمع الذي تبني به ، فلا تزال في عملها حتى

(٤٥) الطبرسي : مجمع البيان ٦٧/١٤ .

(٤٦) المصدر نفسه : المكان نفسه .

(*) يجمعه .

إذا كان الليل آت إلى ما بها (٤٧) .

وقد شرح الدكتور كريسي موريسون من أحوال النحل ما ينفي كل صدفة واتفاق في حصول ذلك ، بل انه يشعر ان وراء هذه الاحوال الدقيقة ، والاعمال العجيبة قوة غيبية قادرة . فهو يقول :

• ان العاملات من النحل تصنع حجرات مختلفات الاحجام في المشط الذي يستخدم في التربة ، وتعد الحجرات الصغيرة للعمال ، واكبر منها لليعاسيب (**) ، وتعد غرف خاصة للملكات الحوامل . والنحلة الملكة تضع بيضا غير مخضب في الخلايا المخصصة للذكر ، وبيضا مخضبا في الحجرات الصحيحة المعدة للعاملات الاناث والملكات المتفرجات . والعاملات اللاتي هن اناث معدلات ، بعد ان تنتظرن طويلا مجيء الجيل الجديد ، تهيأن أيضا لاعداد الغذاء للنحل الصغير ، بمضغ العسل والقح ، ومقدمات هضمه ، ثم ينقطعن عن عملية المضغ ومقدمات الهضم عند مرحلة معينة من تطور الذكور والاناث . ولا يفذين سوى العسل والقح . والاناث اللاتي يعالجن على هذا الشكل ، يصبحن عاملات ، اما الاناث اللاتي في حجرات الملكة ، فان التغذية بالمضغ ومقدمات الهضم ، تستمر بالنسبة لهن ، وهؤلاء اللاتي يعالمن هذه المعاملة الخاصة يتطورن الى ملكات نحل ، وهن وحدهن اللاتي ينتجن بيضا مخضبا ، وعملية تكرار الانتاج هذه تتضمن حجرات خاصة وبيضا خاصا ، كما تتضمن الاثر العجيب الذي لتغير الغذاء وهذا يتطلب الانتظار والتميز وتطبيق اكتشاف اثر الغذاء ، وهذه التغيرات تنطبق بوجه خاص على حياة الجماعة ، وتبدو ضرورة لوجودها ... وعلى ذلك فيبدو ان النحل قد فاق الانسان في معرفة تأثير

(٤٧) الجاحظ : الحيوان ٤١٧/٥ - ٤١٨ .

(**) ذكور النحل .

الغذاء تحت ظروف معينة^(٤٨) !!

وليس لمنكر بعد هذا ان ينكر ان هذه الاحوال من الاعاجيب ، فاذا شاء ان يقول ان الطبيعة هي التي ألهمت هذه الجماعات الكبيرة الكثيرة التي ترخر بها الآفاق وتعمر بها الديار قدراتها وفعاليتها الدقيقة ، فهل يستطيع ان يثبت ان للطبيعة القدرة على الهامها وحدها هذه القدرات ، دون غيرها من المخلوقات ؟ ، ثم لم صارت هذه سنة متوارثة فيها جيلا بعد جيل ، وزمنا بعد زمن ، مهما اختلفت أقطارها وتباعدت امصارها ؟ وهل تستطيع الطبيعة التي لا ادراك لها ان تهب هذا الادراك (وهم يعلمون ان الالهام لا يأتي من المادة) كما يقول كريسي موريسون^(٤٩) ، (وفقد الشيء لا يعطيه) ، كما في الامثال السائرة . وهل يستطيع ذلك المنشئت بالطبيعة ان يثبت انه لا توجد قوة عاقلة مدبرة متمكنة ، ألهمت النحل هذا الالهام ، وهدتها هذه الهداية ، وكوتتها هذا التكوين ؟ .

ان المسألة متروكة للشعور والوجدان والاحساس الفطري ، أكثر مما هي متروكة للعقل والتصور .

ويبدو ان الطبيعيين كانوا منذ القديم ينفثون شبهاتهم في قدرة الله على الهام النحل ، واختصاصه بقدرات عجيبة ، وآية ذلك انهم طعنوا في قدرتها على انتاج العسل كما روى ذلك الجاحظ فقال : (لقد طعن ناس من الملحدين وبعض من لا علم له بوجوه اللغة ، وتوسع العرب في لغتها ، وفهم بعضها عن بعض ، بالاشارة والوحي فقالوا : قد علمنا ان الشمع شيء تنقله النحل ، مما يسقط على الشجر ، فبنى بيوت العسل منه ، ثم تنقل من الاشجار العسل الساقط عليها ، كما يسقط الترنجين والمن وغير

(٤٨) ٠١ كريسي موريسون : العلم يدعو الى الايمان ص ١١٦ . ترجمة محمود صالح الفلكي .

(٤٩) المصدر نفسه : ص ٢٠٠ فوق .

ذلك ، الا ان مواضع السمع وابدانه خفي ، وكذلك العسل اخفى وأقل ،
فليس العسل بقي ولا رجع ولا دخل للنحلة في بطن قط (٥٠) !

وهذا الكلام لم يعد شيئا اليوم ، بعد ان ثبت ثبوتا لا مراة فيه ، ان
النحل تنتج ، اذ تقع على الزهور والاوراد وتمتص منها ما تمتص ، عسلا
هو الذي نعرفه غذاء شهيا ودواء شافيا ، لا انها تنقله من الاشجار الساقطة
عليها ، كما هو زعم اولئك المنكرين المشككين .

فلننظر بعد هذا في هذه الآيات البينات التي وصفت النحل ودلت على
موضع الالهام فيه ، كما وردت في سورة النحل :

(واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر
ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج
من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم
يتفكرون) (٥١) .

« اليوم يشس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون .

اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام

دينا » .

« قرآن كريم »

(٥٠) الجاحظ : الحيوان ٤٢٣/٥ وما بعدها .

(٥١) النحل : ٦٨ - ٦٩ .



جَنِينَةُ السَّمَرِ

پا.. دُجے

علي محمد قاسم محمد

يا صديقي يا دمي
يا مذيّب العمر في عمري
دائبا تجري .. وتجري
تدفق ..
تحمل القوت لاشجار عروقي
والرداء
دائبا ليل نهار
لا عناء .. لا ملل
دائبا تجري وتجري ..
لك شكري .. الف شكري •
* * *

يا صديقي جئت اجزيك بعهد لك عندي
وكما تحفظ عهدك فأنا احفظ عهدي
لك عهدي ان اغذيك من الخبز الحلال •

ومن الفكر الحلال •
ان أنفك من السوء وان ارعى صفاءك
ورداك •

ارفض السحت ولا أسقيك سمه •
والهوى الجامع لا اسقيك ائمه •
لك عهدي

ان اخلي جريك الدائب صفواً
من كدر

من لوات الوسوسات
وخبث المائدات

ان ارويک من القرآن شرباً حيوا
ومن الطاعة قوتاً أبدياً
واذا عز الطعام •

فمن العشب غذاء طيباً
هو خير اي وعينك من اللحم الحرام •
يا صديقي انت تعلم
ان ما يخبت قد يبدو لذياً •
وشها ••

الك عهدي ان اجازيك جميلك
ان اخلي جريك المخلص
في مرضاة ربي •• لا سواء •
في هدى الاسلام •• يا نعمي هداه •

اروى وارويك بجهدى المتواضع
في سبيله
فتوقد .. وكن الشعلة بالخير تضيء
والى الخير تنبىء
لا وقوداً للهوى •
لا دخاناً سيئاً •
* * *

لك عهدي
ان تبين جزاء لجميلك
اي لحظة
ان اخلي جريك الدائب فيها فورانا
وضامخاً اقدما .. بصير اقدس
ان اروي منك شبي أو شبابي
وارويك ثيابي وترابي •
يا لنعمائها شهادة
يا لنعمائها سعادة •
ومنى شمت رؤاها •
اي وعينيك سأسقيك نراها •
فتوقد .. وكن الشعلة بالخير تضيء
وتضاء .. يا مثالا للموفاء •

شمار السخط

أحمد حسن مطر

ويك دعني ، لا تلمني ، فأنا اللوم غريمي ، وغريم الدهر بأسني
وأنا الثابت عزمي واعتزازي وكياني ، وأنا المزمهر نحسي
وأنا رسم المنايا - صورة ناطقة - من تحت رجلي الى ما فوق رأسي
وأنا ، كل الرزايا جائحات فوق صدري ، حارسات باب جبسي
فألى أين أولي ؟ ولمن أرسل صوتي ؟ قل من يهدي التأسلي
لست تدري ما ألقى ، فدع اللوم ودعني ، فأنا أدري بنفسني

* * *

يا بني ، دمت فاصرخ : الذي يحصد صدقا ليس من يزرع كذبا
والذي يرسم خبزا ، لا كمن يصنع خبزا ، لا كمن يطعم شعبا
وأنا الحرف سلاحي وعتلي ، وبه يا صاح لن أعدم حربا
وأنا العادل حرفي ، وأنا الحاكم حرفي ، ليس حكم الحرف لعبا
قلمي الصارم ، والشعر جوادي ، وجوادي وسع الميدان نهبا
أنا ان مزقتهم فوق طروسي ، فلقد عبت للاجيال دربا

* * *

قهقه القلب لجرحي ، وهو يقات بأحاسي ويستاف شعوري
فادلهمي يا خطوط الدهر ، وأهتاجي ، ودوري ، وأغيري
لست من تسكن للظلم حنايا ، ولا تجنو لئران السمير
فأنا الاسلام قد حصن روحي ، وكياني ، وجناني برؤى وحى البشير
ثابت لن تحرفيني ، وجور قلعتي العليا ، والاسلام سوري
ان ميدان جهادي مصنع يسج للاجيال ثوبا من حرير

وضموا الاغلال في رسني^٢ والاغلال ليست من نصيب الجبناء
 واذا الاصفاد في رسني^٢ فالفكر بعقلي يحدى كل خسف وبلاء
 فأنا من عود النفس على الصبر ، وذافت نفسه من كل داء
 فلتغني في ضمير العالم الحر جراحني ، أن للجرح غناء :
 ان همت بعض دمائي ، فدما جدي بالامس أفاصت كسر بلاه
 وأنا في درب جدي سائر أفني يزيداً أو يلاقيني انقضاء

★ ★ ★

كبلوني .. أسجنوني ، لست ممن يفتح الدرب لارباب المجنون
 كبلوني .. أسجنوني ، ليست الروح من العزة أن أنكر ديني
 كبلوني .. قطعوني لن تروا مني انحرافاً قيد شبر عن يقيني
 أنا أيماني ، فان مت فأيماني معي يهزأ دوماً بالمتنون
 والذي يخشى النسايا من تلوى مستكينا في مواخير الجنون
 وأنا أنشد للرب طريقاً خالياً من كل أوحال الفتون

★ ★ ★

لا نبالي ان توسدنا حجار الدرب أو صارت لنا السحب دثارا
 لا نبالي ، فأنعموا في سرر الديباج ، وأستشروا دمارا
 فاذا ما أضرم الجوع بأحشانا لهيبا ، وأحبال القلب نارا
 وهمت عين الدروب القفر شعبا جائعا يقضم رملا وحجارا
 وتعال صرخة منه : أبا ناجي .. تمهل اتنا نطلب ثارا ،
 سوف تنهار قلاع وتقرن بآنا نجعل الليل نهارا

★ ★ ★

أشاه

« القيت في ذكرى مرور عام على وفاة فقيد العلم والدين المحرم
الاستاذ أحمد أمين » .

محت رؤسكم الشريعة والذكر امطركم دموعه
وبسات عمري أعولت تنعى الى عمري ربيعة
وعواطف الاسلام صعدا الاسى . آه . وجيمه
أنرى الثابر افقرت من بدرها ترجو رجوعه
والمتدى لشموعه . . . يروى فمن أظفأ شموعه ؟
أترأ معتصر الحشاشه يشتكى ذاتا ملوعه
الدهر أدماعها بمخلب غدره فهوت صريره
وأعادها نكلى تكابد هول نازلة فظيمه
قد لاكت الصبر الجميل وأوصدت بوب الذريعة
وبجيت أحمد يرتجى فجعت به ذات الشريعة
أصمى المسامع نعيه وأحالتنا مهجأ صديقه
يا رزء حوزتنا به يا يتم روضتنا المربه
* * *

يا قبر لا تعصر ضلوعه أرفق به واذكر خضوعه
واذكر مداامه التي في الله قد سالت نجيمه
أبدا تسح لآثما حمراء أو درراً لموعه
أحسن لطرف هام بالقرآن والسور النيمه
أشفق لطلعتك التمي لله كم أوفت خضوعه

رسم السجود أعزها وأزان غرتها البريمة
كالشمس ان تشرق لها تشدو وتبسم الطبيعة
أكرم محياً نيراً لله أسلمه جميعه
ماء الوضوء أعاده صباحاً وأطفا بديعه
النور فيك لقد نوى والظهر والمثل الرفيعه

* * *

ارحم فؤاداً فيه عاش العلم مفترشاً ربوعه
وشفاء حمد لم تزل بالذكر مغرمة ولوعه
بغد تسقى الحوض لأكرة لاقها صنيعه
وأكف فضل ما حيت فينا لباريها ضروعه
بيضاً تفيض ندى وما أنمت ولا عهدت منوعه
هي للدعاء ولليراع وللعطا عاشت مشيعه
وارفق بصدر فاض بالوجدان شطآننا دفعه
أفصح لجسم ما لغير الله قد أنهى ركوعه
فغدا سنأل عنه فاحذر قبر يوماً أن تريعه
فالفضل مثل العلم فيك أقام يا هول الفجيعه

* * *

أبناء ما بال الأبوة هدت الهمم البقوعه
قد أتممت أفعالها فعدت مروعة مضيعه
قد كنت تمهدا بهديك وهي واعية سميعه
وحدثت تكلامها برعيك وهي هائلة وديعه
وجهدت بصرها المحجة وهي مدعنة مطيعه

ظمأى تبل لها الصدا غرئى تزف لها الدسيعه
 انعافها من بعدما روضتها بهدى الشريعه
 أعصابها صرعى وأكبدها من البلوى لسبعه
 كم مهجته باتت تكايد فيك آلام الفجيسه
 لكه القدر العظيم ودفعه لن نستطيعه
 فلتسلمي لله أمر .. ك يا شيتا المروعته

* * *

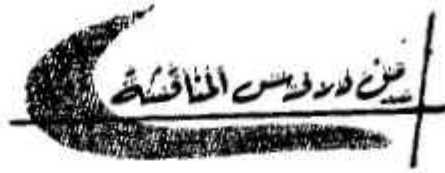
ولتحني بالصبر دوما انه نعم الذريعته
 رباه ارحم حائنا أنسفق لافهام رضيعه
 لا تقذي الا الهدى أو ترتفع الا ضروعه
 أصبح قبل فطامها رباه تقتطم التبعه ؟
 رباه عوضها فلطفك مفدق وغدت وجيعه
 ولتجزه عنها بعلين ذي الغسرف الرفيعه
 بجوار طسه والوصي وفاطم الطهر الشفيعه

عبدالمجيد محمود الدجيلي

كلية اصول الدين

رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ،
 ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا »

صدق الله العلي العظيم



اسرائيل

حقيقة هذه الدولة :

لا يهنا في الواقع السرد التاريخي لأسباب قيام دولة اسرائيل .. فهي دولة قائمة فعلا .. دولة تستمد قوتها من دول الغرب وهي مطبقة طاعة لهذه الدول تقوم بتنفيذ مؤامراتها ومخططاتها العدوانية ضد شعوب الشرق الأوسط العربية والاسلامية ، بل وشعوب القارتين الاسيوية والافريقية ..

ولا يهنا أيضا كيف اغتصب جزءا مهما من اراضي المقدسة وأصبح كيانا لدولة اسرائيل .. فهو مفتصب فعلا ويبد العدو ، بل وزيد لهذا الجزء أجزاء أخرى في نكسة حزيران عام ١٩٦٧ ... والذي يهنا ان تعلم حقيقة اسرائيل وأهدافها ومخططاتها المرتبطة بأهداف المستعمر العاشم . وعلى هذا الاساس أرى ان ننظر الى اسرائيل ككيان قائم يرتبط بمنظمة صهيونية خلطت كثيرا وانتظرت طويلا لترى حلمها يتحقق بقيام هذه الدولة المسخ .

ومعرفة الصهيونية وربيتها اسرائيل ، وادراك حقيقتها في صورة حية أمر يرتبط بصميم وجودنا - كسلمين وكعرب - وكلما تعمق المرء في الكشف عن نواياها زاد ايمانه بحقه والاستماتة في سبيل استرداده .

الصهيونية واسرائيل :

ان الصهيونية حركة عنصرية ودينية وجد فيها الاستعمار ما يعوضه عن قواعده التي اضطر الى الجلاء عنها تحت ضغط البقطة العامة ، ولذلك فقد دعمها بالوسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية لتحل محل تلك القواعد التي فقدتها واثبتت الايام والاحداث ان اسرائيل هي بديل هذه القواعد ومطية الاستعمار الجديد .

ان اسرائيل هي قبل كل شئ، قاعدة واداة للعدوان ولا يمكن ان تستمر لحظة واحدة بدون ان تتركز على العدوان .. وجودا ومربرا وهدفا ..

وخاطي . من يتصور ان قوى الاستعمار الكافر تساند اسرائيل عطفاً على شعبها المضطهد أيام الهلرية ، ان هذه القوى انما تفدق العون على اسرائيل لانها بنظرهم اداة عدوان على المطلقات التحريرية والفكرية التي تشع من شعوب هذه المنطقة .

واسرائيل هي أداة للاستعمار القديم والجديد ، فان دولة الصهيونية تجسد أشنع أنواع الاستعمار القديم القائم على احتلال البلاد وغصبها بقوة السلاح .. واسرائيل كذلك هي مثل حي للاستعمار الجديد القائم على غصب اقتصاديات الشعوب واستغلالها الاقتصادي ، ولعل سلوك اسرائيل في افريقيا يكشف لنا الكثير من محاولات النفوذ الاقتصادي الى البلدان المتخلفة لشل اقتصاديات الاقطار الافريقية المتخلفة .

اسس الصهيونية :

ترتكز الصهيونية على الروابط التاريخية والدينية القديمة التي تربط اليهود بأرض فلسطين (أرض الميعاد) لتكون لهم وطناً .. وعلى ان اليهود المنتشرين في العالم يمثلون شعباً ينتمي الى أصل واحد واعتبار جميع يهود العالم أعضاء في الجنسية الاسرائيلية .. وأن دولتهم المنشودة تمتد من نهر مصر الى النهر الكبير - نهر الفرات - وأن الرب قد تعهد لابراهيم

بان يرقى بذريته في العالم فهم شعبه المختار الاثير لديه على كل بني البشر .
ونظرة بسيطة الى هذه الاسس يلاحظ فيها المزمع مدى الافتراء
والضلال في الدعوى الصهيونية .

ولو أخذنا الروابط التاريخية القديمة .. لرأينا ان اسطورة عودة
اليهود الى أرض فلسطين ليست لها أساس من الحقيقة التاريخية ، فهم
ليسوا من نسل واحد وليسوا من سكان فلسطين الأصليين .. ويؤكد ذلك
ما جاء في الاصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين ..

وكل ما في الامر انه في حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م قامت لليهود دولة
في عهد داود وسليمان عليهما السلام لم تدم طويلا حيث انقسمت على نفسها
على اثر وفاة سليمان (ع) ووقعت في أيدي الآشوريين ثم في أيدي ملوك
بابل وبعد الاسر أصبح اليهود يحنون الى صهيون ثم جاء الفرس واستولوا
على بابل وسمحوا لليهود بالعودة الى فلسطين فعاد منهم كثيرون أقاموا بعدهم
وانشأوا فيها حكومة خاضعة للفرس ثم جاء البطالسة وجاء الرومان فسقطت
اورشليم في يد القائد الروماني بامبيوس وظلت فلسطين تحت الحكم
الروماني حتى جاء الامبراطور اوريانوس عام ١٣٥ فدمر اورشليم تدميرا
وتغرق اليهود في عهد المسيح (ع) في أنحاء الدولة الرومانية . ومنذ ذلك
التاريخ لم تقم لليهود دولة ، ولم تكن لهم حكومة أو كيان قومي وانقطعت
الصلة بينهم وبين فلسطين وهم ينتشرون في أنحاء العالم . ولم تعد اليهودية
أكثر من عقيدة دينية ليس الا وتجنسوا بجنسية البلاد التي يقطنونها وأصبح
شعورهم نحو بيت المقدس مجرد شعور الحنين الى مجد قديم .

هذا وان العنصر العربي قد عاش في فلسطين قبل مجيء اليهود اليها
وفي صدر الاسلام فان المسلمين العرب أخذوا فلسطين من البيزنطيين وهي
خالية من اليهود وقد امتد الطابع العربي لفلسطين أكثر من ثلاثين قرنا .
وقد كان مجيء اليهود عقب تصريح وعد بلفور في حماية الحجاب
الانكليزية وسند الاموال الامريكية، ولم يجئوا اليها الا لاجئين مسالمين راغبين

في العيش فيها في ظل وحماية سكانها الاصليين ، ثم استأندوا فيها وطلبوا لانفسهم سلطان وان يصبح الوطن في يد من جاء لطلب المأوى وان يتسحق المواطن الاصيل ليتحكم الغريب اندخيل .

اما اتماء اليهود الى أصل واحد فينقضه ويكذبه البحث العلمي الصحيح فلا يمكن اعتبار يهود العالم جنسا واحدا له مميزاته الانثولوجية الخاصة ..

وأى شخص يستطيع ان يعتقد أى دين من الاديان وان يتعلم أية لغة من اللغات ولكن هذا لا يغير من جنسه أو سلالة .. ولهذا يجب ان نفرق بين الاسرائيليين من سكان فلسطين وبين الذين اعتنقوا الدين اليهودي ولم يكونوا يوما من سلالة سكان فلسطين الاصليين .

أطماع الصهيونية :

اما أطماع الصهيونية أو أطماع دولة اسرائيل فهي لا تقف عند حد ، بأن يتطلع اليهود للاستيلاء ومد نفوذهم على الشرق الاوسط من نهر مصر الى نهر الفرات .. ما دامت هذه الارض في عقيدتهم المزعومة هي التي اورثها الله لنسل جدهم ابراهيم .

وقد ذكر بن غوريون : بان الاتصارات العسكرية في سنة ١٩٤٨ هي بداية لاهداف اسرائيل البعيدة .

والهدف الخطير الذي تظافرت جهود الاستعمار والصهيونية العالمية على خلق دولة اسرائيل .. يتمثل في نيتها السيطرة على العالم . يؤيد ذلك مؤامراتها ومخططاتها للتسلل في القارتين الافريقية والاسيوية وخاصة الافريقية .

ففي افريقيا مثلا يقوم الصهاينة بنشاط واسع النطاق في أرجاء افريقيا كافة وخاصة افريقيا الشرقية التي تعطى لها أهمية بارزة لضرورة استراتيجية تعرضها طبيعة النزاع الدائم بين العرب ودولة اسرائيل .

وقد أكد بن غوريون في المؤتمر الصهيوني العالمي المنعقد في ٢٨ كانون

الاول سنة ١٩٦٠ * ان ما من شي * يمكن ان يؤدي الى تخفيف حدة البغضاء لدى العرب نحوها ويؤدي بالتالي الى احلال السلام .. أفضل من ان نكسب مزيدا من الاصدقاء بين افريقيا * .

وكما أسلفت ، ان توسع اسرائيل وتغلغلها في هذه الدول هو ليس لفائدة اسرائيل نفسها والشعب اليهودي (المضطهد) .. بل هو خدمة للاعراض الاستعمارية الكبرى .. فان الصراعات الاحتكارية الدولية مثلا والتي تشهدها افريقيا يوميا تتحول الى قناعات عسكرية تتحرك باتجاه مقر الحكومة لتغير نظام الحكم الموالي لاحتكار دولي الى نظام حكم موال لاحتكار دولي آخر .

ان حكومة الصهاينة تتبع أكثر الاساليب احكاما وتقننا في استثمار كيائها الدخيل وامكانياته لخدمة مصالح الاستعمار العالمي في دول المنطقة والدول الافروآسيوية .. بعد ان نالت معظم هذه الدول استقلالها السياسي .

ففي افريقيا مثلا ، تستفيد الولايات المتحدة الامريكية من الكيان الصهيوني في احلاله محل الاحتكارات الدولية الامريكية السيئة السمعة بعد تصفية أعمالها .. فاذا ما اجبرت على هذه التصفية فان الامبريالية الصهيونية يمكن لها ان تتحرك بحرية أكبر بعد الاستقلال السياسي الذي تحصل عليه أية دولة في افريقيا .

اما مؤامرات الاستعمار والصهيونية ضد الدول الاسلامية والعربية ، فحدث عنها ولا حرج .. ونظرة بسيطة الى كل قطر من هذه الاقطار كافية لقياس مدى هذه المؤامرات ومدى ما حققته .. ان أغلب هذه الاقطار تعيش تمزقا في وحدة كيانها .. وتتصارع فيها الاهواء والافكار .. وأصبح التحلل الاجتماعي شبا مألوفا فيها .. ولا نريد ان ندخل غمار هذا الموضوع لان ذلك يتطلب سطورا طويلة وقلما لا ينضب مداده ..

ونقول ، ان جريمة اقامة اسرائيل لا تتمثل في مجرد كونها سلطنة

مفصصة .. ان اسرائيل هي دولة الصهيونية العالمية وامتداد لها .. انها
بالتالي نموذج مجسم حي لكل ذلك التراث من العنصرية والاستعلاء
والعدوان ولذلك الارتباط التاريخي الكامل بالاستعمار ، لذا تشكل اسرائيل
خطرا ناميا متحركا يتجاوز فلسطين الى الوجود العربي والاسلامي باكملة
كما يتجاوز هذا الوجود ليصيب أقطارا أخرى في القارتين الأفريقية
والآسيوية ..

ماذا علمنا خلال سنوات الاغتصاب :

وبعد هذه المقدمة الموجزة لحقيقة اسرائيل وأهداف الصهيونية فما
هو موقفنا كمسلمين وكيف السبيل لاجتثاث هذا العدو الغاصب الذي
يرتكب يوميا .. جرائم عديدة بحق أبناء شعبنا العربي المسلم واخواننا من
الاديان الاخرى ..

ان الامر الواقع لا يمكن ان يمحى الجريمة أو يضع آثارها ،
والشعوب لا تقبل الامر الواقع عندما يكون تهديدا مصيريا لوجودها ويعزلها
عزلا تاما عن المساهمة في حركة التحرير الانسانية .

ولئن فشل العرب في استرداد حقهم مرتين ، فذلك بسبب تفرق
القيادات وعمالة البعض ، والاسس غير الصحيحة التي تقوم عليها فكرة
الحرب . بينما كان اللازم ان تتحرر الارض المقدسة على اسس ومفاهيم
الدين الاسلامي ويكون المسلمون كلهم مسؤولين عن استرداد هذا الجزء
المقدس من أراضيهم واجتثاث الخطر الجاثم عليه .

وبهذه المناسبة نقول ، ان كفاح شعب فلسطين ، الذي يعتبر هو قبل
غيره المسؤول الاول عن تحرير أراضيهم ، ان هذا الكفاح قد دخل مرحلة
جديدة عندما قامت منظمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٦٤ لتكون تعبيرا
منظما واعيا ينقل ذلك الكفاح الى مستوى جديد ويخطو بتلك الآمال الى
الامام .. وحسبنا ان قيام منظمات فدائية أخرى لتحرير الارض المحتلة ..

منظمات لاقت مساندة وتأييدا ودعما من كافة المستويات .. لاسيما مساندة
علمائنا الاعلام في كافة الأقطار الاسلامية ..
والله الموفق ...

شوقي عبدالرزاق
الصف الرابع

ملاحظة :

اعتمدنا في كتابة هذا المقال على الكتب والمقالات والتحقيقات الصحفية
المتوفرة لدى قسم الارشيف في وكالة الانباء العراقية ونرجو ان نكون
قد وفقنا في الاستعادة من الفقرات الصائبة في هذا المقال والله الموفق
للصواب .

حصاد الظن

غير أن الظن قد ذاب على صدر الحقيقة
فإذا الكف التي يحسبها كفا صديقه
غدرته وغدت تمتص من غل عروقه
ظنه يمنحه الدفء يناغيه ويحنو
لير الضابط مثل الليل يدنو ثم يدنو
يتحدى قلبي المهدود يجتاح جراحه

الاستاذ يوسف نوفل
الوعي الاسلامي

المعرفة والسلوك

محمّد السّبط .

موضوعات البحث :

الإنسان وما حوله

السلوك والأفكار

ما هي المعرفة ؟

الاسلام والمعرفة

موضوعات المعرفة

مصدر المعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ -

مع نمو الإنسان العقلي والحركي والاجتماعي واللغوي نجد انه
تكون لديه وعي مرحلي لما حوله . من انسان وحيوان ونبات وكون ، وفي
مراحل عليا من قوى وموجودات غير طبيعية أو مادية ... الخ .
وإدراك الإنسان لما يحيط به من قوى وظواهر وكائنات يدفعه الى
ان يتعامل مع هذه الأشياء . ويتخذ التعامل صورة وصيغاً شتى :
فتارة يكون على شكل استغلال ، وأخرى على شكل تعاون وثيق ،
وثالثة على شكل استعمال واستثمار ... وهكذا تختلف طرائق وأشكال
تعامل الإنسان مع نفسه وما حوله .

- ٢ -

ان تعامل الإنسان مع ما حوله ، ومواقفه العملية من الأشياء هو الذي

- ٨١ -

يشكل الكيان السلوكي للإنسان • فالسلوك إذن هو مجموعة المواقف العملية والنفسية والفكرية من الأشياء •

فحين تحمل مسحة تحترق وتقلب بها الأرض فانك تتخذ موقفا عمليا - سلوكيا من الأرض ، ومن العلاقة بينك وبينها ومن المسحة نفسها أيضا •

وحين يحمل الفدائي الرشاش يصوبه الى سدور المحتلين الصهاينة فانه يتخذ موقفا معينا من هؤلاء ، برز على شكل سلوك جهادي مسلح • وهكذا فان السلوك هو الموقف العملي والتعامل مع الأشياء ، والموقف العملي هو السلوك •

- ٣ -

ومن الحقائق البديهية الواضحة ان السلوك ما هو الا انعكاس للفكرة التي يحملها الانسان حول موضوع السلوك (الشيء - موضوع العلاقة) فما من عمل يقوم به الانسان الا وقد سبقته معرفة •

يقول الامام علي « ع » :

« يا كميل ! ما من حركة الا وانت محتاج فيها الى معرفة » •

ويقول الامام الصادق « ع » :

« لا معرفة الا بعمل ، ولا عمل الا بمعرفة » •

فالافكار والمعارف هي التي تخلق السلوك باعتباره موقفا عمليا وتعاملا مع الأشياء التي تحيط بالإنسان •

ولا يوجد هناك سلوك اختياري ارادي واع لم تسبقه معرفة حددت نوعيته واتجاهه وطبيعته ومقداره •

- ٨٢ -

فالمعرفة - اذن - عنصر أساسي في خلق السلوك .

- ٤ -

قلنا : ان المعرفة هي التي تخلق السلوك . لماذا نعي - بالضبط -
بالمعرفة ؟ ان المعرفة المقصودة هنا تشمل أمرين :

الاول : معرفة بالاشياء ذاتها :

أي بطبيعتها وحقيقتها . فلكي يتخذ الانسان موقفا عمليا من الاشياء
لابد أن تحصل عنده معرفة صحيحة بها ، ليكون تعامله معها واستغلالها
واستعمالها مبنيا على أساس هذه المعرفة .

امثلة عملية :

● حين يعرف انسان أن هذا المنزل مهجور ، وأن السباح تسكنه
فانه سوف يتهب من دخوله . بل قد يتخذ موقفا عمليا نهائيا بالامتناع أساسا
من دخول المنزل .

● حين تعرف ان المدفأة النفطية الموضوعة أمامك ليس فيها نطفة .
فانك تعتمد - أول ما تعتمد - الى ملئها بالنطفة وحين ثم اشعال الفتيلة .

● وحين تدرك ان الصلاة هي لقاء بينك وبين خالقك وانها معراج
المؤمن ، وانها هوية الانسان المسلم المؤمن بالعبودية المطلقة لله ، وانها
زاده في طريق الايمان والجهاد ... حين تحصل لديك هذه المعرفة ،
فانك - حتماً - ستقيم الصلاة بشرطها وشروطها : بحضور القلب ، والوعي
المعمق لمعاني الكلمات والحركات ، بالمقدمات والمستحبات والمقبات ... الخ

● وحين تعرف من هو خالقك ، وما هي صفاته ، فانك حتماً ستعامل
معه على أساس هذه المعرفة الاساسية .

وهكذا :-

فإن معرفة الانسان بالاشياء هي التي تحدد موقفه منها ، وشكل تعامله معها ، وكيفية استغلاله لها .

الثاني : معرفة بالآثار المتوقعة :

فلنكني يكون الموقف العملي المتخذ ازاء الاشياء أكثر دقة وانضباطا وصحة ، يجب ان يحصل لدى الانسان معرفة بالآثار التي يتوقع حدوثها نتيجة اتخاذه هذا الموقف - بناء على ان لكل عمل أثراً يترتب عليه .
أمثلة عملية :

● حينما يفهم الطالب ان دراسته المتواصلة لكتبه المدرسية (عمل) ينتج عنه نجاحه الباهر في الامتحانات النهائية (الاثر) فإنه سوف يركز كل جهوده من أجل ان يحقق ذلك العمل .

● وحينما يدرك الانسان ان ذكره لله في كل حال ، بالقلب واللسان (عمل) سينتج له طاعة له فيما امر وانهاء عما نهى ، وتجنب للمعاصي والمحارم ، أي سينتج عنه سلوك اسلامي قويم (اثر) فإنه سوف يحرص على ذكر الله .

● وحينما يعي الانسان ان طاعته لله تعالى واستسلامه المطلق لخالقه سوف يضمن له الجنة ، بينما لا تؤدي المعصية والتمرد الا الى النار .

فانه سوف يجتهد من أجل ان يحقق الطاعة التامة لله سبحانه في السلوك والتصرف والانفعال ... الخ .

واذن :

فقيمة الاعمال بآثارها ، وسلامة الموقف العملي رهينة بمعرفة الانسان للآثار التي يمكن ان تترتب عليه .

من هذا نرجع الى توكيد الحقيقة التي اوردناها في صدر هذا الحديث وهي : ان العمل يتوقف على المعرفة ، وان المعرفة للعمل ، والتلقي للتنفيذ .

فالمعرفة ، اذن ، تحتل اهمية قصوى في صياغة سلوك الانسان وتوجيهه وكذلك تحتل اهمية قصوى في تقرير سلامة السلوك وصحته ، وموافقة للوائع والمطلوب .

- ٥ -

وادرأنا لهذه الاهمية التي تمتلكها المعرفة في توجيه سلوك الانسان هو الذي يفسر لنا سر الاهتمام الكبير الذي يوليه الاسلام - قرآناً وسنة - للعلم والعلماء والمعرفة .

فنرى ان أول سورة نزلت من القرآن الكريم تتحدث عن العلم وتستعمل كلمات علمية :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الاكرم • الذي علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم » • (العلق ١ - ٥)

ويقول الله تعالى أيضا :

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خير » • (المجادلة ١١) •

ويأمر نبيه بطلب العلم « وقل ربي زدني علما » •

وجعل النبي محمد (ص) طلب العلم فريضة :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » •

وقال النبي (ص) لأبي ذر :

« جلوس ساعة عند مذاكرة العلم احب الى الله من قيام الف ليلة يصلي في كل ليلة الف ركعة ، واحب اليه من الف غزوة ، ومن قراءة القرآن كله اثني عشر الف مرة ، وخير من عبادة سنة صام نهارها وقام

ليلها • ومن خرج من بيته ليتمسك باباً من العلم كتب الله عز وجل له بكل قدم نواب نبي من الانبياء ونواب الف شهيد من شهداء بدر •

وقال الامام السجاد (ع) :

• لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه بسفك المهبج وخوض اللجج •

وقال النبي (ص) :

• تذكروا وتلاقوا وتحدثوا ، فان الحديث جلاء القلوب • ان القلوب لترين كما يرين السيف ، وجلأؤه الحديث •

وقال :-

• لا خير في العيش الا لرجلين : عالم مطاع ومستمع واع •

وقال أمير المؤمنين (ع) :

• تعلموا العلم ، فان تعلمه حسنة ، ومدارسته تسييح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وهو عند الله لأهله قرينة لأنه معلم الحلال والحرام ، وسالك بطالبه الجنة ، وهو انيس في الوحشة وصاحب في الوحدة وسلاح على الاعداء وزين الاحلام ، يرفع الله به اقواما ، يجعلهم في الخير ائمة يقتدى بهم ••• بالعلم يطاع الله ويعبد ، وبالعلم يعرف الله ويوحده ••• •

- ٦ -

قلنا : ان المعرفة هي أساس العمل • وكل سلوك أو تصرف أو حالة نفسية يمارسها الانسان انما يستند في ذلك الى معرفة معينة ، فاللبنة الاولى - اذن - في بناء الشخصية ، هي ان يحصل الانسان على معرفة كلية عملية اولية •

- ٨٦ -

والسؤال الذي يطرح نفسه ، بعد كل هذا ، هو :

- ماذا تشمل هذه المعرفة ، وما هي موضوعاتها الاساسية ؟

نستطيع ان نحدد الموضوعات الاساسية التي تتضمنها « المعرفة الكلية العملية » بما يلي :

أولاً : ما يتعلق بالله ، الذي خلق هذا الكون . وصفاته ، وما يترتب عليها من تحديد علاقات مخلوقة به ، سبحانه .

ثانياً : ما يتعلق بالانسان وطبيعته ، وسيرته ، والدنيا التي يعيش فيها ، ثم مصيره الذي سيؤول اليه .

ثالثاً : تقنين العلاقة بين الله والانسان من جهة ، وما يتفرع عليها من علاقة الانسان بما حوله من مفردات هذا الوجود من جهة ثانية .

هذه هي المفردات الاساسية للمعرفة الكلية التي تحدثنا عنها . وما لم يحصل الانسان على معرفة كاملة صحيحة بها ، فليس هناك ضمان من ان مواقفه ستكون صحيحة أو سليمة .

- ٧ -

وحين يدرك الانسان ضرورة المعرفة ، وحين يدرك حقيقة ان سلامة مواقفه ، وبالتالي سعادته ، متوقفة على صحة معارفه وسلامتها ، فإنه حتماً سيبحث عن هذه المعرفة .

وهنا ، يطرح السؤال الثاني نفسه :

- من اين نستطيع الحصول على هذه المعرفة ؟ من هو المصدر الذي يمكن أن نعلم من الى ما يقوله في صدد هذه المعرفة ؟

قبل ان نجيب اجابة مباشرة على هذا السؤال ، يجب ان نقرر ابتداء الحقيقة البديهية التي تقول :

- ٨٧ -

« أنه ليس أحداً من البشر يملك ان يقول انه هو الذي يستطيع ان
يمدنا بما نحتاج اليه من معرفة » .

فان الحقيقة الواضحة هي ان العقلاء من البشر ، قدماءهم ومحدثيهم ،
من ذوي الخبرة والاختصاص في شتى المجالات ، مجمعون على ان ما
يعرفونه لا يساوي شيئاً ، اذا قيس بما يجهلون .

واليك شهادات بعضهم :

● يقول سقراط : « قد انتهى علمي الى ان علمت اني لا اعلم
شيئاً » .

● ويقول انشتاين : « لقد بلغت الآن شيخوختي وأرى ان كل
ما لا بد من معرفته قد عرفته ، ولكنني أرى اني لا اعلم شيئاً » .

● وقال موديس : « كم أكرر القول بانني لا اعلم شيئاً ! وكم
أكرر القول بانه لا يوجد احد يعلم شيئاً ! » .

● وقال الكسيس كاريل : « وواقع الامر ان جهلنا مطبق » .

● وقال نيوتن ، واصفا نفسه بعد رحلته الطويلة في رحال العلم
والبحث والدراسة : « ... كعطل صغير قد وقف في شاطئ البحر يرى
رملاً وحصاة مضيئة ، الا أن بين يديه بحر من المجهولات » .

● وقال غوته : « وبالجمله قد حصلت الفلسفة والطب ... واقف
هنا كالمجانين ، ولم تتجاوز معرفتي عما كنت عليه ... وآخر الامر ارى :
نحن لا نقدر على المعرفة ! بيد ان ادراك هذه الحقيقة يحرق قلبي » .

● وقال عالم آخر : « ... وعندما تزايد علمي ومعرفتي بالاشياء من
الذرة الى الاجرام السماوية ، ومن الميكروب الدقيق الى الانسان ، تبين لي
ان هناك كثيراً من الاشياء التي لم تستطع العلوم حتى اليوم ان تجد لها

تفسيراً أو تكشف عن أسرارها النقاب ... فأننا لا نستطيع ان ندرس لماذا وجد الانسان أو لماذا وجد هذا الكون ، الذي لا يعدو ان يكون الانسان ذرة ضئيلة من ذراته التي لا يحصيها عقل او وصف . *

بعد هذه الشهادات ، نعود الى الإشارة مرة أخرى الى الحقيقة البديهية التي تقول : « انه ليس أحداً من البشر ^(١) يملك المعرفة المطلوبة ، ولن يدعي انسان - الا مجنون - انه يملك المعرفة المطلوبة ، وما يعلمه الانسان - وهو يعلم الكثير - أقل بكثير مما يجهله ، فالمجهول بالنسبة للانسان هو المطلق ، والمعلوم هو النسبي » .

وقد اخبرنا الله - سبحانه - من قبل بهذه الحقيقة ، فقال :

« وما اوتيتم من العلم الا قليلا » .

تلك حقيقة لا يعارضها الا جاهل أو مجنون .

وفي الطرف المقابل : فان الله وحده يملك ما نحتاجه من المعرفة الكلية العملية :

« والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . (البقرة ٢١٦) .

لقد خلق الله الكون ، وخلق فيه الحياة ممثلة بالانسان - كأعلى مراحلها - وهو يعرف كل ما يحتاج اليه هذا الانسان :

يعرف أولاً : ان الانسان بحاجة الى معرفة خالقه وهو يعرف نفسه .

ويعرف ثانياً : ان الانسان بحاجة الى ان يعرف نفسه . والله اعلم بنا

من انفسنا - .

(١) لا نقصد الانبياء والائمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام .

ويعرف أخيرا : كيف ينبغي ان تكون العلاقة بيننا وبينه .

• وهو بكل شيء عليم •

• ان الله يعلم ما في السموات والارض ، وان الله بكل شيء عليم •
(المائدة ١٠٠) •

• والله خلقكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم جعلكم ازواجا • وما
تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه ، وما يعمر من معمر ولا ينقص من
عمره الا في كتاب ، ان ذلك على الله يسير • • (فاطر - ١١) •

واذن : فالانسان لا يعلم شيئا والله يعلم كل شيء •

وحين نفهم وندرك ان الله وحده يملك المعرفة الحقة ، فهذا يعني انه
وحده القادر على ان يمدنا بما نحتاج اليه من معارف وهذا يحتم علينا ألا
نلجأ الا اليه في تحصيل المعارف •

وقد أمدنا الله سبحانه بما نحن بحاجة اليه من المعارف سواء من حيث
النصور الكلي للكون والحياة والانسان ، أو من حيث طبيعة العلاقة بين
الانسان والله ، وأخيرا من حيث الاحكام والتشريعات العملية التي يحتاجها
الانسان في حياته اليومية فرادا ومجتمعاً •

وقد تمثلت هذه المعارف بمصدرها الاول : القرآن الكريم •

وهو كتاب الله ، المعجزة ، الذي انزله على نبيه الكريم محمد (ص) ،
ثم بمصدرها الثاني متمثلا بالسنة الشريفة •

وهكذا ننهي الى النتيجة الاخيرة ، وهي :

انه اذا اردنا الحصول على المعرفة الصحيحة الضرورية لمعاملاتنا
وصلاتنا وافعالنا ، فيجب ان تتجه الى الله وحده في ذلك • • ذلك بان الله
هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل • لقمان ٣٠ •

العلماء والمفكرين الاسلاميين

سبق للكثيرين من العلماء والباحثين الذين توفروا على دراسة كتاب « خمسون ومائة صحابي مخلق » ان توجهوا بمجموعه من الاسئلة تشترك في معنى واحد ، يفصلون منها ان يتفضل المؤلف سماحة الاحام الكبير السيد مرتضى العسكري باحاطتهم والقراء الكرام بصورة مختصرة عن المنهج الذي اتبعه في تعقيقه على كشف الصحابي المخلق دون غيره ، في روايات سيف وغيره والاصول العلمية التي اعتمدها في دراسة اسناد احاديث سيف مقارنا اياها بما ورد عن غيره من الرواة في نفس الخبر والنتائج العلمية التي توصل اليها سماحته من وراء ذلك ..

وقد عثرنا ، من بين دوائع ما خطه قلمه الشريف هذا الحديث :

لما كانت الرواية هي أساس علوم التاريخ والفقه والتفسير وسائر فون الادب في الاسلام وليس لدى علمائها مصدر لتلك العلوم غير الرواية كما يوجد لدى غيرهم أحيانا فقد يرجعون الى أشياء أثرية مثلا ويستنبطون منها بعض معلوماتهم ولما كانت الرواية هي المصدر الوحيد لعلماء الدراسات الاسلامية فلا بد اذن ان يأخذوا الخلف من السلف جيلا بعد جيل حتى يصلوا الى عصر الواقعة فينحصر طريقهم بهذا ولا يجمعون الى شيء آخر كما لا يوحى اليهم من وراء حجاب ! وفيما يأخذون من رواية من العلماء من يذكر سند روايته لكل خبر يذكره كالطبري والخطيب البغدادي وابن عساكر في تواريخهم ومنهم من لا يذكر سنده فيما يروى كالمسعودي في مروجہ واليعقوبي وابن الاثير في تاريخهما .

فاذا كان المتأخر يأخذ الخبر من المتقدم ولا سبيل له غير ذلك ووجدنا خبرا واحدا عند المتأخر ولم يذكر سنده ولا ممن اخذه ووجدنا الخبر نفسه عند المتقدم فلا بد ان نقول ان المتأخر اخذه من المتقدم . وضررنا مثلا لذلك في بحثنا عن سند الاسطورة السبئية في كتاب عبدالله بن سبأ وذكرنا

كيف يأخذ المؤرخون القدامى والكتاب المتأخرون والباحثون من المستشرقين
أسطورة السبئية بعضهم من بعض وكيف ينتهي سند جميعهم فيما ينقلون
إلى أربعة مصادر :-

أ - تاريخ الطبري • ب - تاريخ دمشق لابن عساكر • ج - التمهيد
لابن أبي بكر • د - تاريخ الإسلام للذهبي وكيف إن هذه المصادر الأربعة
نرونها بأساندها عن سيف بن عمر وحده ...

ودرسنا سيف بن عمر فيما سبق من هذا الكتاب فوجدنا إن نشاطه
الأدبي كان في الربع الأول من القرن الثاني الهجري ووجدنا المؤلفين
الأوائل كآبي مخنف لوط بن يحيى (ت ١٧٥هـ) يروون عنه •

ودرسنا عصره فوجدنا العصبية القبلية قد عمت البلاد في عصر ينادى
شعراء قحطان وعدنان بنظم القصائد في مدح أنفسهم وذم القبيلة الأخرى
ووجدنا سيف بن عمر أيضا يتعصب للمعدانيين فيخلق لهم الفضائل في
أساطيره ويتعصب على القحطانيين فيخلق لهم المثالب فيها •

ودرسنا بلداه فوجدناه يصح بالزنادقة الذين يشوشون على المسلمين
دينهم فيما يضعون من حديث ووجدنا سيف بن عمر لا يقل عنهم فيما
وضع من حديث •

ودرسناه في كتاب عبادة بن سبأ فوجدنا العلماء يصفونه بالكذب
ويتهمونه بالزنادقة ويصفون حديثه بالوضع والضعف ودرسنا فيه أحاديثه
حسب تسلسلها الزمني ابتداء بحديثه في بغته اسامة ثم السقيفة ثم قصص
من الردة والفتوح وقارنا بين أحاديثه فيها وغيره فوجدنا العلماء صادقين
فيما وصفوه ووصفوا حديثه بأنه يحرف الوقائع التاريخية التي يذكرها
ويخلق أساطير كثيرة لا أصل لها ويورد كل ذلك بأسلوب الحديث ويضع
لأحاديثه أسناد أو يرويها عن رواية غالبا ما لم يذكرهم غيره ويخلق
لأساطيره شخصا ينسب إليهم الفضولات وبلادا وقمت تلك الأساطير عليها
ووجدنا العلماء قد ترجموا أولئك الأبطال وتلك البلاد في موسوعاتهم ومن

هنا انتشرت مختلفاته من بلاد في عداد البلاد الاسلامية ومختلفاته من
شخص في عداد الصحابة والرواة وقادة الفتوح والامراء والشعراء حسب
ما نسب اليهم من صفة وعمل .
وهذا ما عرفناه من كتاب عبدالله بن سبأ ونعرفه فيما يأتي من ابحاث
هذا الكتاب انشاء الله .

وفيما نحن بصدد في هذا الكتاب من معرفة الصحابة الذين اختلقهم
سيف بن عمر نرجع الى الخبر المذكور فيه اسم الصحابي المشكوك في
أمره ونبحث عن سند الخبر حتى نجده فإذا وجدنا الرواية مروية عن
غير طريق سيف تركنا البحث حول الصحابي اما اذا وجدناها مروية عن
طريق سيف عند ذلك نقوم ببحث واسع في مصادر الدراسات الاسلامية
لنقارن بين ما ورد في حديث سيف وغير سيف فإذا وجدنا الاسم المشكوك
في أمره مذكورا في رواية مروية عن غير طريق سيف أيضا تركنا البحث
فيه واذا لم نجد لذلك الاسم اسماً ذكر في غير روايات سيف قلنا نفرذ
سيف بذكره واعتبرناه من مختلفاته من الصحابة أو الرواة أو البلدان
مثال ذلك : انا وجدنا أخبارا كثيرة من أسرة مالك التميمي ثم العمري
والاسيدي وهم : الصحابيان القعقاع وأخوه عاصم ابن عمر وابن مالك
والصحابيان الاسود بن قطبة بن مالك وابنه نافع بن الاسود وبقية ذريتهم
من افراد هذه الاسرة وشككنا في أمرهم فبحثنا أولاً عن كل خبر ورد عن
كل فرد منهم في مصادر الدراسات الاسلامية وجمعناها خبرا خبرا ثم
ارجعنا الاخبار التي ذكرت بلا سند الى الاخبار ذات السند فوجدنا ان
جميع أخبار القعقاع ينتهي سندها الى ثمانية وستين رواية من روايات سيف
وجميع أخبار أخيه عاصم الى ثيف وأربعين رواية له وأخبار الاسود بن
قطبة وابنه نافع الى قرابة عشرين رواية له .

ثم درسنا أحاديث سيف عن القعقاع فوجدنا فيها اسم ثلاثين راويا لم
نجد لهم ذكرا في غير أحاديث سيف وقد تكرر اسم احدهم في سند ثمانية

وثلاثين من أحاديثه عن القعقاع والآخر في ستة خمسة عشر حديثاً عنه
والثالث في عشرة والرابع في ثمانية وأربعة منهم في حديثين والباقي في
حديث واحد وقد يذكر في سند حديث واحد عن القعقاع اسم أكثر من
راو من هؤلاء الذين اعتبرناهم من مختلفات سيف من الرواة .

ووجدنا في اسناد حديثه عن عامر اسم اثني عشر راوياً لم نجد لهم
ذكرًا في غير حديث سيف يتكرر ذكر اسم احدهم في سند ثمانية وعشرين
حديثاً له وآخر في ستة عشر وهكذا وقد يرد في سند حديث واحد له اسم
أكثر من راو واحد من هؤلاء .

ووجدنا في اسناد حديثه عن الاسود وابنه نافع تسعة رواة كذلك
ووجدنا أيضاً في اسناد حديثه عنهم أسماء مجهولين لم تيسر لنا معرفتهم .
هذا ما كان في اسناد أحاديثه عن أفراد هذه الأسرة ووجدناه يذكر
عنهم أخباراً على عهد الرسول (ص) ويوم السقيفة ومن حروب الردة في
الجزيرة العربية والفتوح في العراق والشام على عهد أبي بكر والفتوح في
الشام والعراق وإيران على عهد عمر وعثمان وأخباراً في الفتن على عهد
عثمان وعلي حتى عصر معاوية ذكر عن أفراد هذه الأسرة بطولات في
الحروب وأرجيز فيها وإمارات على ولايات وكرامات وأخباراً أخرى
تفرد هو بذكر جميعها .

ثبت لدينا تفرد سيف بن عمر بذكر جميعها بعد أن أرجعنا الأخبار
المروية فيها أسماءهم بلا سند إلى أحاديث ذات سند ثم وجدنا أن تلك
الأحاديث رويت كلها عن طريق سيف بن عمر وحده !!

ثم رجعنا إلى كتب السير التي ذكرت تاريخ عصر الرسول (ص)
كسيرة ابن هشام (م ٢١٣ ، ٢٢٧هـ) وعيون السير لابن سيد الناس
(ت ٧٣٤هـ) ونظائرهما فلم نجد لهم ذكراً في ما أوردوا من أخبار عصر
الرسول (ص) .

ورجعنا الى كتب الحديث التي تورد الاحاديث المروية عن رسول الله (ص) بواسطة اصحابه كمسند الطيالسي (ت ٢٠٤هـ) ومسند أحمد (ت ٢٤١هـ) ومسند أبي عوانة (ت ٣١٦هـ) وصحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ) ومسلم (ت ٢٦١هـ) وموطأ مالك (ت ١٧٩هـ) وسنن ابن ماجه (ت ٢٧٣هـ) والسجستاني (ت ٢٧٥هـ) والترمذي (ت ٢٧٩هـ) وكثير غيرها فلم نجد لاحدهم ذكرا في اسناد تلك الاحاديث ولا في متونها .

ورجعنا الى كتب الطبقات كطبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) التي تذكر طبقات الصحابة والتابعين حسب نسبتهم الى بلادهم وطبقة خليفة بن خياط (ت ٩٤٠هـ) والنبلاء للذهبي (ت ٨٤٨هـ) وغيرها فلم نجد لاحدهم ذكرا فيها ورجعنا الى كتب معرفة الرواة كالعلل لأحمد بن حنبل والجرح والتعديل للرازي (ت ٣٢٧هـ) وتاريخ البخاري وكثير غيرها .

ورجعنا الى كتب الانساب كجمهرة نسب قريش للزبيرى (ت ٢٣٦هـ) وجمهرة ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) والانساب للأصمعي (ت ٥٦٢هـ) وغيرها ورجعنا الى كتب تراجم الصحابة كالاستيعاب واسد الغابة والاصابة وغيرها المطبوع منها والمخطوط على قدر استطاعتنا ورجعنا الى كتب التاريخ العام كتاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٠٤هـ) والطبري والتواريخ الخاصة كصفين لصبر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) وتاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١هـ) وكثير غيرها .

ورجعنا الى كتب الادب كالاغانى للأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) والمعارف لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) والعقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) الى كثير غيرها فوجدنا جميع الاحاديث التي ذكرت فيها أسماء هؤلاء الصحابة تنتهي اسنادها الى سيف وحده .

وقمنا بالاضافة الى دراسة اسناد أحاديث سيف بدراسة كل خبر ورد عن سيف في شأنهم على حده مقارنا حديث سيف بما ورد عن غيره

من الرواة في نفس الخبر • وكما نجد بعد ذلك احد اثنين :-

فاما ان يكون الخبر من خبر سيف مختلفا بسنده ومثته وما فيه من شعر وخطبة ومعجزة وحرب ومعاهدة وبطل قائد صحابي ومكان ذكر وقوع الحادث فيه كخبر طاهر بن ابي هالة ربيب رسول الله (ص) عند سيف وحروبه في الردة والاختابث المكان الذي وقعت الحرب فيه وخبر أط بن ابي أط التميمي والنهر المنسوب اليه الى كثير غيرها أو انه حرف خبرا صحيحا ونسبه الى غير صاحبه ممن اختلقهم من صحابة وتابعين أو غير ذلك من أنواع التحريف الذي لا يصدق وقوعه دون الرجوع الى الكتابين وعبدالله بن سبأ وهذا الكتاب •

وبعد كل هذه الدراسات الطويلة وعدم العثور على رواية واحدة مسندة عن طريق غير سيف يذكر في سندها أو متنها اسم أحد أو خبره اعتبرنا هؤلاء من مختلفات سيف من الصحابة •

والفرق بين مختلفات سيف من الصحابة والصحابة الذين كان لهم وجود حقا انه بينما ينحصر ذكر من اختلقهم سيف بأحاديث سيف فحسب نجد ان الصحابة الذين كان لهم وجود حقا يذكرهم كل راو يذكر الخبر المنسوب اليهم • مثال ذلك ان خالد بن الوليد لا ينحصر ذكر اسمه واخباره براو واحد بل يذكره من ذكر سيرة الرسول خبر منها مهاجمة فرسان المشركين من جبل أحد يوم أحد كقائد لهم ويذكر اسلامه من ذكر خبر اسلام من اسلم من قريش بعد صلح الحديبية ويذكره من ذكر خبر وقته بمي جذيمة وكيف اصاب منهم كقائد لتلك الواقعة ويذكره من ذكر خبر قتل مالك بن نويرة وما فعله خالد يومذاك ويذكره من ذكر خبر حرب المسلمين لمسيلمة الكذاب كقائد للمسلمين يومذاك ويذكره من ذكر خبر الفجوح في العراق والشام كقائد فيها وبطل يذكر كل من ذكر خبرا من هذه الاخبار وغير هذه الاخبار من اخبار خالد • ويأتي ذكره في مشات

الاحاديث لعشرات الرواة • وبأني ذكره في جميع كتب السير والحديث والطبقات التي تورعت عن ذكر أحاديث سيف ومختلقات سيف بينما ينحصر ذكر مختلقات سيف بأحاديث سيف والكتب التي اعتمدت أحاديث سيف •

هكذا بحثنا عن كل ضحاوي شككتنا في أمره وسجلنا في آخر كل خبر يجري البحث حوله نتيجة ما توصلنا إليه في بحثنا المقارن عن خبر سيف وسنده • ولا يبقى بعد ما ذكرنا وبعد مراجعة أبحاث هذا الكتاب وجه لنشك في ان الصحابة المذكورين فيه اختلقهم سيف بن عمر عدا الاستبعاد والاستبعاد لا يناهض نتيجة البحث العلمي المقارن •

مثال ذلك ما قيل • هل من الممكن ان يكون سيف اختلق كل هذا ؟ أي كتب تاريخنا من خياله • ان الانسان يتملكه العجب لتلك المخيلة الواسعة ان صح فرضك اذن ! • •

وقد اجبتنا عنه بقولنا • وما المانع منه ؟ وانت نفسك تقول ذلك في جرجي زيدان وقصصه والحريري ومقاماته وواضعي قصص عترة والف ليلة وليلة وكليلة ودمنة الى غيرها من آلاف القصص الادبية والحكمية التي ابدع فيها القصاصون والادباء في كل لسان وخلقوا من خيالهم الخصب شخصيات وأبطالاً لا وجود لها خارج قصصهم وما المانع من ان يكون سيف كأحد هؤلاء أو لا غرابة في ذلك وانما الغرابة في اعتماد بعض المؤرخين على قصص سيف وترك غيرها من الروايات الصحيحة وهناك تساؤلات أخرى تترك الإجابة عليها^(١) •

(١) مثل ما قيل • وكيف خفي امر هذا العدد الهائل من أساطير وشخصيات مختلفة على العلماء طيلة اثني عشر قرناً ليكتشف اليوم ؟ فنقول • لم تتح الفرصة لدراسة سيف وأساطيره دراسة مقارنة في الأزمنة الغابرة كما وفق الله اليوم ليكتشف أمره على العلماء • وما قيل • من اساءة الادب تخطيط علماء كالشيخ الطوسي (ره) في ما ذكره من الضحاوي القمعاق • • فنقول • احترام العلماء لا يقتضي الالتزام بأرائهم • •

وتلقينا بعد نشر هذه الابحاث بالاضافة الى الاسئلة الكثيرة التي مردها الاستبعاد مضايقات شديدة وارهاق من بعض المجامع العلمية الدينية ومن بعض الافراد كذلك ونرى ان منشأها الاعتزاز بما ورنوه منذ أكثر من ألف سنة من علم التاريخ والسيرة وكتبها الموثوقة لديهم وما وهموه من مناقب للسلف الصالح والتأثر من هذه الابحاث التي هدمت كثيرا منها من أساسه وانهم في ذلك يشبه من يملك مجموعة أثرية يعتز بها ايما اعتزاز واذا بخير يقوم بتزييفها مرة واحدة فلا يد ان يصطدم صاحب تلك المجموعة بهذا الواقع المر ويقابل من كشف عن زيف نقائسه بشي من الازورار والجفاء .

« وقل اعملوا »

ولهذا « للعمل في المجتمع اسست مدارس جمعية الصندوق
الغيري الاسلامي على اختلاف درجاتها ولهذا انشئت رسالة الاسلام
و « المجتمع الاسلامي » .

وعلى المؤمنين ان يتعاونوا على اقامتها وادامتها لانها منهم واليههم
« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

من كلام توجيهي للسيد رئيس
الجمعية ومؤسسها



كتب جديدة في المنزلة

صراع

مجموعة قصص اسلامية قصيرة ، للكاتبة المجاهدة بنت الهدى تقع في ٨٢ صفحة تحتوي على مقدمة وخمس قصص هي كالآتي : صراع ، سمود ، ثبات ، مقاييس ، مذكرات .

ولئن كانت هذه المجموعة من نسج الخيال فهي متترعة من صميم الواقع الاجتماعي الذي تحياه الفتاة المسلمة ، ولهذا فان اي فتاة سوف تقرأ في هذه القصص أحداثاً عاشتها وتفاعلت معها أو مرت بها . هدفها : تجسيد المفاهيم الاسلامية والنزول بها من الميدان النظري الى حيز الواقع العملي المتحرك ، وهو أسلوب تربوي من أساليب الدعوة الى الاسلام .

من نافذة هذه القصص القصيرة تطل بك الكاتبة على عالم يحتدم فيه الصراع بين الاسلام والجاهلية الحديثة ، الصراع على مختلف أبعاده ومستوياته ، صراع بين الانسان ونفسه ، من نوازع الخير القطرية التي توجه بطبيعتها الى الدين الحق ، وبين نوازع الشر التي تتحدر بالانسان الى مستنقع الرذائل والشهوات .

وترسم لك الكاتبة بريشتها المبدعة كيف يتغلب الانسان على نوازع
النشر ، بطرق واسس تربوية حدد القرآن الكريم معالمها ومقوماتها ، هذه
العملية التربوية تبدأ من الروح والفكر ، اذ أن التغيير الروحي والفكري
أساس العملية التغييرية الكبرى في حياة الانسان ومن ثم يسير هذا الانسان
في خط تصاعدي على هدي مفاهيم الاسلام وتغلطته الى الكون والحياة .

وصراع بين الانسان المسلم واسرته ، فقد يعيش الانسان المسلم الذي
أمن بالاسلام عقيدة تملأ جوانح النفس ، وسلوكا في الحياة ، وعاطفة
تتبع النزعات الوجدانية ، قد يعيش هذا الانسان في اسرة منحرفة عن
تعاليم الاسلام مما يؤدي الى احتدام الصراع بينها وبينه لاختلاف المفاهيم ،
وتباين الافكار ، ومفارقة السلوك فالاسرة الغير ملتزمة لا ترضى سلوك
فناها وفناها الملتزم .

وصراع بين الانسان المسلم ومجتمعه الذي تمخر عيابه الكثير من
التيارات الجاهلية ، فالمسلم يدعو دينه أن يأخذ بيد المتحرفين وينقذهم
من عالم الضلال ، ويرتفع بهم الى عالم الهداية ، يريد أن يبني الانسان
المسلم من الداخل بعد أن عمل أعداؤه على تقويض دعائم شخصيته اثر
ابعاده عن الاسلام ، وقطع الصلة بينه وبين الله والمسلم وهو يدعو الى دينه
وعقيدته يلاقي في طريقه الكثير من الاشواك والعقبات والسخرية والاستهزاء .
عليه ان يقابلها بصمود وثبات .

وصراع بين الانسان المسلم والحضارة الغربية بمفاهيمها الخاطئة
ومقاييسها المادية الضيقة المبنية على اللذة والمنفعة ، وبما تبعته في الواقع
الاجتماعي من انحراف في السلوك ، وتدمير لصروح الفضيلة ، واجتثاث
لدعائم الاخلاق الاسلامية .

اذن فالصراع هو العمود الفقري لهذه القصص القصيرة ، وقد وفقت
الكاتبة الفاضلة بتطعيم قصصها وتطريزها بالآيات القرآنية الكريمة ،
والاحاديث النبوية الشريفة ، ولقطات مضيئة وحوادث مشرقة من التاريخ
الاسلامي ، كل اولئك بأسلوب أدبي رصين وتسلسل منطقي متين .

مدح الوعي في خطي الأمام الحكيم "قد"

نوري طعمه
السنة الثانية

(١)

قد لا يشك في القول بأن كثيرا من الفعال والمواضيع تقدم نفسها بنفسها ومن ثم فلا داعي للكتابة عنها أو التحدث بها ، غير أن تغيرات أخرى يتضمنها معنى التدوين والعرض ، تجعل صلتنا بها لا من خلال الكتابة فحسب بل من خلال رابطة روحية ونفسية كبيرة . وقد يتجلى ذلك في تخليد ذكريات العظماء وأصحاب القيادات ويكمن السر في الحب والتقدير أو افتفاء الأثر السليم .

وأهم ما يستدعي الفات النظر اليه في حياة القيادات الاجتماعية لتحديد العلاقة بينها وبين عامة الناس هو درجة الوعي وفاعليته في حياة القائد .

ولكي يمكن أن تظهر المقاييس الدقيقة في ذلك ، يحسن أن ننظر الى مفهوم الوعي من زاويتين .

١ - الوعي من خلال النظرية العامة .

٢ - الوعي من خلال النظرية الاسلامية .

وغاية ما تهدف اليه النقطة الثانية هو فهم القضايا وادراكها على ضوء المفاهيم الاسلامية .

وقد كان الوعي وما يزال أسباباً أولية في تبوؤ المكانة السامية في

المجتمعات الانسانية ، وهو العنوان الحقيقي الذي رفع عدداً فذاً من الشخصيات الاسلامية عبر مسيرة الزمن الطويل الى مقام القيادة والتوجيه ، وقد كان نموذج ذلك القريب الى ذاكرتنا راحلتنا الامام الحكيم (قد) ، والحقيقة كما اسلفنا بأن المحبة والاخلاص الذي تمتع به والذي عمر قلب الامة في حياته ، استند على اساس واقعي لا جدال فيه ، وأخذت هذه المحبة مظاهر عدة ، في التقدير والاعجاب تارة ، والافتداء والافتقار أخرى .

(٢)

وليس من اليسير لي أن أنقل صورة مصغرة عما تمتع به الامام الحكيم ، من واقع ملموس الى لغة مجردة لبطل هذا الواقع محتفظاً بصورته وتجسيده الحقيقي .

فلم يكن رحمه الله في علمه انساناً بلغ مرتبة الاجتهاد وأهلية الفتوى بل كان شخصية قيادية رائدة كان الاجتهاد وأهلية الفتوى بعض عناصرها ، ومعنى ذلك انه اعطى القيادة والمرجعية صورتها الحقيقية ، فيما بدا منه تدفق معاني القوة والمنعة في الشخصية والفهم والوضوح للمجتمع والوعي والاخلاص في العمل .

ونحن في هذا المجال القصير لا نهدف الى استعراض شخصية المرجعية والقيادة بمقدار ما تقتصر على استيفاء روح الوعي الناضج من خلال صور نموذجية عاشها في حياته وعاشته في وعيه ، فإذا به ينبوع متفجر ، وعقل منبهر ، وانتهى الى رحاب الله في تجربة فريدة ، خرج منها ، مجاهداً مناصراً ، مدركاً للقضية الاسلامية ملماً بأحداثها ومستقبل الامة المنكوبة .

ويمكن أن تتيح الفرصة لنا بأن نطلع على أبرز مظاهر الوعي الذي نمنعت به زعامة الامام الحكيم ، ليس عن طريق سرد ما مر من احداث وظروف ، لاستحالة ذلك في بحث قصير بل عن طريق اللجوء الى مواقف موجزة لعبت دوراً حاسماً في صياغة العقلية العامة ، وتحملت قسطها في

المسؤولية الدينية والتأريخية .

(٣)

وقبل ان نتمن الخطوة الايجابية في انشاء شبكة « مكتبة الامام الحكيم » لا بأس من استعراض نبذة تتعلق بالكتاب الاسلامي بشكل خاص ، فهو يعيش ظاهرتين بارزتين في مجتمعنا المعاصر .

هي أولا بعد المسلم المعاصر عن الكتاب الاسلامي .

وهي ثانيا تتميز برداءة الورق وقباحة الطبع .

هذا الى جانب عدم توفرها بشكل يسهل تناولها مجانا او بشمن رخيص ، وادى ذلك الى فقدان الكتاب الاسلامي في وقت انتشرت كتب حملت قيما هي ابعد ما نكون عن القيم الاسلامية ومبادئ اشد ما تكون عداوة لها ، وروجت مفاهيم الانحراف والجنس والتخبط ، وتمادى شبابنا المسلم الى هذه المفاهيم الحضارية الجديدة وراحوا فريسة التحلل والتعزق الفكري والعقلي .

وفي هذا الطرف المصيب جاءت بخلة احياء الكتاب الاسلامي بطريقة انشاء « مكتبة الامام الحكيم » لتعمل قدر المستطاع على معالجة الظاهرة الغريبة من جمع جوانبها واستطاعت ان تؤدي فعلا خدمات جليلة في الميدان الفكري والثقافي .

فقد هيئت مقرات خاصة وثابتة للمطالعة يحتوي كل منها على خزانة كبيرة لحفظ الكتب والمجلدات بطرق حديثة يسهل تناولها ، وقد اهتمت هذه المكتبات الى توفير احسن الكتب نوعية وطباعة ، الى جانب ثمرة مجهودها بالعمل على اعداد اكبر عدد ممكن للاقبال عليها وعلى الاجواء الاسلامية التي توفرها ، وكم نمر عن امل بعيد حينما نشاهد بأنه ما من منطقة الا وتخصص بفرع للمكتبة يأخذ دوراً أساسياً في تكوين جيل يستمد فكره وعقيدته من اسلامه العظيم ويستوحي حياته ونشاطه من تأريخه المجيد .

وحيثما يدعوننا السياق بالحديث عن مكونات هذا المشروع الرائع الذي حقق بنجاح باهر كثيراً من النتائج الايجابية ، يجب أن لا يفوتنا التقدير ملياً في ذلك الوعي الناضج الذي مكن من ان يتكرر هذا المشروع وان يضمن مسبقاً نتائجه وأن يضع أسلوباً يعزز النتائج ويقويها ، وقد عبر هذا المنطلق الدقيق عن هدف سام من أهداف الشريعة الغراء في نشر العلم والفكر الديني واستفادة أبناء الأمة من ذلك ، ولا يمكن أن نقول عن المكتبة الاسلامية الحديثة التي اعطاها الامام الحكيم لفتحها الحقيقية ودورها الصحيح اكثر من انها استيعاب للمرحلة العvisية التي تمر بها ، وهي في احسار الرسالة وبعد مفاهيمها تشابه الى حد بعيد المرحلة الاولى التي مرت بها الرسالة في بداية عهدها ، وهي والجمال هذه تحتاج الى روح جديدة ووعي جديد يعمل على قبرة الجيل الناشئ. لأجل أن يأتي عمله مستوفياً لما يتوخاه الفرف الراهن من المام شامل بالاحداث الاجتماعية والموسوعة الاسلامية .

(٤)

واذا ما تبينا دور الكتاب جيداً ندرك بأنه لا يمكن أن يقوم بكل أعباء التوجيه والتأثير والرعاية ، حيث أن صفة الامية أو الجهل المنتشر وعديد من العقبات تمنع من ممارسة دوره على كافة المستويات . فلا بد من وسيلة أخرى تضاف الى مائرة مجاميع المكتبات تقوم بنفس الدور وتؤدي نفس المهمة ، وبذلك فلم يقتصر المشروع السابق عن التعبير عن تلك الرؤيا الواضحة الفريدة التي تمتع بها الامام الحكيم بل أن خطى الوعي الايجابية تعدت الى اختياره ثلة معتمدة واعية تقوم مقام وكالته الجبلية في مناطق منامية ، وكم كان يجهد نفسه في التوجيه والارشاد والمشاركة في صعب الامور ليكونوا مثلاً صادقة للعقيدة التي يتوبون عنها وفي مثل هذا النتائج يمكن تحصيل خلاصة حسنة تفسر طبيعة النتائج وهي بالاختصار .

- انه اتصال مباشر مع الامة بكل صنوفها ومستوياتها •
- وحينما يتم اختيار هذه الوكالة على اساس القدرة والكفاءة •
- ستكون والحال هذه الوكالة الجديرة في عمق التأثير وسرعة الاستجابة •
- احداث قيادات فعلية للجماهير بقدر مسؤولية اعطاهم ثقافات مجدية ، واعية • وشعر بشرف الرسالة الكبرى •
- واذا كان الكتاب اذن ضحية ظروف صعبة شاقة في تحقيق اهدافه فان وجود ممثل المرجعية هو خلق عنصر فعال لصقل الازدهار •
- وحين نتحدث عن الدور الهام لو وكالة المرجعية لا ينبغي أن نحتل دور المنقش أو مصدر الاحكام في حين نحرس على أن نبدي تقديرنا للفهم الناضج لواقع الامة المسلمة واحتياجاتها التي تمتع به فقيدنا وفقيد الامة العالي •

(٥)

وبخلاصة أخرى عبرت عنه فكانت صدى حقيقيا عما اختلج في العقيلة الزائدة وقد تمثل ذلك بـ :

أولا : المشاركة في المؤتمرات الدولية •

ثانيا : الرعاية للاحتفالات الشعبية •

ومن على قمة المسؤولية وكثرة المهام ، مارس الامام الحكيم مشاركته في عدد من المؤتمرات في العالم الاسلامي ، فكانت اللقاءات الفريدة التي تتعاقب فيها ارواح القادة ويلثم الشمل وخاصة في مهبط الوحي ، وارض الرسالة ، وذكريات النبوة ، وكان دوره فيها أن يبحث معهم الشؤون العامة للمسلمين ويتعرض الى مشاكلهم وتنمية الاحساس بالمسؤولية ، ومن واقع المرجعية ومن واقع القيادة كان يستشعر اعباء العمل الى الله ووضع تقديمها الى ما ينبغي العمل اليه ، وبعد ذلك ، فتمت علاقة وثيقة وعميقة ،

فهو يطالب بالحاح بان لا تكون هذه المؤتمرات وسيلة للتهافت ،
والتخاطب ، والتعارف ، مبلغا أن تفعل جهدها وان تقف بوعي وادراك ازاء
المخطر المحدق الذي يحيق بالامة الاسلامية .

ورعايته للاحتفالات الشعبية ترجمت مشاركته للامة في كل فرحة
وعزاء ، ولم تكن هذه المشاركة رمزية جوفاء لا معنى لها ، بل هي عكس
لصورة انهم الدقيق لحياة الامة ورسالتها ، فكان بحق المعبر الاصيل عن
تضايها ، والمترجم عن امالها وصوتها الهادر من الانير . ولا يستطيع القلم
أن يذهب بعيدا فيكشف عن تلك الرائعة أكثر من القول بأنه كثيرا ما
انار اندعشة لمواقفه الاسلامية الصلبة الواعية .

ولعل أكثر ما ركزت عليه الاضواء ، ملاحظة وجود اثر له في كل
ما له علاقة اجتماعية عامة وفي مجريات أمور الامة ، فكان ينبى في حالات
كثيرة وفودا تتوجه بتوجيه سماحته ، تحمل دورا كاملا في اعطاء حق
المناسبة ، فقد كان يشعرهم بالثبته الكبرى الا وهي تقديم مثل الاسلام في
ملككم الاطراف تقديم ذكيا واعيا ، ولقت نظر الجماهير الى فاعليته ذات
الانر الحاسم .

وواجب الانسان القائد في مثل هذه الحالات ، أن يكون مصدرا من
مصادر الاشعاع الفكري والثقافي ، وان يصير متبرا حيا يعالج فيه مختلف
القضايا التي تهم بالجماهير ، انه بطبيعة الحال خلية حية من خلايا المجتمع
مولودة في انماء الوعي ، وفي تكوين الفرد المسلم وفي بناء الفكر الراسخ ،
له من الحنكة والحكمة ما يفرض قيادته فرضا .

وعندما يكون للكلمة المؤمنة ، الواعية ، الصادقة ، دورها الفعال
في استقطاب القلوب ، وشد النفوس ، يكون الطريق لصاحب الكلمة أيسر
وبعده اقصر ، ويتمكن من اعطاء صورة ناطقة للدين الخفيف في شموله
لكافة مرافق الحياة .

(٦)

وتتوالى الادوار لأبراز الاهلية للادلاء ، بأوضح الآراء واقرها الى

روح الاسلام فعدى رحمه الله منارة تروى اليه العشود وملاذا تهفو اليه العقول . وليس لنا أن نحقق في المآثر الشخصية له كبناء المدارس الدينية والعميرات والمساعدات وما الى ذلك لأن ذلك ليس في سبيل البحث الذي نطرقه ، الا انه (قدس سره) كان ضربا فريدا في سعة مداركه وامتداد ذكائه فقد كان يدرس في الفقه والاصول دروسا يفد اليه العلماء فخلق امكانات هائلة وكشف عن مؤهلات عالية .

وقدواء ذلك الصوت المجلجل الصامت كانت ابلغ من تعبير مقال نصيفة وأقوى من حديث لمجلة وأبعد من ترديد لنشرة ، انها كلمات قيادة اسمعت المجتمع برمته رنينها الصامت فأحدثت تغييرا اجتماعيا كبيرا ، ومارس رحمه الله هذا الدور على مستويين بارزين هما :

الاول - الفتاوى الشخصية .

الثاني - الفتاوى العامة .

ومارس الفتاوى الشخصية بأعباره مجتهدا من أكابر مجتهدي العصر ، ورسالته هذه فرضت عليه لأن يشارك في قضايا الانسان المسلم خاصة ، وأن يكون كذلك حارسا على المبادئ والقيم العليا ولذا فأهم ما في ذلك هو ما أحدثته الفتاوى العامة في مجريات الاحداث الاجتماعية لستى البلاد الاسلامية وأحوال اممها . وطبعيا أن ارتباط الامة الاسلامية بقادتها العلماء ، تفرض على القادة الوثوب اتجاه المفاهيم المستجدة واتخاذ موقف ازاءها . وكان دور الفتوى للامام الحكيم أن يبت في شؤون كثيرة الامة الاسلامية وكيف لا وهو أخرى بشؤونها وهو أدري بطروفيها .

(٧)

وأخيرا نقول ان معنى هذا النتاج العاطر والثمر المتشع كان يكمن في وعي الامام الحكيم وادراكه العميق الذي جعل منه مرجعا لا يفهم منه فرض وجوده دوز عمد وأساس بل كان حصيلة عاملين مهمين هما اللذان

يهيئان دوما لاعباء المرجعية والقيادة وهي :

١ - امتلاكها للادوية - وهي توضيح لسعة دائرة التأثير في الامة .

٢ - الامكانية القيادية - وهي تبين لقابلية توجيه الجماهير .

ناهيك عما تميز به الاهتمام البالغ في شؤون المسلمين حتى المقربين منهم وحتى في اخرج لحظات حياته ، وكم هو منظر بليغ حينما يزوره احد رؤساء الطوائف الاسلامية من بلد مقرب بعيد الاوطان للاستفسار عن صحته ، فاذا يسأله بالحديث عن الاحوال العامة للامة هناك . ولا أتصور بان الامة التي عاشت الامام الحكيم بقيادته وعاشها بتوجيهه الرشيد ووعيه السيد سوف تنسى قائدا من قادتها الفرائد ، فرحم الله حكيما ، وجزاه عن امته خير ما يجزي صادقا بصلق .

من اقوال السيد الحكيم قدس سره :

~~~~~

« ان المسلمين جميعا مدعوون للتوبة الى الله سبحانه والرجوع الى صراطه المستقيم ، وبناء حياتهم ، على اساس تعاليمه وتشريعاته ، وتغيير الوضع الاجتماعي للامة تغييرا اسلاميا شاملا ليغير الله ما بنا ( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ) ويبدل ذلكا بعز ، وانكسارنا بنصر ، وضيقتنا بوجود حقيقي فعال » .

١٦ - ٢٠ / ١٠ / ١٩٦٧

المؤتمر الاسلامي بعمان

# ملفتي الآراء

## غزو الغزو الفكري

للاستاذ : احمد مختار قطب

المحامي امام محكمة النقض بالقاهرة

تعرض العالم الاسلامي لتوعين من الغزو • اولهما : غزو عسكري واقتصادي آثاره ظاهرة في كل مكان من امكنة العالم الاسلامي ، وغزو آخر أكثر أهمية من الغزو الاول وهو الغزو الفكري أو العقائدي •• ونقول ان الغزو الاخير أكثر أهمية ، لانه ينال المجتمع في كيانه ، ويهدم شخصيته ، ويتركه بعد ذلك فريسة لأي عدوان •

ومن آثار الغزو الفكري تلك الآراء التي أخذت تتردد كثيرا على ألسنة بعض المنقذين من وجوب فصل الدين عن المنهج العلمي ، واعتقاد الكثيرين انه لا بد لتحقيق أي نصر علمي من ان يستهدف أول ما يستهدف تحرير الانسان من سيطرة العقائد الدينية عليه ••

ومن آثار هذا الغزو الفكري أيضا ان أي تنظيم أو تفكير سياسي يجب أيضا ان يضع الدين في اطار بعيد عنه ، وذلك لان الدين يؤدي حتما الى تخدير الجماهير العريضة من الشعوب ، ويلقي في روعها ان من التدين قبول الهوان والرضا بما يقولون انه مكتوب عليهم •

ومن آثار الغزو الفكري أيضا القول بوجوب فصل الدين عن الدولة بدعوى ان الدولة العلمانية هي غاية ما يطمح اليه البشر ، فلا يكون الدين

في نظرها محور التفكير والغاية المرجوة .

والواقع ان الامة الاسلامية تتمزق تحت تأثير هذا الغزو الفكري ، وهو يكاد يحطم وحدتها ويفقد أفرادها التفكير في دينهم كرابطة تربطهم ، ليس فقط في العبادات ، وانما في كل مناهج الحياة .. ولقد ساعد على هذا التمزق هذا التخلف الذي عانته الامة الاسلامية وعدم دراسة أسبابه دراسة علمية ، والاكتفاء بالاسباب الجاهزة التي تضعها اوروبا لتخلفها في الماضي ..

وحكم ان المغلوب مولع دائما بتقليد الغالب فقد ولعنا بهذا التقليد فعندما قالوا ان النهضة الاوروبية نتجت عندما استطاع العلماء التخلص من سيطرة الدين .. قلنا انه يجب علينا نحن ان نحاول التخلص من سيطرة الدين حتى نرتقي مثلهم ..

وان قالوا : ان ديمقراطيتهم وضمان الحريات عندهم وصلوا اليها بعد تحطيم سلطان الكنيسة .. قلنا انه يجب علينا ان نفعل ذلك . وان قالوا أخيرا : ان تحقيق العدالة الاقتصادية لا تكون الا عن طريق اعتناق أسلوب التفكير المادي ، قال بعضنا بذلك ..

#### نظرة سطحية :

والرأي الذي اعتقد انه صائب يتلخص في ان التفكير بالصورة السالفة ينطوي على نظرة سطحية للامور ، وتطبيق قواعد وتحليلات ان جازت ان تكون قواعد وتحليلات صحيحة بالنسبة للغرب فهي ليست كذلك بالنسبة للعالم الاسلامي ، ولن نحاول هنا الكلام عن الاسباب الحقيقية للوقفة الحالية للعالم الاسلامي ، وانما نقرر ان الثورة على الدين هناك كانت لاسباب لا علاقة لها بالدين الاسلامي ، بل ان الدين الاسلامي عندما نزل انما جاء لتحطيم هذه الاسباب ، قبل ان تحطيمها اوروبا بأربعة عشر قرنا .. فهم يقولون مثلا : ان التفسيرات التي اعطتها الاديان لجميع الظواهر الكونية كقصه خلق الارض وتأريخ العالم وهي الاجابات الواردة بالتوراة

أو بديانات الشرق الأقصى .. كلها اجابات غير مقبولة من ناحية العقل ،  
فالقول بأن الله خلق الارض في ستة أيام ، وانه كان يستريح بعد كل  
مرحلة ، ثم أخذ راحة في يوم كامل بعد انقضاء الايام الستة ، الى غير  
ذلك من الأقوال سواء وردت في كتب مقدسة اعترافا بالتحريف ، أو جاءت  
في تفسيرات لاحقة من الكنيسة أو من المسؤولين عن شؤون هذه الاديان  
كلها انما هي أقوال لا يقبلها العقل ، وهي تحول بينه وبين الانطلاق ..  
واذ كانت الكنيسة واقفة بالمرصاد لكل من يمس الحلول التي ترتضيها ،  
فلا بد اذن من الثورة عليها وجعل العلم بعيدا عن سلطانها .. واذا كانت  
تتمنع الى جوار السلطان الديني سلطان دنيوي حكومي فلا بد اذن من فصل  
الدين عن الدولة ، وابقاء السلطة الروحية لها فقط ..

ومن هذا التفكير وهذا الجو .. نشأت جميع الشعارات التي نسمعها  
وتتأثر بها من وجوب فصل الدين عن الدولة واستقلال العلم عن الدين .

### والاسلام غير ذلك :

وهذا القول وهذه النتائج لا تنطبق بحال من الأحوال على الدين  
الاسلامي فلم يعط الاسلام اية اجابة ربانية للمسائل الكونية ، وما يتفرع  
عنها ، سوى ان كل ما في الكون ارادة مطلقة يكون بعدها الشيء بمجرد  
ارادته ، وان علينا ان نتدبر الكون وندرسه من اعلى ما فيه ، وهو السماء  
والنجوم الى ما تتصوره انه أدنى ما فيه .. وان كل ما في هذا الكون  
مسخر لنا بأذن الله ، وان حدود المعرفة والعلم لا نهاية لها الا ارادة الله ،  
فحيث امكننا الوصول الى أي قدر من العلم فهو في حدود المباح لنا ،  
والمأذون لنا فيه ، لا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء .... والفارق  
الوحيد بين العالم المؤمن والعالم غير المؤمن ان الاول يتخذ من علمه سبيلا  
للايمان والتدبر في عظمة الله ، والعالم غير المؤمن يتخذ من علمه سبيلا  
لمحاولة اثبات استقلال الانسان عن ذلك .... وجعله قوة بذاته قد تفصل

عن خالقها فيما بعد وتصبح هي وحدها قوة خالقة ..

ومن هذا المنطلق .. انطلق علماء المسلمين في بحث كافة مناحي المعرفة ، ولم يسمع في التاريخ الاسلامي حادث واحد لاضطهاد عالم من العلماء بسبب اجتهاده العلمي وجهده .

فهناك من قال بأن الارض مسطحة « تفسير القرطبي » وغيره قال ان الارض « كروية » الملل والنحل وكلاهما تمتع بحرية تامة في عرض رأيه العلمي ... وتأريخ خلق الارض وبدايته ونهايته تعرضوا لها تعرضا علميا رائعا ، وقالوا في تعرضهم ان كل حكم قاطع في ذلك جاءت به التوراة أو غيره من الكتب السماوية السابقة على الاسلام انما هو غير صحيح ، ولا يقبله العقل ، وان الامر في هذا الشأن من خصوص علم الله الذي نحصله بالبحث والمعرفة والتمحيص والتفكير ، وأود ان يمتع القارئ نفسه بقراءة الجزء الثاني من كتاب الفصل في الملل والنحل للإمام ابي محمد علي بن أحمد ابن حزم ، وفيه يرى هذا الاسلوب العقلي الرائع ..

فحقيقة الوضع ان الثورة التي تزعم النهضة الأوروبية انها قامت بها لتحرير العقل انما جاءت في حقيقة امرها متفقة مع اتجاه الاسلام ، فهي تهدم معتقدات كان من المفروض ان يستمر الاسلام ماضيا في هدمها ، وعندما يتحرر هذا الانسان الغربي من نير القيود التي فرضت عليه لن يجد عند الدراسة والتعلم الا ان الاسلام هو المنقذ الوحيد الذي يصلح بين عقله وقلبه بل ويجعل عقله خادما لعقيدته ويجعل من تفكيره سلما لارضائه وجدانه .. وهذه هي السعادة الحقيقية والامل المنشود للبشرية .. والآن وبمناسبة ابحاث الفضاء ومحاولة الوصول الى كوكب الزهرة ومناسبة الوصول الى القمر لن نجد دينا دعا اهله الى هذه المحاولات قدر الدين الاسلامي .. والذي يقرأ الآية الكريمة التي وضعناها في صدر هذه الخواطر يراها دعوة صريحة لذلك فهي تدعو الناس جميعا الى ان تنظر

ماذا في السموات والارض وان النظر بجميع وسائله يطلعنا ويوضح لنا  
مضيق الايمان .

والنظر الذي تدعونا اليه الآية الكريمة يشمل كما قلنا كل ما يمكننا  
منه الله من وسائل المعرفة فننظر بالعين المجردة « الم تجعل له عينين » وننظر  
بالميكروسكوب أو بتصميم الآلات الدقيقة التي توصلنا الى نظر اكثر اقترابا  
وعمقا أو حتى المعاينة .. وعمل هذه الآلات واستعمالها يدخل في الالتزام  
لنا باستعمال كل علم نصل اليه « وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ » .

وعلى ذلك لو كنا نفهم ديننا حق الفهم لتأكدنا وثيقنا ان كل تقدم  
علمي هو واجب علينا وانه بالنسبة للمؤمنين يزيدهم ايمانا وبالنسبة  
للمشككين يعرض عليهم عظمة القدرة الالهية التي من المفروض ان تكون  
باعثا لهم على الايمان .. اما المستعدون للضلال فهم لا يتخذون من هذه  
الكشوف الا سبيلا للكفر والتكبر .

فيا ايها المسلم اينما كنت وعلى أي حال كان وضعتك لتعلم ان العلم  
فريضة عليك وكل مرحلة تصل اليها يجب ان تكون قاعدة لانطلاقة أخرى  
« وقل رب زدني علما » وكل ما يمكن ان نصل اليه هو قطرة في علم  
أكبر .. ولا حرج عليك ما دمت لا تتخذ من علمك سلما للفرور الكاذب  
بأدمنتك ظانا ان الانسان بوصف انه انسان قد يكون مصدر القوة وحدها .

« الزم جماعة المؤمنين »

يا حذيفة : الزم جماعة المؤمنين وامامهم

قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا امام

قال : فاعتزل تلك الفرق كلها حتى يدركك الموت

« رواه مسلم »



فتاوى نوره

## مسائل متفرقة

اجاب عليه المصنف الوديعي الشيخ الامام الحكيم  
قدس سره

- ١ - هل يجوز للفقير اخراج زكاة الفطرة ؟  
ج - يستحب للفقير اخراجها .
- ٢ - هل يشترط في زكاة الفطرة الاسلام ؟  
ج - لا يشترط في وجوبها الاسلام فتجب على الكافر ولا يصح اداؤها منه فيأخذها الحاكم قهراً .
- ٣ - هل يضر الفصل بالصبي المميز في صلاة الجماعة ؟  
ج - لا يضر الفصل بالصبي المميز اذا كان مأموماً الا مع العلم بطلان صلاته .
- ٤ - ما عدد المأمومين الذين تنعقد بهم صلاة الجماعة ؟  
ج - أقل عدد تنعقد به الجماعة في غير العيدين والجمعة اثنان احدهما الامام واما في الجمعة والعيدين فلا تنعقد الا بخمسة أحدهم الامام .

# حول العالم الإسلامي



بقلم

عباس فاضل السعدي

ماجستير في الآداب (جغرافية)

## « الموقع »

تقع جزيرة سقطرة في المحيط الهندي ، جنوب شبه جزيرة العرب ، في القسم الجنوبي الشرقي من خليج عدن • وهي تبعد حوالي (٢٣٠) كيلومترا عن رأس غردقوي ، ممتدة بين خطي طول (٤٥° ٥٠') و (١٠° ٥٢') شرقا ، وخطي عرض (٥٠° ١١') و (٣٠° ١٢') شمالا • وبلغ طولها حوالي ١٢٠ كيلومترا ، وعرضها في حدود ٣٥ كيلومترا (١) •

(١) وردت تقديرات متعددة حول طول الجزيرة وعرضها ، فقد ذكر ياقوت ، وأبو الفداء ، والهمداني أن طولها يبلغ (٨٠) فرسخا ، وأشار (عمر رضا كحالة) أن طولها ٧٥ ميلا من رأس شواب في الغرب إلى رأس ردرسة في الشرق ، وأقصى عرض لها ٢٠ ميلا (أنظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، المجلد الثالث ، دار بيروت ودار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ٢٢٧ ، وأبو الفداء ، تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠ (الطبع بالوافست) • ص ٣٧١ ، والهمداني ، كتاب



### « المساحة والنفوس »

تبلغ مساحة الجزيرة ٣٩٢٦ كم<sup>٢</sup> (٢) ، ووردت في مراجع أخرى أرقام مختلفة (٣) . وجاء في دائرة المعارف الإسلامية ان عدد سكانها ١٣٠٠٠ مسلم (٤) . وذكرت تقديرات أخرى غيرها (٥) .

صفحة جزيرة العرب ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٥٢ - ٥٣ ، وعمر رضا كحالة ، م ، س ، ص ٣٧٢ .

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ، بإشراف محمد شقيق غريال ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٩٨٦ .

(٣) ذكر عمر رضا كحالة (ص ٣٧٢) ان مساحتها ٣٥٧٩ كم<sup>٢</sup> ، وفي دائرة معارف البستاني ١٣٠٩ ميل<sup>٢</sup> (٣٣٩٠ كم<sup>٢</sup>) وفي دائرة المعارف الإسلامية (٤٧٠/١١) ١٥٢٠ ميل<sup>٢</sup> (٣٩٣٦ كم<sup>٢</sup>) .

(٤) تكتيش « سقطرى » ، دائرة المعارف الإسلامية ، مجلد ١٢ ، ص ٤ .

(٥) جاء في الموسوعة العربية الميسرة (ص ٩٨٦) ان عددهم ١٢٠٠٠ نسمة ، وعند عمر رضا كحالة (ص ٣٧٣) ٣٠٠٠ نسمة من العرب والزنج .

### « اهل الجزيرة »

ذكر ياقوت ان « ارسطوطاليس » كتب الى الاسكندر ، حينما سار الى الشام ، في أمر هذه الجزيرة يوصيه بها ، فأرسل اليه جماعة من اليونانيين لسكنهم بها بسبب وجود النصر القاطر الذي يقع في ( الأيارجات ) . فلما حصلوا بها غلبوا على من كان بها من الهند وملكوا الجزيرة بأسرها . فلما مات الاسكندر ، وظهر المسيح (عليه السلام) تنصر من كان بها من اليونانيين وبقوا على ذلك الدين<sup>(٦)</sup> .

وقال ياقوت ان فيها من جميع قبائل مهرة ، وبها عشرة آلاف مقاتل ، واكثر اهلها نصارى عرب<sup>(٧)</sup> . وأشار الهمداني الى وجود ممثلين لجميع القبائل في الجزيرة ، وقد نقل كسرى (خسرو) بعض الروم اليها واحلهم فيها محلهم . وسكنت قبائل من مهرة بجوار هؤلاء الروم واشتق فريق منهم النصرانية . في حين يقول أهل عدن لم يدخلها احد من الروم . ولكن فني اهلها الرهابة وسكنتها قبائل مهرة وقوم من الشراة . وظهرت فيها دعوة الاسلام ، ثم كثر بها الشراة فعدوا على من بها من المسلمين فقتلواهم<sup>(٨)</sup> . وتدل الاحوال اللغوية فيها على وجود صلات وثيقة باللغة المهرية .

ولعل ملوك الاحباش هم الذين ادخلوا النصرانية الى الجزيرة . وسادت الحضارة الفارسية بلاد العرب ، ثم ظهرت فيها دعوة الاسلام . فدالت دولة النصرانية فيها شيئاً فشيئاً<sup>(٩)</sup> . وبها مسجد بموضع يقال له السوق .

(٦) ياقوت ، م . س ، ٢٢٧/٣ .

(٧) ن . م ، ٢٢٧/٣ .

(٨) الهمداني ، م . س ، ص ٥٣ .

(٩) دائرة المعارف الاسلامية ، م . س ، ٤٧١/١١ - ٧ .

وورد في مراجع أخرى ان عددا من النازحين جاؤا اليها لأغراض تجارية • ويتكون هؤلاء من العرب والهنود والروم • ولا يزال اهلها الى ان يوم خليطا ، فوجد في الساحل الشمالي الصوماليين والسواحليين والهنود الى جانب أهل البلاد العرب •

ويذكر « بيربي » ان اهلها ما يزالون شبه عراة ، يتكلمون لغة عربية • وهي تخضع لسلطان مستبد يجهل حتى عود الثقاب في عصر الصواريخ • ويسكن القسم الأكبر من الاهلين في مغاور اللال الصخرية في الداخل بين أشجار البخور (١٠) •

### « الوضع الجغرافي »

تعتبر جزيرة سقطرة والجزائر الأصغر منها التي تدخل في هذه المجموعة ، مثل جزائر عبد الكوري ، والاخوين ، وسمحة ، ودرزة ، وسمبوة ، من الناحية الجغرافية جزءاً من اريقيا الشمالية الشرقية حيث تشبه التشكيلات الجغرافية والجيولوجية لساحل الصومال الشمالي • وتمتد السهول في اطرافها الشمالية في حين تتخللها الجبال في بقية مناطقها • اما من الناحية السياسية فيمكن عدها من بلاد العرب الجنوبية • وكانت تتبع محمية عدن اداليا •

### « الثروة الاقتصادية »

للجزيرة أهمية زراعية ، وزراعتها تعتمد على الري لوجود جداول مياه • والري في القسم الشرقي منها أفضل منه في سائر نواحيها • وحينما توجد رطوبة كافية تنبت فيها عدة أنواع من النباتات • وأهل البلاد الذين يسكنون على طول الساحل الشمالي يولون الزراعة بعض عنايتهم • وتشتهر الجزيرة بالنخيل والتمر الهندي والتبغ والقطن والعود والصبر ، ومن حاصلاتها الاخرى البخور والرقي • واشتهرت منذ القدم بـ « دم الاخوين »

(١٠) جان جاك بيربي ، م. س. ، ص ١٩٢ •

وهو صمغ شجر لا يوجد الا في هذه الجزيرة ويسمونه القاطر .  
ويعيش سكانها على تربية الحيوانات كالبقرة والغنم والماعز والحمير ،  
اضافة الى العمل في الزراعة وصيد الاسماك واستخراج اللؤلؤ .  
اما مكائنها التجارية فقد كان الملاحون القادمون من الهند ينزلون بها  
حاملين معهم الأرز والقطن الهندي ، يأخذون سلاحف البحر . واشتهرت  
الجزيرة ، في الازمنة القديمة ، بلبنائها وكان لها شأن بوصفها مركزا من  
مراكز التجارة البحرية بين الهند وبلاد العرب وافريقية الشرقية .  
ومن العوائق التي تقف بوجه تجارتها انه ليس للجزيرة ، التي هي  
معرضة للرياح الموسمية ، خليج تلجأ اليه السفن طوال العام ، لذا لا يلجأ  
اليها الا التجار الهنود وصيادو الحيتان للتزود بالملح .

ولا تزال ( تمرودة ) ، الواقعة على الشاطئ الشمالي الشرقي ، هي  
خير المرافق . ، اضافة الى كونها العاصمة ، والى الشرق منها ( بندر دليشه ) ،  
ومن مدنها الاخرى ( ديمري ) في الطرف الجنوبي الشرقي من الجزيرة .

### « سقطرة في التاريخ »

عرفت جزيرة سقطرة في الازمنة القديمة باسم ( ديوسفوريدس )  
وكان يعتقد « اغاثر قيدس » انها من املاك جنوبي بلاد العرب . وفي عهود  
قديمة كانت تابعة لتلك حضرموت . استعمرها اليونانيون بمشورة  
ارسطوطاليس لصبها الجيد . وتحدث ياقوت وغيره من المؤرخين عن  
سيطرة العرب في الجزيرة . ويمكن القول ان سقطرة كانت تسودها  
الثقافة العربية حتى القرن التاسع عشر<sup>(١١)</sup> .

لقد سادت سمعة الجزيرة في القرون الوسطى فوصفت بانها كانت

---

(١١) دائرة المعارف الاسلامية ، م . س ، ٤٧١ / ١١ - ٧ و ١٢ / ٧ .

وكرأ للقراصنة ، وكان أول اتصال لها بأوروبا ما حدث من احتلال برتغالي لها سنة ١٥٠٧ - ١٥١١ حينما حط ( البوكرك ) فيها وترك قلعة صغيرة<sup>(١٢)</sup> ، كما بسط امام مسقط سلطانه على الجزيرة زمنا طويلا ، ثم اعقبه سلطان قشم . وكانت بعثات التبشير المسيحية تعمل فيها في القرن السابع عشر . وفي القرن التاسع عشر اكتسحتها الحركة الوهاية ، وساد المعوذ الانكليزي فيها سنة ١٨٣٥ عندما أقامت شركة الهند الشرقية محطة تزويد البواخر بالفحم ، على ان الانكليز هجروا هذه المحطة عندما احتلوا عدن سنة ١٨٣٨ . ثم عاد اهتمام الانكليز بها سنة ١٧٨٦ لاسباب سياسية ، وعقدت بريطانية معاهدة مع سلطان الجزيرة ، وهو سلطان قشم فكفلوا بذلك ان تكون سقطرة منطقة من مناطق نفوذهم . وكان السلطان المقيم فيها من ذوي قريى سلطان قشم . وأصبحت سقطرة سنة ١٨٨٦ محمية بريطانية خاضعة لعدن وتتبع بومباي الهندية<sup>(١٣)</sup> .

### « جزائر كومورو »

#### « الموقع »

وهي مجموعة من الجزر تقع في المحيط الهندي بين الطرف الشمالي الغربي لجزيرة مدغشقر وساحل موزمبيق الشمالي . تبعد عن مدغشقر بحوالي ٣٠٠ ميل . وهي تابعة لفرنسا منذ سنة ١٩٤٧ ، وفيها قواعد جوية . اكبر هذه الجزر كومورو الكبرى ( القصر الكبرى ) وجزيرة ( موهيلي ) ثم جزيرة ( ميوت ) على خط طول ٤٣° و ٤٥° شرقا على التوالي ، وبين خطي عرض ١١°٥ و ١٣° جنوبا .

(١٢) الموسوعة العربية الميسرة ، م.س ، ص ٩٨٦ .

(١٣) دائرة المعارف الاسلامية ، م.س ، ٧/١٢ .



#### « المساحة والسكان »

تبلغ مساحة الجزر ٢٣٣٦ كم<sup>٢</sup> (٤١)، وهالك تقديرات غيرها وردت في مراجع أخرى (١٥). أما عدد السكان ففي احصاء ١٩٥٨ بلغوا

Ency. Brit., Atlas International, p. 213. (١٤)

(١٥) جاء في الموسوعة العربية الميسرة (ص ١٥١٦) ان مساحتها

(١٨١٢٨٨) نسمة وارتفع العدد في احصاء ١٩٦١ الى حوالي ١٨٥٠٠٠ نسمة . ووصلت الكثافة (١٩٥٨) ٧٧ر٦ نسمة/كم<sup>٢</sup> . ويبلغ معدل نسبة الزيادة (١٩٦١) ٣٪<sup>(١٦)</sup> . وفي احصاء آخر بلغ العدد من ربع مليون مسلم و ١٥٠٠ مسيحي<sup>(١٧)</sup> . اضافة الى تقديرات غيرها وردت في مراجع متعددة<sup>(١٨)</sup> .

يتألف السكان من عناصر متعددة كالعرب الذين نزحوا اليها منذ القرن الثامن أو التاسع الميلادي ، ثم الفرس من شيراز في القرن الخامس عشر ، كما جلب اليها الرقيق من افريقيا . وقدمت عناصر من الملايو ومدغشقر خاصة الى جزيرة انجوان . وتوطن السكالا في جزيرة مايوت ، ثم توالى هجرات الاوربيين من البرتغال والهولنديين والفرنسيين الذين اتخذوها منفى للمعارضين للثورة الفرنسية ونقلوا اليها بعض سكان جزائر رينون وبعض الهنود بل والصينيين أيضا<sup>(١٩)</sup> .

وتفاوتت كثافة السكان بين الجزائر المختلفة ، فهي تتراوح بين ٥٠ نسمة في الميل المربع الواحد في جزيرة موهيلي ، و ١٢٥ نسمة في جزيرة مايوت و ١٧٥ نسمة في جزيرة كومورو الكبرى ، و ٣٨٠ نسمة في جزيرة انجوان . كما تفاوتت الكثافة داخل الجزائر نفسها تفاوتاً واضحاً ، فنصغر

---

١٦٨٣ كم<sup>٢</sup> . وفي جغرافية العالم ( دولت أحمد صادق وآخرون ، جغرافية العالم ، ج ٢ القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٥٩٤ ) ٨٧٤ ميل<sup>٢</sup> ( ٢١٥٠ كم<sup>٢</sup> ) ، وعند فيليب رفل (ص ٥٦٧) ٢١٧٠ كم<sup>٢</sup> منها كومورو الكبرى ١١٤٨ كم<sup>٢</sup> ، وورد نفس هذا التقدير في الاطلس العربي (ص ٤) .

Ency. Brit., Op. Cit., p. 213.

(١٦)

(١٧) فيليب رفل ، م.س ، ص ٥٦٧ .

(١٨) جاء في الموسوعة العربية الميسرة (ص ١٥١٦) ان عددهم ١٧٧ر٠٠٠ نسمة ، وفي الاطلس العربي (ص ٤) ٢٠٧ر٠٠٠ نسمة .

(١٩) دولت أحمد صادق ، م.س ، ٥٩٦/٢ .

الملكيات وتفتت . والواقع ان أكثر الاراضي الزراعية لا يملكها زراعتها ، فالشركات الزراعية والملكيات الكبيرة ، غير المعنى بها ، القليلة السكان والانتاج قد ضيقت الخناق على ما يزرعه المزارعون . لذلك فالهجرة الى شمال شرقي مدغشقر وزنجبار وبين الجزائر نفسها واضحة سواء أكانت هجرة دائمة أو فصلية للعمل<sup>(٢٠)</sup> .

#### « المدن المهمة »

تحتل مدن الجزر الطابع العربي في تخطيطها وطرازها المعماري وأهمها « دزاودزي » في جزيرة ميوت ، وأهم الموانئ « موروئي » في جزيرة كومورو الكبرى ويبلغ عدد سكانها ٦٤٤٨ نسمة ، وفي تقدير آخر ١٠٠٠٠ نسمة ، و « موتسامودو » ٤٦٣٧ نسمة .

#### « الظروف الطبيعية »

كومورو عبارة عن جزائر بركانية ، وقد نشأت معخروطات بركانية على طول انكسار يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، بعد فترة الميوسين ، بعضها ما يزال نشيطا مثل جبل ( كارتالا ) الذي يبلغ ارتفاعه ٧٦٧٦ قدما في جزيرة كومورو الكبرى . كما توجد أعمدة من البازلت يبلغ ارتفاعها ٢٠٠٠ قدم في جزيرة موهيلي . كذلك يوجد جبل بركاني ارتفاعه ٨٥٠٠ قدم يرى على بعد ١٠٠ ميل في المحيط . اما في بقية الجزر فينتشر بها الالاف الحديثة المسامية التي لم تسمح بعد بتكون مجاري لصرف المياه سطوحيا . كما يغطي البعض الآخر الرماد البركاني . ولذلك فإن موارد المياه تختلف بين مياه الشرب التي الف الناس استساغتها ، وعصير النرجيل في المرتفعات ، وآبار ضحلة تنتشر على السواحل حيث تطفو المياه العذبة فوق مياه البحر المالحة فضلا عن خزانات المياه<sup>(٢١)</sup> .

---

(٢٠ . ٢١) دولت أحمد صادق وآخرون ، م . س ، ٥٩٦/٢ .

أما الجزائر الأخرى التي تقام فيها العهد على خروج البازلت فقد أصبحت التربة فيها سوداء كثيرة الصلصال . كما تجري المياه فوق سطحها ، ولأنك إن نشاط الإنسان بالحرق أو استغلال الأرض بطريقة معينة أثر على خصوبة التربة وخصائصها ، ولكن أكثر أنواع التربة خصوبة هي الرملية على سواحل الجزائر حيث تختلط المواد المنقولة بالمحلية .

ويختلف المطر اختلافا واضحا من جهة لأخرى في أرجاء الجزيرة الواحدة ، تبعاً لاختلاف الارتفاع واختلاف طبيعة الرياح . فالرياح الجنوبية الشرقية التي تمر على جزيرة مدغشقر مثلاً جافة . ورغم ما هو مأثوف من تباين المطر من عام لآخر في أفريقية المدارية فإن اختلاف المطر بين عام وآخر هنا أشد وضوحاً وابعداً أثراً في حياة سكان جزيرة مثل كومورو الكبرى التي حرمت من المياه السطحية الجارية أو الجزائر المنخفضة مثل موهيلي .

وتتابع نطاقات النباتات الطبيعية من السواحل إلى الغابات المدارية التي تصل إلى منسوب ١٣٠٠ قدم . وقد اجتث أكثرها لزراعة النارجيل . وتظل الغابات الطبيعية تنمو في الجهات التي تعد أكثر ارتفاعاً حتى منسوب ٥٨٠٠ قدم ، في حين تنمو فصائل أضخم منها فوق هذا المنسوب .

#### « الثروة الاقتصادية »

تباين طرق الإنتاج وأغراضه ، فيزرع النارجيل في السواحل المنخفضة الغنية وارض المرتفعات الذي أدى إلى جرف التربة في الجهات المرتفعة . وتربى الماشية والماعز في الجهات المرتفعة التي تخلو من ذباب ( تسي تسي ) . وقد قدم المضاربون من أصحاب المزارع الكبيرة الذين تنافسوا في اقتناء واحجاز الاراضي التي بلغت ٣٥٪ ( ٢٠٠٠٠٠٠ فدان ) من مساحة الجزائر تاركين ٢٢٠٠٠٠ فدان نحو ١٧٦٠٠٠٠ مزارع أي

بمتوسط ١ ½ فدان لكل مزارع • وإزاء تفكك المجتمع وضيق السكان بحرمانهم من أراضي المزارع الكبيرة أخذ أصحابها يوزعون عليهم قطعاً صغيرة من الأرض لتزرع بالمحاصيل الغذائية • ففي انجوان نجد ٣٢.٠٠٠ رطل من العمال الزراعيين ينتجون هذه المحاصيل في مساحة لا تزيد على ٧٢٠٠ فدان فقط • ويتكون إنتاجها الزراعي من محاصيل هذه المزارع الكبيرة كقصب السكر والتارجيل والبن والكاكاو • وتجه الآن نحو البذور الزيتية والسيسال والفانيليا والقرنفل<sup>(٢٢)</sup> • كما تنتج أشجار جوز الهند والموز والكسافا والذرة •

ويربي السكان الماشية والماعز والأغنام • ويصل معدل مجموع المنتجات البحرية السنوي ١١.٥٠٠ طن متري • أما التجارة الخارجية فقد بلغت قيمتها حسب إحصاء ١٩٦١ نحو ١٩.٩٦٠.٠٠٠.٠٠٠ فرنك • وتصل قيمة الصادرات استناداً إلى نفس الإحصاء ٦.٨٧.٠٠٠.٠٠٠ فرنك حيث تصدر أغلب منتجاتها إلى فرنسا ومالاكسي والولايات المتحدة • أما وارداتها فقد بلغت حسب إحصاء ١٩٦١ نحو ٩.٠٩.٠٠٠.٠٠٠ فرنك تستورد المنتجات البترولية والسكر والرز من فرنسا ومالاكسي<sup>(٢٣)</sup> • واستناداً إلى إحصاء ١٩٦٠ بلغت الصادرات ٥.٥٢٨ طناً بما قيمته ٨٨٠ مليون فرنك ، والواردات ٢.٠.٠٠٠.٠٠٠ طن بمقدار ٩٤٠ مليون فرنك<sup>(٢٤)</sup> •

### « التربية والصحة »

نموا لإحصاء ١٩٦١ يوجد في هذه الجزر ٤٨ مدرسة ابتدائية وثانويتين ، ويقدر عدد طلابها بحوالي ٥٠٠٠ طالب • وفيها سبع مستشفيات مجموع غرف النوم فيها ٣٩٢ ، إضافة إلى تسعة أطباء •

(٢٢) دولت أحمد صادق وآخرون ، م.س ، ٥٩٧/٢ •

(٢٣) Ency. Brit., Atlas International, p. 213.

(٢٤) فيليب رفته ، م.س ، ص ٥٦٨ •

### « لمحة عن تطورها السياسي »

قبل سنة ١٩١٢ كانت جزيرة ميوت فقط هي المستعمرة ، وفي تلك السنة صدر قانون فرنسي يجعل بقية الجزر مستعمرات بعد ان كانت محميات . وبين ١٩١٤ و ١٩١٦ كانت تتبع جزيرة مدغشقر . وفي ١٩٤٦ كان فيها جمعية منتخبة من ٣٠ عضوا ، وفي سنة ١٩٥٧ تكون مجلس حكومي يرأسه ( سيد محمد الشيخ ) يتألف من ٦ - ٨ وزراء ينتخبون بواسطة الجمعية الاقليمية . وتمثل جزائر كومورو في الجمعية الوطنية بباريس (٢٥) .

### « موريشيوس »

تقع هذه الجزيرة في المحيط الهندي على خط عرض ٢٠° جنوبا ، وعلى خط طول ٥٧°٥ شرقا ، على بعد ٥٠٠ ميل شرق جزيرة مدغشقر . ولموقعها اهمية استراتيجية اذ تمر بها الطرق الجوية بين افريقية وسيلان واستراليا .

تبلغ مساحتها ١٨٦٥ كم<sup>٢</sup> ، وعدد سكانها ٧٥٠.٠٠٠ نسمة ، كثافتها سديدة حيث تزيد على ٤٠٢ نسمة/كم<sup>٢</sup> ، ويغلب على سكانها العنصر الهندي . عاصمتها « بورت لويس » . ويبلغ عدد سكانها ١٢٠.٠٠٠ نسمة . وتبلغ نسبة المسلمين فيها حوالي ١٦٪ من مجموع السكان .

مرت الجزيرة بثلاثة ادوار من النشاط البركاني بين منتصف الزمن الثالث وعصر البلايستوسين . ومناخها غير متطرف الا في حالة حدوث العواصف . ويتفاوت المطر الذي تحصله رياح الجنوب الشرقي بين ١ - ١٥٥ متر على السواحل الجنوبية الشرقية ، وخمسة أمتار في منطقة تقسيم المياه ، و ٨٥ سم على السواحل الغربية .

(٢٥) ن.م ، ص ٥٦٨ .

وحين انشئت مزارع قصب السكر في أواخر القرن الثامن عشر نقل حوالي ١٥٠٠٠٠ من زنج افريقيا وجلب عدد كبير من الهنود والصينيين وسكان مدغشقر . وهي تنتج حوالي ٦٠٠٠٠٠ طن من السكر . ويشغل قصب السكر ٨٥٪ من الأراضي الزراعية و ٩٨٪ من صادرات الجزيرة . كما يزرع فيها الشاي والطباق إضافة الى نمو الغابات .

وكانت الجزيرة معروفة لدى البحارة العرب في القرن العاشر الميلادي . وقد اتخذها البرتغاليون محطة للتأمين في طريقهم الى الهند بين سنة ١٥٠٥ و ١٥٢٨ ، ثم امتلكها الهولنديون سنة ١٥٩٨ وبعدم الفرنسيون سنة ١٧١٥ ثم البريطانيون عام ١٨١٠ . وفيها حكومة ذات مجلس تنفيذي وآخر تشريعي ، وهذه المجالس مسؤولة أمام الحاكم البريطاني العام . وفي الفترة الأخيرة نالت استقلالها .

### « ريونيون »

تقع جزيرة ريونيون في المحيط الهندي جنوب غربي جزيرة موريشيوس ، وعلى بعد ٤٢٠ ميلا شرق جزيرة مدغشقر ، عند خط عرض ٢١° جنوبا ، وخط طول ٥٥° شرقا . تبلغ مساحتها ٢٥١١ كم<sup>٢</sup> ، وعدد سكانها ٣٧٥٠٠٠ نسمة . وهم خليط هاجروا من جزائر كومودور وموزمبيق والهند الصينية والصومال ومدغشقر ومناطق أخرى إضافة الى وجود بعض الاوربيين . تبلغ نسبة المسلمين في الجزيرة ٢٪ من سكانها . وكثافة السكان (١٥٠ نسمة/كم<sup>٢</sup>) مقرونة بانخفاض مستوى المعيشة . عاصمتها « سنت ديس » التي يبلغ عدد سكانها ٦٦٠٠٠ نسمة .

تقع الجزيرة على انكسار يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ، نشأت على طول البراكين ، تتراوح الامطار بين متر ونصف الى ثلاثة أمتار . ولعامل الارتفاع أثر في اعتدال الحرارة .

أصبح محصول البن أول المحاصيل التجارية في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، ثم تحول الاتجاه لزراعة البهارات حتى سنة ١٨٣٥

حين تحول الى زراعة قصب السكر الذي يعد حالياً أهم محصول اذ يشكل ٨٠٪ من صادراتها • ويزرع فيها أيضا القانيليا والذرة والطباق والجيرايوم والخضروات والكروم ، وتنمو فيها الغابات • ويشغل السكان أيضا تربية الحيوانات وصناعة الليذ • وأهم وارداتها الأرز والمنسوجات •

كان أول من احتلها الفرنسيون سنة ١٦٣٨ ، فاستخدمتها شركة الهند الشرقية الفرنسية لتموين السفن المارة بالأغذية والمياه • وفي سنة ١٩٤٦ أصبحت مقاطعة فرنسية وراء البحار تدار بواسطة مجلس منتخب ، وهي ممثلة في المجلس الوطني بباريس •

### « جزر سيشل »

مجموعة من الجزر تتألف من ٩٠ جزيرة تقع في المحيط الهندي بين خطي عرض ٤ و ١٠ جنوباً ، وبرزها ٢٩ جزيرة ، وأهمها جزيرة ( ماهي ) التي تقع على خط حول ٥٥° شرقاً وخط عرض ٥° جنوباً ، وعلى بعد ١٠٠٠ كم من شمال جزيرة مدغشقر ، وبمسافة ٢٢٠٠ كم من الساحل الأفريقي ( على نفس خط عرض جزيرة بومبا ) •

تبلغ مساحة هذه المجموعة ٢٦٤ كم<sup>٢</sup> ( ومساحة ماهي وحدها ١٤٢ كم<sup>٢</sup> ) ، وعدد سكانها حوالي ٥٠.٠٠٠ نسمة ( ١٩٦٠ ) • عاصمتها فكتوريا في جزيرة ماهي ، ويبلغ عدد سكانها ١٢.٠٠٠ نسمة •

تتكون هذه المجموعة من صخور الكرانيت التي تبدو فوق سطح المياه كهضبة مغمورة بالمياه • وتسود فيها الرياح التجارية الجنوبية الشرقية من الشتاء الجنوبي ، وهي ضعيفة قيساً عدا شهري تموز وآب حين يسقط المطر الغزير نسبياً •

أهم منتجات جوز الهند والذرة وقصب السكر والقانيليا والبن والتخيل • وتذهب ٧٠٪ من صادراتها الى الهند ، في حين ان أغلب وارداتها من بريطانيا • كما تربي فيها الحيوانات •

وهي مستعمرة بريطانية امتلكتها من فرنسا سنة ١٧٩٤ ثم نبتت ملكيتها لبريطانيا بموجب معاهدة باريس سنة ١٨١٤ •

# اسماء مجموعة

## هكذا خرجني المعهد

ولا مرة يحدثنا الصحفيون عن هذا الذي تقول أنت عنه أنه وراء هذا الكون • أنا ملحدة • هكذا خرجني المعهد الذي تلقيت فيه دراستي الثانوية • ورسخ الامر في نفسي تحصيل جامعي لم يؤت فيه ولا مرة ذكر الله •  
الصيد

آذار ١٩٧٠ العدد ١٣٣١

## المرأة وكراسي الحكم

في دراسة قامت بها إحدى المجلات الألمانية اتضح أن معظم النساء اللواتي يصلن الى مناصب في العالم تتراوح أعمارهن بين ٢٥ و ٥٥ سنة • • وقد اتضح أن معظمهن يتجهن الى الاعمال الاجتماعية ووسائل الاعلام والقليل منهن يحاول الوصول الى الشهرة عن طريق العمل السياسي • • وقد اتضح من هذه الدراسة أنه لا توجد امرأة واحدة في العالم كله تعمل في وزارات الدفاع والحربية • • وان كان المكان الوحيد الذي حصلت فيه المرأة على أكبر نسبة هو مجلس السوفيت الاعلى لان ٣٠٪ من أعضائه من النساء • • وفي حكومة ألمانيا الديمقراطية تمثل المرأة ٢٧٪ من عدد الاعضاء بينما في السويد تصل النسبة الى ١٤٪ وفنلندا ١٣٪ • • اما بالنسبة للنساء اللاتي وصلن الى منصب الوزارة في الولايات المتحدة وفرنسا فلا تعدى ٢٪ بينما عدد الوزيرات في بريطانيا حاليا وصل الى سبع وزيرات •  
آخر ساعة

العدد ١٨٤٥ ٤/مارس/١٩٧٠

## الفلسفة الوجودية قالت ما عندها

### وقرأنا ما قالت

وكانت الوجودية تدعو الى أن يشعر الانسان بأنه حر ، وحر جدا  
وان يرفض يدوس له أي انسان آخر على طرف حريته ، حر  
في أن يعيش وفي أن يرفض الحياة • حر في أن يكون رجلا أو يرفض  
هذه الرجولة • أن يكون مؤمناً أو كافراً ...

ولكن هذه المشاعر أوجعت القلب والرأس معا ، ولم تقدم لنا حلولاً  
وانما عرضت علينا خريطة دقيقة للسفر الى بلاد كثيرة • ولكن لم تسمح  
لنا بالسفر • عرضت علينا قائمة طعام دقيقة وأنيقة ومخيفة أيضا • لكن لم  
تقدم لنا أي طعام • وانما عمقت عندنا الشعور بالجوع • والشعور بالتخمة  
ولكن لا طعام هناك !

ولكن يظهر أن الفلسفة الوجودية قالت ما عندها • وقرأنا ما قالت •

آخر ساعة

أنيس منصور

العدد ١٨٤٥ / ٤ / مارس / ١٩٧٠

• • •

### الشباب يشكو الضائع !!!

انني ضائع يا سيدي ... ضائع حقاً •• في متاهات من الافكار  
الجديدة المخلطة بالرواسب القديمة : ضائع بين المثل العليا والمبادئ  
الجديدة التي يعتنقها معظم أفراد جيلي •• « لمعلوماتك ان عمري ١٧ سنة »  
ضائع في تيار الثورة والتغيير •• ضائع بين اطاعة الابوين وتقديسهما والطاعة  
العمياء لهما وبين التمرد عليهما وتركهما •• كم من مرة يا سيدي  
تساجرت مع والدتي « والدتي فقط » فوالدي يتفاهم بيديه أيسر من

التفاهم العقلي ، لاسباب ومناقشات فارغة وكم خاصمت أختي لانها فكرت في شق عصا الطاعة عليهما .. ضياعي هذا أدى الى جريي الى دروب الشباب المتلوية ، وأقلها مطاردة الفتيات .. ولكنني كلما تماديت في هذه الدروب ازداد ضياعي وازدادت آلامي وزاد شعوري .. وأنا الآن مصمم على أن يكون لي هدف رئيسي أسير اليه .. لا تقل ليكن هدفك النجاح . فأنا في الخامس العلمي وناجح .. وأظن هذا شيئاً جيداً .. انما أنا لا أدري ما هو هدفي ... انني أبحث عن شيء يتشغيني من ضياعي .

الف باء

العدد ٩٣ السنة الثانية ٦ أيار ١٩٧٠

ص ٣٥

### قالوا !!

طالما ان اللبنانيين يعيشون أوضاعاً تنقلب فيها عوامل الاستمتاع بالحياة على عوامل استحقاق الحياة وتحمل مسؤولياتها ، فانه من الصعب على الدولة أن تطبق القانون وأن تخوض معركة المصير .  
والبعض الآخر يرد الاوضاع المتردية الى انقطاع الصلة بين القمة والقانون أي بين الحكم والشعب .

الصيد

٣٠ نيسان / ١٩٧٠ العدد ١٣٦٦

### اننا نتكلم كثيراً

نحن ننزلق أحياناً بين الشعارات وبين المعلومات ، أفكاراً كانت أو وقائع . أي اننا نتكلم كثيراً .. ولكننا في الحصيللة النهائية لا نقول شيئاً .

محمد حسنين هيكل

آخر ساعة

العدد ١٨٥٤ ٦/مايو/ ١٩٧٠

### الانسان وعصر الصعود الى القمر

على الصعيد المعنوي سترداد معرفة الانسان بأمور الطبيعة أكثر فأكثر ،  
أما على صعيد كفايات الانسان الحياتية اليومية ، فإن حالة البؤس والمرضى  
والجهل ما زالت متفشية .

- وإذا كان ملايين الناس الآن يعرفون الشيء الكثير عن سر القمر .
- إلا أنهم ولا شك يعرفون الشيء الكثير عن بؤس الانسان المعاصر .

الصيد

٣٠ نيسان/العدد ١٣٦٦

### زعامة .. لا تحسد عليهما

قالت صحيفة « نيويورك تايمس » ان أكثر من مليون و ٥٠٠ الف  
إصابة جديدة بأمراض تناسلية تقع في أمريكا كل عام مما جعل هذا المرض  
من أوسع الأمراض انتشارا في أمريكا باستثناء مرض الرشح العادي .

الصيد العدد ١٣٨٠

## نافذة على الحضارة الغربية

صورة للمساءة في مجتمع بنيت حضارته على التفسخ

« السيد الحامل »

نشرت مجلة تايم الأمريكية في أحد أعدادها الأخيرة خبراً طريفاً بعنوان ( السيد الحامل ) مع صورة رجل - حامل ! وقالت فيه ان هذه الصورة التي تم توزيعها على شكل ملصق جداري وبشكل واسع في بريطانيا هي جزء من الحملة التي تستهدف تقليص عدد ولادات الاطفال غير الشرعيين . ومن الملاحظ أن هذا العدد قد تضاعف عدة مرات في غضون السنوات العشر الأخيرة . ويعتقد الدكتور وليام جونز مدير مجلس التربية الصحية أن نشر هذه الملصقات الجدارية بشكل واسع سوف يؤدي الى تأنيب ضمير الرجال الذين لا يقعون من المرأة سوى المتعة ومن ثم يركونها وحيدة تواجه مشاكل الحياة مع طفلها انها صورة المساءة في مجتمع بنيت حضارته على التفسخ .

هل من مزيد !!؟

اثبتت السنوات الماضية أن المبالغة في تعرية السيقان أدت الى شعور الفتاة الاوربية بالرغبة في المزيد من التحرر والانطلاق بطريقة تنساق وتعارض مع مستقبل الأسرة أو الشعور بالمسؤولية .

آخر ساعة

العدد ١٨٤٥ / ٤ مارس / ١٩٧٠

\* \* \*

## سرب من طائرات الهليكوبتر للبحث عن كلب

روى وزير بارز في سهرة عائلية ضمت عددا من الاصدقاء حادثة طريفة .

تفاصيل الحادثة : أن سيدة لبنانية ذات مكانة عليا ، تقتني كلبا ضخما فتمهده في أكثر أوقات فراغها . وحدث أن الكلب خرج ولم يعد ، فأنار ذلك اهتمام السيدة التي طلبت البحث عن الكلب ، والمجيء به حيا أو ميتا !

وبعد عملية تفتيش واسعة على الطرقات وأماكن مختلفة لم يعثر على الكلب ، فكان لابد من الاستعانة بطائرات الهليكوبتر للعثور عليه . وبالفعل حلقت الطائرات للبحث عن الكلب . وكانت المفاجأة : اثنان من الطلاب كانا يلعبان فتشاهدا الكلب الهارب وهو من النوع الذي لا يؤدي ، وأمسكا به وحطت طائرة الهليكوبتر لتحمل الكلب والطالين الصغيرين الى السيدة ذات المكانة العليا .

أطرف ما في الحادثة هذه أن السيدة تعرفت على الطالين الطفلين وحصلت منهما على عنوان منزل أبويهما ، وأبلغتهما أنها ستقيم لهما حفلة خاصة تكريما ... وبمناسبة عودة الكلب بالسلامة .

الصيد

٥/آذار/١٩٧٠ العدد ١٣٢٨

# اقرأ يسألون؟

س : وردنا من الطالب كريم سعيد يسأل عن حقيقة الاسلام ومفهوم التسليم لله ولرسوله ولأئمة المسلمين .

الاسلام حياة :-

الاسلام حركة حية وحياة نابضة ، كل معارفه عملية ، توجه سلوك الانسان ، وتحدد له مواقفه ، وترسم له اتجاهه في الحياة .  
فاذا أخذنا معرفة ، أو قرأنا القرآن أو أدبنا صلاة ولم تغير فليست تلك المعرفة ، هي المعرفة الحقة وليست تلك الصلاة هي الصلاة الحقة ، على هذا النحو يكون الارتباط والاقتران بين الاسلام والحيوية .  
ان معنى الحياة واضح ، فالانسان الحي يعني انه يتنفس يتحرك ينمو ، والانسان الميت لا يفعل ذلك فهو لا يتنفس ولا يتحرك ولا ينمو ، ويتفسخ بعد مدة فهو لا يقوى على الحفاظ على هيكله وكيانه بعكس الانسان الحي تماما .

الانسان المسلم انسان حي نابض بالحيوية ، والحركة ، والنشاط ، ويقوى على ان يحافظ على هيكله وهو ينمو شيئا فشيئا .

الانتماء للإسلام ولادة جديدة :-

فمن ارتبط بالاسلام أو دان به وانتمى اليه يعني انه ولد من جديد وبدأ يتنفس هواء جديدا ويأكل طعاما جديدا ويعيش جوا جديدا وهو عندما فتح عينيه في هذه الحياة الجديدة لابد ان يرى عالما جديدا وكونا جديدا وهكذا فهو مخلوق جديد : أحاسيسه أحاسيس جديدة وسلوكه

سلوك جديد واخلاقه اخلاق جديدة فهو انسان غير الانسان الذي كان قبل ارتباطه بالاسلام وحياته غير الحياة التي كان يحياها من قبل ، وانوليد انحي لا بد ان ينمو والجميع ينتظر منه هذا النماء ، واذا حدث ان رأيت ان ابنك لا ينمو على مر الايام فهو هو بعد مرور خمس سنوات وهو هو بعد عشر ، ان قرارك سوف لا يقر سوف تذهب به الى الاطباء وتنفق عليه المال سحيا لانك ايقنت ان في ابنك خللا ما انه مريض فلا بد من ان تطلب له الشفاء . كذلك الحال بالنسبة للمسلم فهو حين دان بالاسلام وانتمى اليه ولد من جديد ولا بد للمولود الحي من النمو ومن جميع مظاهر الحياة الاخرى ، ولكن الغريب ان عدم نمو المولود الحي هنا لا يثير عجبك واتباهك ولا يدهشك كأنه امر طبيعي .

جسم انسان أو حالات حيوية مشهودة تلفت نظرنا ، وانسان مسلم يصلي واذا به بعد عشر سنوات من صلاته هو هو لم ينم ، ولم يتغير هذا لا يلفت نظرنا ولا يثير فينا الدهشة والعجب لماذا ؟ الجواب لانه لم يتوفر لدينا المقياس الذي تقيس به مقدار نمو الناس ونميز به بين من هو ينمو نموا طبيعيا وبين المرضى وذوى الخلل وبين النامي وغير النامي .

### من هو المسلم ؟

كل منا يقول : أنا مسلم . ولكن يا ترى أنقولها ونحن ندرك ما تعنيه هذه الكلمة ، أرايت جنديا فر من الجندية ، أرايته كيف يتوازي عن السلطة وهو على الدوام قلق خائف ، وبعد مدة يأتيك النبأ انه سلم نفسه ، انك لاشك سوف ترى عليه علامات التسليم لقد حلق رأسه وارتنى ملابس الجنود فتعرف انه سلم نفسه حقا وعاد الى الجندية ، كذلك من يسلم نفسه لله تعالى له علامات تراه يتقطع عن الناس ثلاثة أوقات في كل يوم قبل طلوع الشمس وعند الظهر ووقت المغرب ليصلي يركع ويسجد ويبتلو هذه علامة من علامات التسليم لله تعالى .

## الاسلام خريطة حياة ربانية كاملة :-

كل حركة كل عمل ينبغي ان يكون الانسان المسلم متقادا فيها لله - عز وجل - فلا يكون مسلما متقادا لامر الله تعالى في الصلاة فحسب ، بل في جميع حركاته وأعماله يكون قد اسلم لله تعالى فهو قد اسلم نفسه وجميع ما يملك لله عز وجل فلا ينصرف في شيء ولا يتحرك حركة الا كما يريد الله تعالى منه ان يتحرك ويتصرف وكما تعلم الصلاة من شخص عارف بها كذلك يجب ان يتعلم كافة تصرفاته الاخرى وبقية حركاته واعماله من العالم باحكام الله تعالى والا فهو ليس بمسلم .

ان للاسلام تبعات يجب ان يتحملها ، تبعات تغير حياته كلها اذ هناك فارق كبير واضح بين مسلم لله ومسلم لغير الله للهوى للطاغوت ، لكل خريطة حياة خاصة ، هذا يصلي ويذهب الى بيوت الله ويصوم شهرا معينا في السنة وهذا يشرب الخمر ويذهب الى بيوت الفسق والمكر ومتى انتهى الطعام أكل أو نكس نام أو تعب اخلد الى الراحة دون قيد أو شرط ...

فهناك خريطة خاصة لحياة المسلم يعرف بها كل فرد ينتسب للاسلام نفسه هل هو حقا مسلم ؟ وكم هو مسلم ؟ وكم حصل لديه انحراف عن منهج الله تعالى وصراطه المستقيم ؟ فاذا اردت ان تكون مسلما عليك ان تأخذ خريطة كاملة من الله تعالى لكل حياتك وتصرفاتك ، مواقع هذه الخريطة مواقع ربانية الله هو الذي رسمها وحددها بعكس المسلم لغير الله - عز وجل - وعندما يتحول شخص ما من مسلم لغير الله الى مسلم لله علامة تحوله ان تتغير خريطة حياته ويحس هو ان مجرى حياته قد تغير ، ان الاسلام خريطة حياتية ، خريطة كاملة لا تترك جزءا كبيرا ولا صغيرا الا ووضعت له موضعه .

ان رسم هذه الخريطة وقف على الله تعالى وحده ، اذ الاسلام هو التسليم والخضوع والانقياد الكامل لله وحده اذا خضعت او انقذت لشیطان

أو هوى ذهب الاسلام تغيرت الخريطة وتغيرت مواقعها الربانية .

#### التسليم للرسول تسليم لله :-

كلنا يريد ان يكون مسلما لله وحده وكلنا يريد هذه الخريطة ليعرف متى اسلم لله ومتى اسلم لغيره متى استقام ومتى انحرف ولكن هذه الخريطة وقف على الله وحده ، والله تبارك وتعالى لا يتصل بكل انسان وهو سبحانه للطفه بنا لا يريد ان يحرمنا خيرات هذه الخريطة ، فمقتضى لطفه - سبحانه - ان يصطفى واحدا من البشر يؤدى عنه تعالى هذه الخريطة للناس ، ان البشر الذين عرفوا ذلك الانسان المصطفى المرسل من الله العزيز الحكيم سوف لا يترددون في التسليم له لان التسليم له هو تسليم لله وحده لان الله تعالى هو الذي أمر بالتسليم له ، فالتسليم لله وحده لا يتم الا عن هذا الطريق .

#### معنى الشهادتين :-

الاسلام لله وحده هو المعنى الذي تؤديه كلمة ( لا اله الا الله ) اذ الاله هو الذي يستقطب حياة الانسان كلها ، ولا يوجد غير الله تعالى يستحق هذا الاستقطاب . والتسليم لله وحده لا يتم الا عن طريق التسليم للرسول المبعوث من قبل الله تعالى دون غيره من الناس وهذا هو مفهوم ( اشهد ان محمدا رسول الله ) صلى الله عليه وآله وسلم .

#### الر الرسول في حياتنا :-

والآن بعد ان نكون قد حصلنا على هاتين القاعدتين ، فلنحاول ان ننصور كم لهذا الرسول من اثر على حياتنا ، لو ان ( النبي ) هذا ، ظهر بيننا كيف يكون الانصياع والانقياد له حيثذ ، أليس كل منا سوف يسلمه نفسه وكل شيء ، اذن فالنبي هو اولى بالمؤمنين من انفسهم ، أي انه لو أراد منهم انفسهم يعطونها له .

### التسليم للامام تسليم للرسول :-

ويعلم الرسول (ص) بعلم من الله ان حيلاته الشريفة اشرفت على الانتهاء وانه (ص) قرب اجله واذن بالرحيل فما كان منه (ص) وهو عائد من حجته مع ما يقارب (١٠٠) ألف من المسلمين الا ان يوقف الحجاج في الصحراء الملتفة تحت وهج الشمس المحرق ليخطف بهم وذلك لامر الله عز وجل الذي لا مرد له ولا مناص له من تنفيذه .

ان هذا الامر لا بد ان يكون على درجة كبيرة من الخطورة نعم انه كذلك . لقد قال لهم (ص) : ( الرواية بالمضمون ) في خطبته : ( الست اولى بالمؤمنين من انفسهم ) قالوا : بلى . قال : ( من كنت مولاه ) أي من كنت معه بهذه الصورة احتل كل كيانه فانا مولى له ( فهذا علي مولاه ) تحول التسليم من الرسول (ص) لان الرسول يريد ان يغادر يريد ان يرحل الى الآخرة ولا بد من واحد يرجع اليه المسلمون لذا تحول التسليم الى ( علي ) ( ع ) .

### التسليم للمرجع تسليم للامام :-

وهكذا ... وهكذا .. كلما تنتهي حياة امام يتحول التسليم الى امام آخر بعده وكل ذلك بأمر من الله تعالى وحده حتى يكون في عصر الغيبة - غيبة الامام الثاني عشر (عج) - وبأمر من الله - عز وجل - أيضا : ( اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا به ) اذا لم يكن هناك نبي ولا امام معصوم يا ترى فهل تخلو الارض من حجة الله على البشر يعني اسلام الله وحده سوف لا يكون ان هذا امر خلاف سنته تعالى في هذا الوجود التي تقتضي ان يكون الاسلام له وحده - سبحانه - اذن لا بد من ان يكون هناك خلف للامام المعصوم في غيبته ليعود الناس اليه في معرفة الخريطة الربانية لحياتهم وتصرفاتهم ، وكذلك كان ، فقام عرف المعصوم (ع) بخليفته في غيبته وهو العالم ( اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤوا به ) يعني انك اذا

كنت قد سلمت نفسك لله - عز وجل - سلمت نفسك للرسول (ص) سلمت نفسك للإمام المعصوم (ع) يجب عليك ان تسلم نفسك لخليفة الامام المعصوم (ع) وذلك هو التسليم لله تعالى وحده لان هذا الاخير لا يتم الا بالتسليم لخليفة الانبياء والائمة (ع) والمعبود عنه بالمرجع وهو اعلم الناس بما جاء به الانبياء والائمة (ع) .

#### العالم هو العامل بعلمه :-

« ايها الناس ان احق الناس بهذا الامر - منصب الامامة والولاية - اعلمهم بأمر الله فيه واقوالهم عليه ( فقد يتوفر عالم ولكنه غير عامل ان هذا لا يستحق هذا المنصب وليس له في اعناقنا بعة وليست مفروضة له علينا طاعة .

العالم هو العامل بعلمه والاعلم هو اكثر العلماء عملا بعلمه وتحرياً لطاعة ربه ذلك لان ثم علماً لا يناله الانسان الا اذا عمل بعلمه ( من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ( العالم العامل بعلمه يكون اعلم الناس لانه سوف يتكشف له ويلهمه الله من العلم ما حرمه غيره ممن لم يعمل بعلمه .

#### مقام المرجع فينا :-

في هذا العصر الذي نحن فيه حيث لا نجد نبياً ولا اماماً معصوماً نرجع اليه في تسليمنا لله تعالى ويكون تسليمنا لله وحده ، لا بد من وجود انسان يكون التسليم اليه كالتسليم لرسول الله (ص) أو للإمام المعصوم (ع) ويكون فاعلاً في حياتك كفاعليتها اذ قال لك : اقتل نفسك تقتلها ، أو قال لك : هات أموالك . تعطيلها له أي ليس لك مع امره خيرة كما انه ليس لك مع امر الله رسوله (ص) والامام (ع) خيرة . وهذا هو حجة الله علينا وهو اعلم الناس بما جاء به الرسول (ص) والائمة (ع) فهو يحتل محلهم وقائم مقامهم وهو النائب عنهم والخليفة لهم وهذا هو الذي يعبر عنه الآن ( بالمرجع ) أو ( الامام ) أي انه مهيم على حياتك كلها فلا تصرف في

شيء ولا تتحرك حركة الا بمقتضى أمره ونهيه وكما يحدد ويرسم فهو لك امام تقتضي اثره وتعلل عقبه حيث ان أعمال الانسان التي ليس له فيها امام من الله تعالى باطلة غير مقبولة كما جاء في الحديث ما مؤداه : ( الذي يعمل وليس له امام مفترض الطاعة من الله فسعيه غير مقبول والله شاني . لاعماله ) . اذ ان الانسان اذا قام بعمل كان صلى أو حج أو باع أو اشترى أو تزوج أو أكل أو شرب ولم يرجع في ذلك الى امام مفترض الطاعة من الله يكون قد عمل بهواه ولم يهتد بهدى الله فلا يكون عابده لله لان الله تعالى يريد من الانسان ان يسلم له تسليماً كاملاً فلا يقدم ولا يؤخر حتى يحدث له الله امراً فينفذه دون زيادة أو نقصان ليكون عبداً لله وحده دون سواه لذلك جاء في الحديث : ( بني الاسلام على خمس الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، وولايتنا اهل البيت ، ورأس الاسلام الولاية ) اذ ان جميع الاعمال والعبادات تكون باطلة ما لم تكن مأخوذة من الامام (ع) أو الرسول (ص) بهذا قطعاً تكون مسلماً لله وحده ، لذلك كان ( من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ) .

#### منزلة المرجع عند الله :-

امام العصر وحجة الله تعالى علينا في أيامنا هذه هو المهدي (عج) ، ولكن ليس لنا اتصال به فهو ليس فاعلاً في حياتنا بالصورة المباشرة ولذا يجب ان نعرف خليفة المهدي (عج) الذي عينه وبين لنا صفته ، لنكون عندما نسلم لخليفته قد اسلمنا للمعصوم (ع) ونكون بذلك قد اسلمنا لله تعالى . لذلك كان الراد على المجتهد كالراد على الامام والراد على الامام كالراد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله والراد على الله مأواه جهنم .

#### علامة التسليم :-

وبعد هذا كله اذا لم يحدث تغير في حياتك وتبدل في سلوكك فذلك اما لانك لم تفهم هذا المفهوم الذي تقدم بيانه أو لانك لم تعمل به والا

فإن علامة كونك فاعلاً لهذا المفهوم المتقدم ومطبقاً له هو أن تتغير حياتك  
ويتبدل سلوكك تكون بعد ذلك غير مالك لأمرك وغير مختار في أعمالك  
وسلوئك وإنما أنت عبد الله تطيع حجته ليس لك إذا قضى امرأ الخيرة .

#### لماذا نسلم ؟

لو كان رسول الله (ص) حاضراً بين ظهرائنا إلا تقدم له كل شيء  
تقدم له نفسك وأموالك وحتى أطفالك وكل ما تملك تقدم له ذلك لكي  
تنال الجنة لأنك تعلم أن الدنيا عمرها قصير والآخرة لا نهاية لها ولا نفاد  
لنعيمها وشقاها .

من أجل هذا قدم الحسين (ع) نفسه وما يملك وأولاده وحتى نساءه  
عندما أراد الله تعالى ذلك منه ، فكان قدوة لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً .

#### حقيقة الدنيا :-

إن الدنيا في نظر الحسين (ع) وفي نظر كل مؤمن وكما هي في  
الحقيقة قصيرة حقيرة محدودة زائلة وهي مرحلة واحدة في الطريق وقبلها  
وبعدها مراحل يشتمل عليها الطريق المفضي إلى دار الخلود ومحل الإقامة  
إلى حياة الإنسان الحقيقية التي سيصير إليها شاء أم أبى بعد أن يقطع مراحل  
الطريق جميعاً وعندما يجتاز الطريق وينتهي يدخل داره الخالدة وحياته  
الأبدية .

#### ليمة الدنيا :-

ونحن حين نقيس الدنيا بالآخرة نجدها حقيرة حقيرة وقصيرة إلى  
الحمد الذي لا نستطيع أن نتصور النسبة بينهما لذلك جاء في الحديث  
ما مؤداه : لو أن هذه الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما كان الله تعالى  
ليعطيها لكافر جاحد . فهذه الدنيا ( لم يصفها لأوليائه ) ها هم آجاء الله  
وأولياؤه لم يصفها لهم لأنها لا تعدل عنده شيئاً فلا يمكن أن يجعلها جزاءً منه  
لهم على طاعته تعالى وما أحقرها وانفها عند الله تبارك وتعالى حين لم يمنحها

( ولم يضمن بها على أعدائه ) ها هم أعداؤه يتمتعون بها قد أعطاهم إياها  
ومنحها لهم وجاد بها عليهم فهي مبسوطة يجدون فيها بغيثهم من المتعة  
واللذة فهل هناك دليل ادل على تفاوتها وحقاتها من هذا الدليل وانها  
لا تعدل عند الله شيئا ولا قيمة لها . والا فهل يزيد له كرامة على الله يسقط  
لها الدنيا لا كرامة له ليقبضها عنه لا والله لا والله ليس الامر كذلك .

مقياس رباني :-

وها هنا يبرز مقياس رباني متزع من صميم الحق الذي قامت عليه  
السموات والارض والمقيس هو : عندما ترى وليا من أولياء الله غير مبسوطة  
له الدنيا فاعلم ان هذه له كرامة .

وعندما ترى عدوا من أعداء الله تعالى مبسوطة له الدنيا فاعلم ان ذلك  
ابتلاء وقتة .

## واجب العالم

ان اللازم على العلماء ان يعرفوا مقامهم ، فانهم من مقام النبوة  
والامامة ، والعظمة والكرامة ، فان شد لهم قول او قلم او عمل فان  
شدوهم شدوذ للامة التي يقودونها - نعوذ بالله من ذلك - .  
من رسالة الامام الاكبر السيد الحكيم قدس سره  
الى المدرسة السلطانية في الهند

## نعي العلامة الاميني (ره)

كان العلامة المحقق ، الجبر المقدس ، الشيخ عبدالحسين الاميني - رحمه الله عليه - من مشايخ الامة ، وأكابر رجال العلم ، وشيوخ الاحتجاج ، وأعيان المؤلفين ، وأفاضل حملة القلم ، وأبطال الحق واعلام المجاهدين في سبيل الحقيقة في هذا العصر . وقد ترك لنا من ذخائر ما صنف ونقّاس ما ألف كتباً قيمة ؛ منها :

(١) الغدير في الكتاب والسنة والادب . وهو من اكبر كتب الحديث والادب والتراجم والنقد والاحتجاج والمناظرة . ذكر فيه ان رواة حديث الغدير من الصحابة هم ١١٠ أو يزيدون ، ومن التابعين ٨٤ ، ومن العلماء ٣٥٣ ، ومن المؤرخين ٢٥ ، ومن المحدثين ٢٧ ، ومن المفسرين ١١ ، ومن المتكلمين ١٨ ، ومن اللغويين ٥ ، ومن المؤلفين ٢٧ . وقد ترجم فيه شعراء الغدير ، وأثبت أشعارهم ، وعدد تأليفهم وآثارهم . وتعرض لاصول الاسلام ، واختلاف المسلمين ، وتاريخ الامة ، وتبيين الحق ، وبيان الحقيقة .

طبع منه ١١ مجلداً - ثلاث مرات - في نحو من ٤٥٠٠ صفحة .

(٢) شهداء الفضيلة في تراجم ١٣٠ من العلماء الشهداء . طبع في النجف سنة ١٣٥٥/١٩٣٦ في ٤١٢ صفحة .

(٣) السنة والسيرة في الزيارات . طبع في طهران سنة ١٣٧٣ هـ في ١١٥ صفحة .

(٤) سيرتنا وستتنا سيرة نبينا وستة . طبع في النجف سنة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ في ١٧١ صفحة .

(٥) كامل الزيارات ؛ لابن قولويه المتوفى سنة ٣٦٧هـ حققه وعلق عليه ونشره في النجف سنة ١٣٥٦هـ في ٣٣٧ صفحة • ونشر ثانية بالأصمت •

(٦) أدب الزائر لمن يسم الحائر • في آداب زيارة الحسين عليه السلام • طبع في النجف سنة ١٣٦٢هـ في ٦٠ صفحة

(٧) رياض الاس ، في مجلدين •

(٨) العترة الطاهرة في الكتاب •

(٩) الميثاق الاول ؛ في التفسير •

(١٠) انس الوحيد ؛ في الكتب الخطية •

(١١) المقاصد العلية ؛ في التفسير •

(١٢) الاسماء الحسنى ، في اسامي امير المؤمنين عليه السلام •

(١٣) تعاليق على رسائل الشيخ الانصاري ؛ في الاصول •

(١٤) تعاليق على المكاسب للشيخ الانصاري ؛ في الفقه •

(١٥) تفسير سورة الفاتحة •

ومن آياديه المخالدة ، وآثاره الباقية مكتبة الامام أمير المؤمنين العامة في النجف ؛ التي تحوى الوف الكتب وذخائر الاسفار وتوارد التأليف وطرائف المجموعات ، والخطوط المنسوبة •

الدكتور حسين علي محفوظ

## اعلام

حضرة الاخ المشترك الكريم المحترم

سلام عليك ورحمة ونعمة

تصرفت اربع سنوات من اللقاء الفكري والعطاء الثقافي بينك وبين رسالتك ، أخي المشترك الكريم اربع سنوات عشتهم مع الرسالة فارثا ، ونصيرا ، ومراقبا .

ومع سيل من رسائلك نقلت الينا مشاعرك ودنوت منا في عواطفك ، وشاركتنا الدعاء في تفاؤلك وتطلعاتك .

ولعلك اسهمت معنا في تبديل عنوان او تطوير اخراج او تبلور مضمون ، ومع اضمائة هذا العدد تودع معنا عاما وتستقبل معنا آخر . وعلى ذات المساحة التي تعاطفت مشاعرك وتلاقت افكارك عليها في السنوات الاربع الماضية سوف نلتقي خامسة كاقوى ما يكون اللقاء واحسن ما يكون التعاطف والتعاون .

اقترح ، راسل ، اكتب ، انقد ، علق وشارك في رسالتك ، رسالة الاسلام لهي منك واليك .

وما ان رغبت في تجديد اشتراكك فاعلمنا ليتسنى لنا تاخير ذلك في سجلاتنا وتسجيل بدل الاشتراك على حساب السنة الخامسة .

والسلام

ادارة

مجلة رسالة الاسلام

كلية اصول الدين - بغداد/الكرادة الشرقية



# مكتبة المجلة

## المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن

مطبعة النعمان • النجف الاشرف

ثاني عدد من سلسلة ( من هدى النجف ) من قطع الكراس يقع في ١٢٢ صفحة وهو بحث مسئل من مجلة رسالة الاسلام للاستاذ المساعد في كليتنا سماحة السيد محمد باقر الحكيم وهو يتناول بالبحث حول حركة وبواعثها وتائجها .

## موقف الاسلام من الارض

عبود الراضي

مطبعة النعمان • النجف الاشرف

كتاب من القطع المتوسط يقع في ١٠٣ صفحات وهو محاولة بسيطة لعرض صورة مصغرة لموقف التشريع الاسلامي من هذه المشكلة .

## في قضايا الزواج والاسرة

السيد حسين الصدر

مطبعة الآداب • النجف الاشرف

من القطع المتوسط يقع في ١٦٢ صفحة وهو أول عدد من سلسلة أحاديث اسلامية وهو مجموعة أحاديث القيت من قبل المؤلف حول الزواج وموقف الشريعة منه والآداب الاخلاقية في الاسلام تسعى للمؤلف أن يتم أحاديثه في مطبوعات قادمة ان شاء الله فمرحى مرحى ، وحي على خير العمل .

## البرهان لعلوم القرآن

مطبعة الآداب - النجف

من القطع المتوسط يقع في ٤٠٠ صفحة وهو بحث علمي • استدلائي • اخلاقي • تفسيري قيم لمؤلفه سماحة الشيخ موسى الشيخ جعفر السوداني مدرس التفسير في كليتنا •

\* \* \*

## التقويم والقياس في التربية والتعليم

غانم سعيد العبيدي  
وحنان عيسى الجبوري  
بغداد - مطبعة شفيق

من القطع الكبير يقع في ٤٠٠ صفحة وهو بحث مسهب في التطور العلمي والاجتماعي وأثره في عملية التربية والتعليم •

## التعليم الاهلي في العراق بمرحلتيه الابتدائية والثانوية

تطوره ومشكلاته

غانم سعيد العبيدي  
بغداد - مطبعة الادارة المحلية

رسالة ماجستير في التربية من جامعة بغداد ، تبحث عن مشاكل التعليم الاهلي في العراق بشكل مفصل •

\* \* \*

اهدتسا المكتبة الوطنية مجموعة من الكتب تتضمن كتباً تاريخية واجتماعية وأدبية ولغوية قيمة ، فلا يسعنا بهذه المناسبة الا ان نشكر المكتبة الوطنية هديتها القيمة لكلية أصول الدين الثمينة وكبديل مكتبي بين المكتبتين •

## سُورَةُ الْجُمُعَةِ ..

● توفرت ادارة المدارس بعون الله ومؤازرة رسل التربية الصالحة على ايجاد ملاك تربوي هادف سواء في مدارس البنين أو البنات .

ففي مدارس البنين تم تعيين السيد فريد الاعرجي معاوننا لادارة ثانوية الامام الجواد (ع) النহারية والسيد محسن الراضي مدرسا للاجتماعيات والسيد محمد حسين عبدالكريم مدرسا للتربية وقضية الشيخ جبار البصري مدرسا للتربية الاسلامية واماما للصلاة ورئيسا للجنة الدينية فيها والاستاذ كاسد الزبيدي (ماجستير آداب) مدرسا للغة العربية فيها للمصنفون الثالثة والاستاذ عبدالامير البدري والسيد ضياءالدين المسكري للمصنفون الاخرى والاستاذ عبداللطيف حساني الخفاجي مدرسا للغة الانكليزية والسيد عبدالرسول ماشاء الله مدرسا للاحياء والطبيعات والاستاذ عباس السعدي (ماجستير آداب) مدرسا للجغرافية اضافة الى محاضرين من ذوي انقالبية العلمية والحس التربوي الصالح من المدارس الرسمية في موضوعات انفيزياء والرياضيات والسيد عبدالرسول الجليل سكرتيرا للادارة .

● تقام في مدارس الجمعة صباح كل سبت ندوة عامة تعتبر مجالا للكشف عن قابليات الطلاب الفكرية وفي مناسبات متعددة يدعى الزائرون من ذوي الحس التربوي الصالح لالقاء محاضرات عامة على مسامع الاساتذة والطلاب .. كما يقوم الاستاذ السيد مدير المدارس بالقاء كلمات توجيهية عامة صباح كل سبت يستعرض فيها المهمات الاساسية التي تنتظر الناشئة في مواجهة حاضرهم ومستقبلهم وينقلهم فيها الى اليوم الاول من هذا البناء الذي

أقيمت أسسه على قواعد متينة من التقوى والعلم ليعتمدوا مزيدا من العلم  
ويتسلحوا بالتقوى في كل ساعة من ساعات الدوام فيها ويدعوهم الى الالتزام  
بفكرة المدرسة وعظم فلسفتها ، مجسدين ذلك في موقفهم من الحياة ،  
وتعاملهم مع المحيط الطلابي وانعكاسات ذلك على المحيط الاجتماعي .

● وفي مناسبات عاشوراء حيث يجد الحديث فيها ، مذاقا خاصا  
حيث هو حديث الشهادة والفداء ، وحديث التغير والثورة احيت المدرسة  
ساعات جليلة مع الامام الحسين (ع) وقد شارك بعض الاخوة الزائرين  
بالحديث .

● وفي مناسبة وفاة الامام الصادق (ع) احيت المدرسة صباحا حزينا  
عطلت فيه عن الدراسة ولكنها لم تنس انها لم تعطل عواطفها ولم تعطل  
أحاسيسها كما قال السيد مدير المدارس وهو يعتصر ألما حيث يدنو من  
أولاده يلوح لهم من على منصة الخطابة عن فعل الافكار ، والانسان ،  
والزمن ، عن أيام الامام الصادق (ع) حيث كان حليف المحراب ، اليق  
الكتاب انيسا بالقلم واللسان في مواجهة الفكر الضار والمردودات الجاهلية  
واحيايل الكفرة والزنادقة في عصره حتى طعنه مؤرخو الرفوف العالية  
بالخوف من الظالمين مرة واقفاد الحسن الاجتماعي والسياسي أخرى ،  
وربط بين علمه وعمل جده رسول الله (ص) والامام علي (ع) .

واعقبه في هذه المناسبة حديث توجيهي لفضيلة الشيخ عارف البصري  
مفتش العلوم الدينية في المدارس .

● وفي مناسبة ذكرى وفاة الامام السجاد (ع) أقامت الثانوية على  
عادتها حفلا طلابيا في مستوى المناسبة بدأه طالب بآيات من القرآن الكريم  
( والعصر ان الانسان لفي خسر ... ) واعقبه الاستاذ مدير المدارس  
حديث وجه فيه الانظار الى البطل ، وموقفه من البناء الحضاري ، وميز  
بين البطل الفرد ، والبطل الامة ، فقديما كان ابراهيم امة من الناس . ثم

تعرض الى الدعاء كآسلوب تصيدي من وسائل نقل الهشوم الاجتماعية باللغة الفردية الى باريتها مستجدة بنصره مستمطرة رحمة ، اعتمد الائمة أهل البيت (ع) عامة والامام السجاد (ع) خاصة يوم اعدم الوسيلة الاعلامية للدعوة الاملاية ويوم حيل بينه وبين مخاطبة الجمهور وجها لوجه .

ثم ختم حديثه بان ذلك كله كان يجري من أجل ان تعيش أحكام الاسلام واقع المسلمين وسلوكهم ومن أجل ان تجد عبادات الله الحياة في دنيا الحياة .

● وفي ذكرى مرور عام على وفاة مربى الجيل واستاذ التوجيه الديني المرحوم المغفور له الاستاذ أحمد أمين مفتش عام مدارس الجمعية للبنين في العراق ومدرس التجويد والقرآن الكريم في كلية أصول الدين وجه السيد الساعدي مدير المدارس توجهاته الى جميع مدارس الجمعية للبنين والبنات صباح يوم الخميس الموافق ٢٧/محرم الحرام/المصادف ٢٥-٣-١٩٧١ باعلان الحزن ومراسيم التأبين رسمياً وفق منهج خطابي شارك فيه طلبة واساتفة المدارس كافة ابتداء بالقرآن الكريم وبذكر ماتر الفقيه وافضاله على العلم وابتاء الاسلام في التربية والتعليم .. واختم بقراءة الفاتحة جماعيا من قبل الطلاب والهيئات العلمية في خشوع يناسب انقام .

● ففي ثانوية الامام الجواد (ع) النهارية عرض السيد مدير المدارس للاستاذ المرحوم الامين اطروحة في توعية شباب الامة على مثلها ودينها في وقت كان فيه المجتمع المدرسي في العراق وفي غيره يعيش الجذب الرسالي في العنصر الانساني فكان المرحوم الفقيه ممن وضع الاساس لوصل الحلقة المفقودة بين الجامعة والجامع واعقبه الاستاذ الفاضل السيد كاصد الزبيدي مدرس اللغة العربية حيث تكلم على شخصية الاستاذ أحمد أمين القرآنية رابطا اياه بحديثه السابق عن شخصية الامام السجاد (ع) القرآنية .

وبعدها تقدم الاستاذ عبدالامير البدرى قرنا الفقيه الغالي بقصيدة

عصماء مطلعها « مسحت دموعكم الشريعة » • كان لها وقع حسن ، ذو اثر عظيم على مجموع المحتفلين تجدها مشورة في هذا العدد •

وبعد قراءة الفاتحة على روح المرحوم المغفور له سائر الطلاب في موكب حزين الى صفوف الدراسة •

● رفعت ادارة المدارس كتابا الى سماحات الائمة الكبار والى مراجع المسلمين ايدهم الله رعت اليهم مباركة هذه الجهود المبذولة بالدعاء والتسديد •

وقد تلقينا دعاء وتبريك سماحة آية الله السيد يوسف الحكيم أيده الله من بين ما وصلنا منهم ايدهم الله يسرنا ان ننشر نفعه مع اصل الرسالة في الصفحة التالية •

● زار مدارس رجيل من أساتذة الجيل ومن علماء المسلمين ومن مفتشي وزارة التربية وقد استأنسوا لما وجدوه من عمل جاد ومن تنظيم فني وروح تربوية خالصة من شوائب الاكذار وكان لليت دائماً رب يحميه « الا تنصروه ، فقد نصره الله » •

بسم الله الرحمن الرحيم

جمعية الصناديق الخيرية الإسلامية

مديرة

مدارس الامام الجواد (ع) الاهلية

الى / مساحة اية الله العظمى حجة الاسلام والمسلمين اية الله السيد يوسف الحكيم  
دام ظله الوارف

السلام عليكم ورحمة الله :

ان مدارس الامام الجواد (ع) الابتدائية والثانوية النهارية ولحققتها قسي  
بغداد والكافة التي كانت ولا تزال مدارس التربية الاسلامية الحقة والتوجيه الرائد  
المعطاء ، تضع جميع امكاناتها تحت تصرف مساحتكم ههنا لو تفضلتم مساحتكم بارسال  
بعض من تنتجونهم كمثاليين لمساحتكم لنهارتها والاطلاع على الجهود المبذولة قسي  
مواجهة مردودات التربية المضادة التي غرسها الجاهليات المعاصرة ، في زوايا كثيرة  
من حياة المسلمين لتسعد بتوجيهاتكم وارشاد انكم ، حتى تبلغ ان شاء الله بوجه منكم  
وتسديد ، ودعا ، مركزا واقصيا يكون في مستهى وتطلعات الكبرى كأعضاء في امة  
(« وسط ») كانت خيرات اخرجت للظلم ، تلزم بالمعروف وتنبه عن المنكر وتضارع  
الى الخيرات ، جعل الله امامنا من امام الله واعالنا في عداد الاحمال الغالعات  
وتقبل ذلك خالصا لوجهه انه مولانا به هو حمينا ونسب الوكيل

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي جعلنا من اولاد نبيه وآله واصحابه ائمة  
شرككم هذه الجهود الكريمة ولست بكم تعلمون في سبيله ابر وأعظم  
وزجونه عز وجل وان نوقفنا لآل ائمة عظمكم في بذل الجهود في سبيله واعلاكم  
طاولنا في الارض انه ولي التوفيق والقول ونفوسنا ونعم الوكيل  
بشهادة السيد محمد  
١٣٩٩  
٢٨

محمد عبد الساعدي

مدير المدارس

السيد رئيس الجمعية / للتفضل بالاطلاع

السيد نائب رئيس الجمعية / =

السيد سكرتير عام الجمعية / =

المحترم العضو الاداري

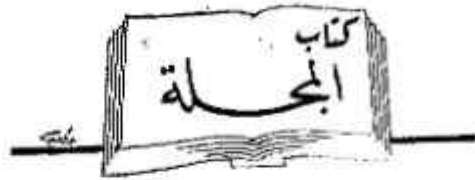
ادارات المدارس الجمعية / للعلم

والعشر على تحرير مجلة

رسالة الاسلام

١٠ / ذي القعدة

١٤٧١ / ١ / ١١م



سنة ٢٩٤ هـ

المتوفى

نشره وعلق عليه

الدكتور ابراهيم السامرائي

# کتاب فی

علاقیہ نوری

التوحید و التمسک بالحق

مقام اول فی التوحید

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله رب العالمین

والصلاة والسلام علی من لا نبي بعده

بیان محمد بن محمد  
مجلس الحریک  
تقریرات و تفسیر

### علل التثنية

رسالة في المثني وبنائه واعرابه وعلة الالف في الرفع وعلة الياء في النصب والجر وهذه الرسالة ذات قيمة تاريخية فهي تظهر منهج ابن جني في العلم اللغوي .

أصل الرسالة مخطوطة وحيدة في خزانة ليدن وقد فرغ من نسخها سنة ستمائة للهجرة . ويقع في اربع وعشرين ورقة جاء عنوان الرسالة واسم المصنف على وجه الورقة الاولى كما ورد تاريخ الفراغ من نسخها في ظهر الورقة الرابعة والعشرين . وتشتمل كل صفحة على أحد عشر سطرا وخطها حسن نسخي الا ان الورقات الاخيرة قد أصابها شيء من الرطوبة فانطمس بذلك شيء من كلماتها . وقد استفدت من « سر صناعة الاعراب » الذي كتبه قد هيأته للتحقيق قبل ان تظهر الطبعة المصرية . وها أنا اعتمد على مخطوطة المكتبة الوطنية في باريس والمرقمة ٣٩٨٨ والتي ترجع الى سنة ٥٥٢ للهجرة .

### كتاب علل التثنية

لابي الفتح عثمان بن جني

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العالم الاوحد أبو الفتح عثمان بن جني رحمه الله عليه : اعلم ان الالف زيدت في الاسم المثني علماً للتثنية وذلك قولك : رجلان وفرسان وزيدان . واختلف الناس من الفريقين في هذه الالف ما هي من الكلمة فقال سيويه : هي حرف الاعراب وليس فيها نية الاعراب ، وان الياء في النصب والجر في قولك : مررت بالزيدين ، ورأيت الزيدتين ، حرف اعراب أيضا لا تقدير اعراب فيه ، وهو قول أبي اسحاق<sup>(٤)</sup> ، وابن

(٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج المتوفى سنة ٣١١ للهجرة . انظر نزهة الالباء ص ١٦٧ - ١٦٩ .

كيسان<sup>(٥)</sup> ، وأبى بكر<sup>(٦)</sup> ، وأبى علي<sup>(٧)</sup> .

وقال أبو الحسن<sup>(٨)</sup> : أن حرف النشبة ليس بحرف اعراب ولا هو أيضا باعراب ولكنه دليل الأعراب ، فإذا رأيت الألف علمت أن الاسم مرفوع ، وإذا رأيت الياء علمت أن الاسم مجرور أو منصوب ، وإليه ذهب أبو العباس<sup>(٩)</sup> .

وقال أبو عمر الجرمي<sup>(١٠)</sup> : الألف حرف الأعراب كما قال سيويه إلا أنه كان يزعم أن انقلابها هو اعراب .

وقال الفراء<sup>(١١)</sup> وأبو إسحاق الزبدي<sup>(١٢)</sup> وقطرب<sup>(١٣)</sup> : الألف هي اعراب وكذلك الياء . وأقوى هذه الأقوال قول سيويه ، والدليل على صحة قول سيويه أن الألف حرف الأعراب دون أن يكون الأمر فيها على ما ذهب إليه غيره ، وإن الذي أوجب للواحد المتعكن حرف الأعراب في

---

(٥) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان النحوي المتوفى سنة ٢٩٩ للهجرة . انظر انباء الرواة ٥٧/٣ .

(٦) هو أبو بكر محمد بن السري بن السراج المتوفى سنة ٣١٦ للهجرة . انظر نزهة الالباء ص ١٧٠ .

(٧) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ للهجرة . انظر بغية الوعاة ص ٣٤٤ .

(٨) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاختلس الاوسط المتوفى سنة ٢١٠ للهجرة . انظر ترجمته في « أخبار النحويين البصريين » ص ٥٠ .

(٩) هو أبو العباس أحمد بن يحيى نعلب المتوفى سنة ٢٩١ للهجرة . انظر « نزهة الالباء » ص ١٥٧ - ١٦٠ .

(١٠) هو أبو عمر صالح بن إسحاق المتوفى سنة ٢٢٥ للهجرة . انظر « أخبار النحويين البصريين » ص ٧٢ .

(١١) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ للهجرة . انظر « طبقات النحويين » للزبيدي ص ١٤٣ .

(١٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزبدي المتوفى سنة ٢٤٩ للهجرة . انظر أخبار النحويين البصريين ص ٨٨ .

(١٣) هو أبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة . انظر مراتب النحويين ص ١٠٨ .

نحو : رجل ، وفرس هو موجود في التثنية في نحو قولك : رجلاً وفرسان وهو اتمكن ، فكما أن الواحد المتمكن المعرب يحتاج الى حرف اعراب فكذلك الاسم المثنى اذا كان معرباً متمكناً يحتاج الى حرف اعراب .  
وقولنا : رجلاً ونحوه معرف متمكن محتاج الى ما احتاج اليه الواحد المتمكن من حرف الاعراب اذن . ولا يخلو حرف الاعراب في قولنا : الزيدان والرجلان من أن يكون ما قبل الالف أو الألف أو ما بعد الالف وهو النون ، فالذي يفسد أن يكون الدال من الزيدان هي حرف الاعراب انها قد كانت في الواحد حرف اعراب في نحو :

هذا زيد ورأيت زيداً ومررت بزيد ، وقد انتقلت عن الواحد الذي هو الاصل الى التثنية التي هي الفرع كما انتقلت عن المذكر الذي هو الاصل في قولنا : هو القائم الى المؤنث الذي هو الفرع في قولك : هي قائمة ، فكما ان الميم « قائمة ليست حرف الاعراب فكذلك ينبغي ان يكون علم التثنية في نحو قولك : الزيدان والعمران هو حرف الاعراب وعلم التثنية هو الالف ، فينبغي ان تكون هي حرف الاعراب كما كانت الهاء في « قائمة » حرف الاعراب ، على ان أحداً لم يقل : ان ما قبل الف التثنية حرف الاعراب ، وانما قلنا احتياطاً لئلا تدعو<sup>(١٤)</sup> الضرورة اسماً الى التزام ذلك فيكون جوابه بما يفسد به مذهبه حاضراً ، وايضا فلو كان حرف الاعراب في « الزيدان » هو الدال كما كان في الواحد لوجب ان يكون اعرابه في التثنية كاعرابه في الواحد ، كما ان حرف الاعراب في « فرس » لما كان هو السين ، وكان في « أفراس » أيضاً هو السين كان اعرابه « أفراس » كاعراب « فرس »<sup>(١٥)</sup> وهذا غير خفي ، ولا يجوز ان تكون النون حرف الاعراب لانها حرف صحيح يحتمل الحركة ، فلو كانت حرف اعراب لوجب ان نقول : قام الزيدان [ يضم النون ] ورأيت

(١٤) في الاصل المخطوط : ليلا تدعوا .

(١٥) في الاصل : افراس .

الزيدان [ بفتح النون ] ومررت بالزيدان [ بكسر النون ] فتعرب النون  
وتقر الالف على حالها كما تقول : هؤلاء غلمان ورأيت غلماناً ومررت  
بغلمان .

وأيضاً فإن النون قد تحذف في الاضافة ولو كانت حرف اعراب  
لثبتت كما تقول : هؤلاء غلمانك ، ورأيت غلمانك ، ومررت بغلمانك ،  
فقد صح ان الالف حرف الاعراب ، فإن قال قائل : فإذا كانت الالف  
حرف الاعراب فما بالهم قلبوها في الجبر والنصب ؟ وهلا ذلك قلبها على  
أنها ليست كدال « زيد » اذ الدال ثابتة على كل حال ؟ فالجواب عن ذلك  
من وجهين :

أحدهما ان انقلاب الالف في الجبر والنصب لا يمنع من كونها حرف  
اعراب لأننا قد وجدنا فيما هو حرف اعراب بلا خلاف بين أصحابنا هذا  
الانقلاب ، وذلك ألف « كلا وكلتا » من قولهم : قام الرجلان كلاهما  
والبتان كلاهما ومررت بهما<sup>(١٦)</sup> كليهما وكتبيهما ، وضربتهما كليهما  
وكتبيهما ، فكما ان الالف في كلا وكلتا حرف اعراب وقد قلبت في النصب  
والجبر ومثل ذلك من حروف الاعراب التي قلبت قولهم : ابوك واخوك  
وحموك وفوك وهنوك وذو مال فكما أن هذه كلها حروف اعراب وقد  
تراها منقلبة فكذلك لا يستكر في حرف التثنية ان يقلب وان كان حرف  
اعراب .

قال أبو علي : ولو لم تكن الواو في « ذو وفو » حرف اعراب لبقى  
الاسم الواحد على حرف واحد وهو الذال [ أو الفاء ] .

وأما الوجه الآخر فإن في ذلك ضرباً من الحكمة والبيان ، وذلك أنهم  
أرادوا بالقلب ان يعلموا ان الاسم باق على اعرابه ، وأنه متمكن غير مبني ،  
فجعلوا القلب دليلاً على تمكن الاسم ، وأنه ليس بمبني بمنزلة « متى وإذا  
وأنى » مما هو مبني في آخره ألف فان قيل : فإذا كانت الالف في التثنية

(١٦) في الاصل : بها .

حرف اعراب فهلا بقيت في الاحوال الثلاث ألفاً على صورة واحدة كما أن ألف « حلى وسكرى » حرف اعراب ، وهي في الاحوال الثلاث باقية على صورة واحدة في قولك : هذه حلى ورأيت حلى ومررت بحلى ، فالجواب أن بينهما فرقاً وذلك ان الاسماء المقصورة التي حروف اعرابها ألفات وان كانت في حال الرفع والنصب والجعر على صورة واحدة فانها قد يلحقها من التوابع بعدها ما يثبت على موضعها من الاعراب ، وانت لو ذهبت تصف الاثنين لوجب ان تكون الصفة بلفظ التنبيه ، ألا تراك لو تركت التنبيه بالالف على كل حال لوجب ان تقول في الصفة : رأيت الرجلان الطريقتان<sup>(١٧)</sup> ، ومررت بالرجلان الطريقتان فيكون<sup>(١٨)</sup> لفظ الصفة كلفظ الموصوف على كل حال فلا تجد هناك من البيان ما تجده اذا قلت : رأيت عصا معوجة أو طويلة ونحو ذلك مما يبين فيه اعراب ، فلما كان كذلك عدلوا الى أن قلبوا لفظ الجعر والنصب الى الياء ليكون ذلك أدل على تمكن الاسم واستحقاقه الاعراب ، على أن من العرب من لا يخاف اللبس ويجرى الباب على قياسه فيدع الالف ثابتة في الاحوال الثلاث فيقول : قام الزيدان ومررت بالزيدان وهم بنو الحارث بن كعب وبطن من ربيعة ، فاعلم ان سيويه يرى أن الالف في التنبيه كما انه في لفظها اعراب فكذلك لا تقدير اعراب فيها كما يقدر في الاسماء المقصورة المعربة نية الاعراب ، ويدل على أن ذلك مذهبه قوله : ودخلت النون كأنها عوض عما منع الاسم من الحركة والتنوين ، فلو كان في الالف عنده نية حركة لما عوض منها النون كما لا يعوض في قولك : هذه حلى ورأيت حلى ومررت بحلى النون .

قال أبو علي : ويدل على صحة ما قال سيويه من أنه ليس في حرف الاعراب من التنبيه تقدير حركة في المعنى ، كما ان ذلك ليس موجوداً فيها

(١٧) في الاصل : الطريقتان .

(١٨) كذا في « سر صناعة الاعراب » ظهر ورقة ٢٠٤ س ٢٠ .

اللفظ صحة الياء في الجر والنصب في نحو : مررت برجلين وضربت رجلين ، فلو كان في الياء منها تقدير حركة لوجب ان تقلب ألفاً كرحى وقى ؛ ألا ترى ان الياء اذا انفتح ما قبلها وكانت في تقدير حركة وجب ان تقلب ألفاً .

وهذا استدلال أتى على قياس وهو في نهاية الحسن وصحة المذهب وسداد الطريقة ؛ فان قلت : التون عند سيويه عوض مما منع الاسم من الحركة والتنوين فما بالهم قالوا في الجر والنصب : مررت بالزيدين ورأيت الزيدين فقلبوا الالف ياء وذلك علم الجر والنصب ، ثم عوضوا من الحركة نوناً ، وكيف يعوض من الحركة نون وهم قد جعلوا قلب الالف ياء ، قائماً مقام علم التنبيه في الجر والنصب ؟ وهل يجوز أن يعوض من شيء شيء وقد أقيم مقام المعوض منه ما يدل على ذلك وبغني عنه ؟

فالجواب ان أبا علي ذكر أنه اما جاز ذلك من الانقلاب معنى لا لفظ اعراب ، فلما لم يوجد في الحقيقة في اللفظ اعراب جاز أن يعوض منه التون وصار الانقلاب دليلاً على التمكن واستحقاق الاعراب .

قال أبو الفتح : وهذا أيضاً من لطيف ما حصلته عنه فافهمه . ونظير ألف التنبيه في أنها حرف اعراب وعلامة التنبيه ألف التأنيث في نحو : حبلى وسكرى ، ألا ترى أنها حرف اعراب وهي علم التنبيه الا أنهما تختلفان في أن حرف التنبيه لا ينة حركة فيه وألف حبلى فيه نية حركة .

قال أبو علي : ويدل على ان الالف في التنبيه حرف اعراب صحة الواو في مذروان ، قال ألا ترى أنه لو كانت الالف اعراباً ودليل اعراب وليست مصوغة في جملة بناء الكلمة متصلة بها اتصال حرف الاعراب بما قبله لوجب ان تقلب الواو ياء فيقال : مذريان لانها كانت تكون على هذا القول كلام مغزى ومدعى ، فصحة الواو في مذروان دلالة على ان الالف من جملة الكلمة وأنها ليست في تقدير الانفصال الذي يكون في الاعراب .

قال : فجرت الالف في « مذروان » مجرى الالف في « عسوان » وان  
اختلفت النونان ، وهذا حسن في معناه .

فاما قول أبي الحسن ان الالف ليست حرف اعراب ولا هي اعراب  
ولكنها دليل الاعراب فاذا رأيت الالف علمت ان الاسم مرفوع واذا رأيت  
الياء علمت ان الاسم مجرور ، أو منصوب . قال : ولو كانت حرف اعراب  
لما علمت بها رفعا من نصب ولا جر .

وهذا الذي ذكره غير لازم وذلك انا قد رأينا حروف اعراب بلا  
خلاف تفيدنا الرفع والنصب والجر وهي أبوك وأخواته . وأما قوله ليست  
باعراب فصحيح [ وسنذكر <sup>(١٩)</sup> ذلك في فساد قول الفراء والزيادي .

وأما قوله لو كانت حرف اعراب لوجب ان يكون فيها اعراب هو  
غيرها كما ان كان ذلك في دال « زيد » فيفسده ما ذكرناه من الحجاج في  
هذا عند شرح مذهب سيويه أولا .

قال أبو علي : ولا تمتنع الالف على قياس قول سيويه انها حرف  
اعراب ان تدل على الرفع كما دلت عليه عند أبي الحسن لوجدنا حروف  
اعراب تقوم مقام الاعراب في نحو : هذا أبوك ، ورأيت أباك ، ومررت  
بأبيك وأخواته وكلاهما وكليلهما . ولكن وجه الاختلاف بينهما ان سيويه  
قد زعم أنها حرف اعراب لا تدل على الاعراب .

وأما قول الجرمي : انها في الرفع حرف اعراب كما قال سيويه ،  
ثم كان يزعم ان انقلابها هو الاعراب ، فضعيف مرفوع أيضا ، وان كان  
أدنى الأقوال الى الصواب الذي هو رأي سيويه رحمه الله ، ووجه فساد  
انه جعل الأعراب في الجرد النصب معنى لا لفظا وفي الرفع لفظا لا معنى  
فخالف بين جهاب الاعراب في اسم واحد . ألا ترى ان القلب معنى لا

---

(١٩) كذا في « سر الصناعة » وجه ورقة ٢٠٦ س ١٧ .

لفظ ، وإنما اللفظ المقلوب والمقلوب اليه ، وليس كذلك قول سيويه ، انه قال : ان النون عوض لما منع الاسم من الحركة والتوين لان النون على كل حال لفظ لا معنى .

[ فإذا قلت : فإذا كان ]<sup>(٢٠)</sup> قلب الالف ياء في النصب والجزم هو الاعراب عند الجرمي فما الذي ينبغي ان يعتقد في النون [ في ]<sup>(٢١)</sup> حال النصب والجزم وهل هي عنده عوض من الحركة والتوين جميعا أو عوض من التوين وحده اذا كان القلب قد ناب - على مذهبه - عن اعتقاد النون عوضا من الحركة ، فالجواب ان أبا علي سوغ ان تكون النون عوضا من الحركة والتوين جميعا وانه كان يقول : ان الانقلاب هو الاعراب وذلك انه لم يظهر الى اللفظ حركة وإنما هناك قلب فحسن العوض من الحركة ، ولو قام القلب مقامها في الاعراب . وهذا الذي رآه ابو علي حسن جدا .

فلو ان قائلا يقول : قياس قول ابى عمر<sup>(٢٢)</sup> ان تكون النون في تنية المنصوب والمجرور عنده عوضا من التوين وحده لان الانقلاب قد قام مقام الحركة لم أر به بأسا .

وأما قول الفراء وابى اسحاق الزبائدي ان الالف هي اعراب فهو أبعد الأقوال من الصواب .

قال أبو علي : يلزم من قال ان الالف هي اعراب ان يكون الاسم متى حذفت منه الالف دالا من معنى التنية على ما [ كان ]<sup>(٢٣)</sup> يدل عليه والالف فيه لانيك لم تعرض لصيغته وإنما حذفت اعرابه ويدل على ان معنى الاسم قبل حذف اعرابه وبعده واحدا ان زيدا ونحوه متى حذفت اعرابه

(٢٠) كذا في « سر الصناعة » وجه ورقة ٢٦٨ س ٩ .

(٢١) كذا في « سر الصناعة » وجه ورقة ٢٦٨ س ١٠ .

(٢٢) هو أبو عمر الجرمي وقد تقدمت ترجمته .

(٢٣) كذا في « سر الصناعة » ظهر ورقة ٢٠٨ س ١٣ .

فمعناه الذي كان يدل عليه معربا باقى فيه بعد سلب اعرابه ؟ ويفسده أيضا  
شيء آخر وهو أن الالف لو كانت اعرابا لوجب أن تقلب الواو في مذكروا  
ياء لأنها رابعة وقد وقعت طرفا والالف بعدها اعراب كالضمة من « زيد »  
و « بكر » وجميع ما ذكرناه من المخلاف في الالف واقع في واو الجمع نحو  
الزيدون والعمرىون •

فإن قال قائل : فما بالهم تنوا بالالف وجمعوا بالواو ؟ وهلا عكسوا  
الأمر ؟

فالجواب أن التثنية أكثر من الجمع بالواو ؟ ألا ترى أن جميع ما  
يجوز فيه التثنية من الأسماء فتثنيته صحيحة لأن لفظ واحدها موجود فيها  
وانما زيد عليه حرف التثنية ، وليس كل ما يجوز جمعه يجمع بالواو ؟  
ألا ترى أن عامة المؤنث وما لا يعقل لا يجمع بالواو وانما يجمع بغير  
الواو ، اما بالالف والتاء ، واما مكسرا ، على أن ما يجمع بالواو قد يجوز  
تكسيه نحو : زيود في زيد ، وفي قيس أقياس وقبوس •

فالتثنية إذن أصح من الجمع لأنها لا تخطئ لفظ الواحد أبدا ، فلما  
شاعت فيمن يعقل وفيما لا يعقل وفي المذكر والمؤنث ، وكان الجمع الصحيح  
انما هو لضرب واحد من الأسماء ، كانت التثنية أوسع من الجمع فجعلوا  
الالف الخفيفة في التثنية الكثيرة ، وجعلوا الواو الثقيلة في الجمع القليل  
ليقل في كلامهم ما يستقلون ويكثر ما يستخفون ، فأعرف ذلك •

قال أبو علي : ولما كان الجمع أقوى من التثنية لأنه يقع على أعداد  
مختلفة ، وكان ذلك أعم تصرفا من التثنية التي تقع لضرب واحد من العدد  
لا تتجاوزها وهو اثنان ، جعلوا الواو التي هي أقوى من الالف في الجمع  
الذي هو أقوى من التثنية •

واما تثنية المبهم فإن المؤنث فيه يتنى على لغة أقوام من العرب فيقال :  
تان • والعلة في ذلك أنهم لو قالوا « دان » ألبس المؤنث بالمذكر في لغة

الذين يقولون ذي ، فاستعملوا لغة الذين يقولون بزوال اللبس . واما المذكر نحو : ذا والذي فتثنيها دان واللدان . فان قال قائل : اخبرنا عن الالف التي في دان ونحوه أهى الالف التي في « ذا » أم هي ألف التثنية ؟ فالجواب أنها ألف التثنية وقد سقطت الالف الاولى .

والدليل على ذلك أنها تنقلب ياء في الجر والنصب كألف التثنية ، فعلمنا أنها ألف التثنية ، وان ألف « ذا » هي الساقطة . ومن الكوفيين من يزعم ان الالف في دان هي الالف التي كانت في الواحد ؛ ويفسده ما ذكرناه من انقلابها ياء في الجر والنصب .

قال أبو الفتح : اعلم ان أسماء الاشارة نحو : هذا وهذه والأسماء الموصولة نحو : الذي والتي لا تصح تثنية شيء منها من قبل ان التثنية لا تلحق الا النكرة ، وذلك ان المعرفة لا تصح تثنيها من قبل أن حد المعرفة ما خص الواحد من جنسه ولم يشع في أمته ؛ فاذا شورك في اسمه فقد خرج من ان يكون علما معروفا وصار مشتركا شائعا . فاذا كان الامر كذلك فلا تصح التثنية اذن الا في النكرات دون المعارف . واذا صح ما ذكرناه فمعلوم انك لم تنن زيدا ونحوه حتى سلبته تعريفه وأشعته في امته فجعلته من جماعة كل واحد منهم زيد ، فجرى لذلك مجرى فرس ورجل في ان كل واحد منهما شائع لا يخص شيئا بعينه . وبذلك على ان الاسم لا يتنى الا بعد ان يخلع عنه ما كان فيه من التعريف جواز دخول اللام عليه بعد التثنية ولا تلحق الا النكرة ، وذلك ان المعرفة في قولك الزيدان والعمران ، ولو كان التعريف الذي كانا يدلان عليه ويفيدانه مفردين باقيا فيهما لما جاز دخول اللام عليهما بعد التثنية كما لا يجوز دخولها عليهما قبل التثنية في وجوه الاستعمال وغالب الامر . فاذا صح بذلك أنه لا يتنى الا ما يجوز تكثيره فما لا يجوز تكثيره هو ان يصح تثنيته أجدر . وأسماء الاشارة والأسماء الموصولة لا يجوز ان تنكر ولا يجوز أن يتنى شيء منها .

تري أنها بعد التثنية على حد ما كانت عليه قبل التثنية وذلك قولك : هذان  
الزيدان قائمين فنصب « قائمين » بمعنى الفعل الذي دخلت عليه الانشابة  
والتثنية كما كنت تقول في الواحد : هذا زيد قائما ، فتجد الحال واحدة  
قبل التثنية وبعدها ، وكذلك قولك : ضربت اللذين قاما يتعرفان بالصلة كما  
يعرف بها الواحد في قولك : ضربت الذي قام ، والامر في هذه الاشياء  
بعد التثنية هو الامر فيها قبل التثنية وكذلك : يا هنان ويا هنون ، وهذه  
الاسماء لا تنكر أبدا لأنها للكنايات وجارية مجرى المضمر فانما هي أسماء  
مضمرة موضوعة للتثنية والجمع بمزلة الذي والذين وليست كذلك سائر  
الاسماء المثناة نحو زيد وعمرو ، ألا ترى ان تعريف زيد وعمرو انما هو  
بالوضع والعلمية ، فاذا تثنيتهما تنكرا فقلت : رأيت زيدين كريمين ، فاذا  
أردت تعريفهما بالاضافة أو باللام فقد تعرفا بعد التثنية من غير وجه  
تعريفهما قبلها ولحقا بالإجناس وفارقا ما كاتا عليه من العلمية والوضع ،  
فاذا صح ذلك فبني ان تعلم ان هذان وهاتان واللذان واللتان انما هي  
أسماء موضوعة للتثنية مخترعة لها وليست بتثنية الواحد على حد زيد  
وزيدان ، الا انها صيغت على صورة ما هو متنى على الحقيقة لثلاث تختلف  
التثنية ، وذلك أنهم يحافظون على التثنية ولا يحافظون على الجمع ؛ ألا  
تري انك تجد في الاسماء المتمكنة الفاظ جموع من غير ألفاظ لأحاد نحو :  
رجل ونفر وامرأة وسوء وبعر ووابل وواحد وجماعة ، ولا تجد في  
التثنية شيئا من هذا وانما هي من لفظ الواحد لا يختلف ذلك ؛ فهذا يدل  
على محافظتهم على التثنية وعنايتهم بها ان تخرج على صورة واحدة ، فلذلك  
كما صيغت للتثنية أسماء مخترعة غير مثناة على الحقيقة كانت على ألفاظ  
المثناة تثنية حقيقية ، وذلك ذان وتان والمذان والمثان . ويدل على ان ما  
كان من الاسماء لا يمكن تكثيره فان تثنيته غير جائزة وانما يصوغون له  
في التثنية أسماء مخترعة ليس على حد زيد وزيدان قولهم : انت وانتما  
وهي وهما وضربك وضربكما ، فكما لا شك في ان « انتما » ليس تثنية

« انت » اذ لو كان تنية لوجب ان تقول في انت : « انتان » ، وفي هو :  
« هوان » ، وفي هي : « هيان » .

وكذلك لا ينبغي ان يشك في أن « هذان » ليست تنية « هذا » وانما  
هو اسم صيغ ليدل على التنية كما صيغ « اتما » و « هما » يدل كل واحد  
منهما على التنية وهو غير متى على حد زيد وزيدان . ألا ترى ان أسماء  
الاشارة والأسماء الموصولة جارية مجرى الأسماء المضمرة في ان كل واحد  
منهما لا يجوز تكثيره ولا خلع تعريفه منه .

فان قلت : فاذا كان « ذا » و « الذي » ونحوهما كالأسماء المضمرة  
من حيث أريت فما بالهم صاوغا التنية ولم يقولوا في « انت » « انتان »  
ونحوه ؟

فالجواب : أنهم صاغوا لذا والذي اسمين على صورة الأسماء المثناة  
من قبل ان أسماء الاشارة والأسماء الموصولة أشبه بالأسماء المتمكنة عن  
الأسماء المضمرة .

قال أبو علي : ألا تراهم يصفون أسماء الاشارة ويصفون بها ، فلما  
قربت الأسماء المشار بها والأسماء الموصولة من الأسماء المتمكنة صيغت لها  
أسماء التنية على نحو الأسماء المتمكنة . ولما كانت الأسماء المضمرة لا  
توصف ولا يوصف بها بعدت عن الأسماء المتمكنة فخالقوا بينها وبين ما  
قارب المتمكنة فصاغوا لها أسماء التنية على صورة الأسماء المثناة المتمكنة .

فأما قولهم : مررت بك أنت ومررت به وانت فهما ليسا وصفا  
ليستفاد بهما البيان والايضاح ، وانما الغرض فيهما التوكيد والتحقيق ؛  
فاذا صح الذي ذكرناه علمت ان التون في هذان واللذان والثان ليست عوضا من  
حركة ولا من تنوين ولا من حرف محذوف كما يظن قوم ، ولا حكم هذان  
واللذان في أنهما اسمان متيان حكم الزيدان والعمران لما ذكرنا .

قال : واعلم ان للنون في التننية والجمع ثلاثة أحوال : حالا تكون فيها عوضا من الحركة والتنوين جميعا ، وحالا تكون فيهما عوضا من الحركة وحدها ، وحالا تكون فيها عوضا من التنوين وحده .

اما كونها عوضا من الحركة والتنوين ففي كل موضع لا يكون الاسم الممكن فيه مضافا ولا معرفا بالالف واللام وذلك نحو رجلان وفرسان وغلامان وجاريتان . ألا ترى أنك اذا أفردت الواحد على هذا الحد وجدت فيه الحركة والتنوين جميعا . وذلك قولك : رجل وغلام وجارية وفرس ، فالنون في « رجلان » انما هي عوض ها هنا مما يجب في الف رجلان التي هي حرف الاعراب بمنزلة لام رجل ونحوه ليس مضافا ولا معرفا باللام بلزم ان تتبعه الحركة والتنوين فكذلك كان يجب في حرف التننية .

وأما الموضع الذي تكون نون التننية فيه عوضا من الحركة وحدها فمع لام المعرفة كما ثبتت معها الحركة كقولك : الغلام والرجل ؛ وكذلك النداء نحو : يا رجلان ويا غلامان ؛ ألا ترى ان الواحد من نحو هذا لا تنوين فيه وانما هو يا غلام ويا رجل ، فالنون فيهما بدل من الحركة وحدها . فان قلت : فان واحد الزيدان والعمران زيد وعمر وهما كما ترى متونان فهلا زعمت ان النون في « الزيدان » أو العمران بدل من الحركة والتنوين جميعا لوجودك اياهما في واحدهما وهو زيد وعمر ، وكما زعمت أنهما في رجلان وفرسان بدل من الحركة والتنوين جميعا لوجودك الحركة والتنوين في واحدهما وهو رجل وفرس ، فالجواب : ان قولك : الزيدان كقولك الرجلان لان اللام عرفت زيدين كما عرفت رجلين والنون في زيدان عوض من الحركة والتنوين جميعا وهي في الزيدان عوض من الحركة وحدها .

واما الموضع الذي تكون فيه نون التننية عوضا من التنوين وحده فمع الاضافة وذلك قولك : قام غلاما زيد ومررت بصاحبي عمرو الا تراك

حذفها كما تحذف التوين للاضافة ، فلو كانت هنا عوضا من الحركة وحدها لثبتت فقلت : قام غلامان زيد كما تقول : هذا غلام زيد فقص الميم من غلام .

فان قلت : فما انكرت ان تكون اللام مع النون ثابتة غير محذوفة لانها لم تكن عوضا من التوين وحده فتحذف ، بل لما كانت عوضا من الحركة والتوين جميعا ثبتت ، فالجواب انه لو كان الامر كذلك لوجب ان تثبت مع الاضافة لانها لم تكن عوضا من التوين وحده وهذا كما تراه محال ، فقد صح بما ذكرناه ان النون في التثنية تكون في موضع عوضا من الحركة والتوين وحده ، الا ان اصل وضعها ان تكون عوضا مما منع الاسم فيها جميعا ، ولو كانت عوضا من الحركة وحدها لثبتت مع الاضافة ولازم المعرفة فجعلت في موضع عوضا من الحركة فثبتت كما ثبتت الحركة ، وفي موضع عوضا من التوين فحذفت كما يحذف التوين ليعتدل الامر ان فيها .

وأما قولهم : هذان وذانك والذنان فانما نقلت في هذه المواضع لانهم عوضوا بنقلها من حرف محذوف . اما في هذان فعوض من الف ذا ، وكذلك في « اللذان » عوض من ياء « الذي » وهو في ذانك عوض من لام ذلك ، وقد يحتمل ان يكون عوضا من الف ذلك .

وقيل : انما شددت في هذه المواضع للفرق بين المبهم وغيره ليدلوا بالتشديد على انه على غير منهاج المثني الذي ليس بمبهم ولانه لا تصح فيه الاضافة ، وغيره من التثنية تصح اضافته فتسقط نونه فكان ما لا يسقط بحال أقوى مما يسقط. تارة وثبت أخرى ، فشددت لذلك .

وحركة نون التثنية كسرة وحركة نون الجمع الذي على حد التثنية فتحة وكتاهما متحركة بالتقاء الساكنين ، وخالفوا الحركة للفرق بين التثنية والجمع ، وكانت نون التثنية أولى بالكسر من نون الجمع لانها قبلها الف وهي خفيفة ، والكسرة ثقيلة فاعتدلا ؛ وقيل نون الجمع واو

وهي ثقيلة ففتحوا النون ليعتدل الامر .

فان قلت : فقد أقول : مررت بالزيردين وضربت العمرين فتكسر  
النون وقبلها ياء فهلا هربت الى الفتحة لمكان الياء كما هربت الى الفتحة  
لمكان الياء في نحو اين وكيف ، فالجواب ان الياء في نحو الزيردين والعمرين  
ليست بلازمة كلزومها في اين وكيف ، ألا تراك تقول في الرفع الذي هو  
الاصل « رجلان » ، وانما النصب والجر فرعان عليه فلا يلزم الياء والنون؟  
فلما كانت الياء غير لازمة في التشية وكان الرفع وهو الاصل لا تجد فيه ياء  
أجرى الباب على حكم الالف التي في الاصل ، وانما الياء بدل منها ؛ واو  
انهم فتحوا النون في الجر والنصب وكسروها في الرفع لاختلاف حال نون  
التشية . على ان من العرب من يفتحها في حال الجر والنصب تشيهاً بأين  
وكيف وتجري الياء وان كانت غير لازمة مجرى الياء اللازمة فتقول :  
مررت بالزيردين وضربت الزيردين وانشدوا في ذلك لبعضهم : [ من  
الطويل ]

على أحوذين استقلت عليهما فما هي الا لمحة فمغيب<sup>(٢٤)</sup>

وفتحها بعضهم مع الالف فقال : [ من الرجز ]

أعرف منه الانف والعينانا ومنخرين أشبها ظيانا<sup>(٢٥)</sup>

وقد حكى ان منهم من ضم النون في الزيدان فقال : الزيدان

---

(٢٤) البيت لحميد بن ثور الهلالي أحد الشعراء المخضرمين توفي على  
الارجح في خلافة عثمان والاحوذيين مثنى احوذي وهو السريع في كل ما اخذ  
فيه وأصله في السفر . انظر الديوان ص ٥٥ .

(٢٥) قيل ان البيت لرجل من ضبة ، وزعم العيني أنه لا يعرف  
قائله ، وقيل هو لرؤبة وهو من رجز أوله :

ان لسلمي عندنا ديوانا يخزي فلانا وابنه فلانا

وهو من شواهد النحو في فتح نون المثنى .

والعمران ، وهذا من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه .

واما النون في يقومان وتقومان ويقومون وتقومون فانها تقوم مقام الضمير في يقوم ويقعد ، وليست من أصول الاعراب ؛ ألا ترى ان جنس الاعراب هو الحركة ولذا جعل جنس الياء سكونا اذا كانا ضدين ؛ وكانت الحركة ضد السكون ويدل ذلك على رفع المضارع الذي رفعه النون انه ليس على طريق قياس أصول الاعراب حذفك النون في موضع النصب في قولك : لن يقوما ؛ الا ترى ان النصب مدخل على الجزم كما ادخل النصب في الاسماء المثناة والمجموعة على سبيل التشية على الجذر في قولك : ضربت الزيدين والعمرين ؛ ولست تجد في الاسماء الآحاد المتمكنة الاعراب ما تحمل فيه أحد الاعرابين على صاحبه فان احتججت بأحمد فان ما لا ينصرف غير تمكن من الاعراب و [ يزيد ]<sup>(٢٦)</sup> عندك في بيان ضعف اعراب الفعل المضارع أنك اذا ثبت الضمير فيه أو جمعته أو انته لم يخل حرف اعرابه من ان يكون الميم أو الالف والنون ؛ فمحال ان يكون الميم لان الالف بعدها قد صيغت معها فحصلت الميم لذلك حشوا لا طرفا ، ومحال ان يكون حرف الاعراب وسطا ، ولا يجوز الا ان يكون آخر طرفا . ولا يجوز ان يكون الالف في يقومان حرف اعراب ، قال سيويه : لانك لم ترد ان تني « يفعل » فتضم اليه « يفعل » آخر ، اي لم ترد ان تضم هذا المثال الى مثال آخر وانما أردت ان تعلم ان الفاعل اثنان فجئت بالالف التي هي علم الضمير والتثنية . ولو أردت ان تضم الفعل الى فعل آخر من لفظه لكنت الالف في يقومان حرف الاعراب كما كانت الالف في الزيدان حرف الاعراب ، لانك أردت ان تضم الى « زيد » « زيد » آخر ، فقد بطل اذن أن يكون الالف حرف اعراب ؛ ومحال أيضا ان تكون النون حرف اعراب في يقومان لأمرين : أحدهما انها متحركة محذوفة في الجزم ، والآخر انه لو كانت النون حرف اعراب لوجب ان تجرى عليها حركات الاعراب

(٢٦) كذا في سر الصناعة وجه ورقة ٢٠٧ س ١٠ .

فقول : هما يقومان ، وأريد ان يقومان ؛ فقصمها في الرفع وفتحتها في  
النصب ، فان صرت الى الجزم وجب تسكينها ، واذا سكنت والالف قبلها  
ساكنة كسرت لالتقاء الساكنين فقلت : لم يقومان . [ فلما <sup>(٢٧)</sup> كان  
القضاء بكون نون يقومان حرف اعراب يعود الى هذا الذي ذكرته ورأيت  
العرب قد اجتنبته ، علمت ان النون ليست عندهم بحرف اعراب .

واذا لم يجز ان تكون الميم حرف اعراب ولا الالف ولا النون علمت  
انه لا حرف اعراب في الكلمة ، واذا لم يكن لها حرف اعراب ذلك ذلك  
على ان الاعراب فيها ليس له تمكن الاعراب الاصلي الذي هو الحركة ،  
فاذا كان ذلك علمت ان النون في يقومان تقوم مقام الضمة في يقوم ، وانها  
ليس لها تمكن الحركة وانما هي دالة عليها ونائبة عنها .

#### ثبت بالمصادد التي رجعت اليها

- ١ - اخبار النحويين البصريين لابي سعيد السيرافي - بيروت سنة ١٣٢٦هـ .
- ٢ - انباء الرواة على انباء النحاة لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف  
القفطي ، القاهرة ١٩٥٠م .
- ٣ - بضية الوعاة لجلال الدين السيوطي - القاهرة ١٣٢٦هـ .
- ٤ - ديوان حميد بن ثور الهلالي - القاهرة ١٩٦٥م .
- ٥ - سر صناعة الاعراب لابن جني - في باريس ٣٩٨٨ و ( الجزء الاول )  
القاهرة ١٩٥٤م .
- ٦ - شرح شواهد ابن عقيل للجرجاني وللعديوي - البابي الحلبي بمصر  
بلا تاريخ .

---

(٢٧) كذا في سر الصناعة ظهر ورقة ٢٠٧ س ٢ .

- ٧ - طبقات النحويين للزبيدي - القاهرة ١٩٥٤م .
- ٨ - الكتاب لسيويه - بولاق ١٣١٦هـ .
- ٩ - مراتب النحويين لابي الطيب المغوي - القاهرة ١٩٥٥م .
- ١٠ - نزعة الالباء في طبقات الادباء لابي البركات ابن الانباري - بغداد ١٩٥٩م .

١٩٧١/٤/٦/٢٠٠٠/٦١